وَرْد

الكاتبة عبير محمد قائد

قلوب أحلام زائرة
By بحر الندى
www.rewity.com

لم يكن يريد أن يبكيها،
لم يكن يريد أن يرى دموعها الحارقة والمريرة
وهي تذكر مأساتها التي عرفتها منذ أربع سنوات،
منذ أن كان شوقها الكبير لانجاب طفل يطغى على كل
تفكيرها حتى أنها جهزت الغرفة الصغيرة الملحقة
بجناحهما القديم وفرشتها بكل مايلزم الطفل.
الطفل الذي تأخر لعام كامل ورغم عدم رغبته
بالاستعجال كي لايخسرها لطفل متطلب كما كان
يتذمر الا أنه رافقها في رحلتها الاولى للاختصاصية.
والتي بعد فحوصات وأشعة مكثفة اعلنت لهما بكل
وقاحة أنه لايوجد أمل لفريدة أن تنجب؟!
وهنا جائت ورد.. تحمل أملاً أم كابوساً؟!!
بداية حياة أم نهاية لتلك اللتي عرفاها قبلها!!

كتابة :
عبير محمد قائد
بيرو.

تصميم خارجي (الغلاف):
بحر الندى.

تصميم قالب داخلي و فواصل:
بحر الندى.

الفصل الأول

تلون الشفق بألوان الغروب وبدأت أطراف السماء تستدعي الظلمة بحلكتها الليلكية إيذاناً ببداية ليلة طويلة خصوصاً لسكان ذلك القصر الريفي العتيق والمحاط ببساتين النخيل بوفرة تظلل حديقتيه الأمامية والخلفية ليبدو وكأنه وسط بستان. أربعة أدوار من القدم والعراقة بشرفة علوية مقوسة تحملها أعمدة أربعة تجاورها شرفات تجاوزت الست بالعدد وهناك الشبابيك الفرنسية التي أضفت على قدم المكان روعة وأصالة بالاضافة للمدخل الذي ارتفع عن الأرض بمايفوق المترين من الدرج الحجر الذي جاءه من الجهتين ليلتقيان أمام بوابة خشبية عظيمة بنقوش حمت صوراً تمثل حيوانات ضارية تتقاتل فيما بينها وعبيد ركعوا امام أسياد عظام والعديد من الايات القرأنية التي تعانقت

حروفها في لوحة بديعة.
ذلك كان قصر آل الشريف، الأغنى والأرقى والأكثر سلطة في المدينة، وبالداخل كانت تدور معركة ليست كأي معركة دارت يوماً في أروقة هذا القصر العتيد والذي مرت عليه الكثير من الحروب والمآسي الشخصية وبقي صامداً كصمود أخر نسل من ساكنيه. معركة اليوم كانت مختلفة كانت تقودها وعلى غير العادة فريدة منير، زوجة قطب العائلة ورأسها الكبير؛ ذياب الشريف؛ ضده شخصياً!!
-ذياب عليك أن تسمعني.
هدر صوتها الصارم وهي تحاول الالتفاف حول زوجها لامساك عينيه واللتين تجاهلتاها بإصرار وهو ينهرها بغلظة لم تكن معتادة بينهما أبداً:

-لقد سمعتك فريدة وَردّي الوحيد هو لا.
كانت تعرف معنى هذه النبرة أن الموضوع مغلق للنقاش دون أمل، ولكن ليس هذه المرة هذه المرة هي مستعدة لأن تقاتل باستماتة ففرصة كالتي وقعت على حجرها لاتعوض أبداً.
-بلى سوف تستمع من جديد وتفهم.
صرخت لينظر اليها بعينيه الرماديتين بقسوة:
-مالذي تريدينني أن أفهم؟؟ أتفهم رغبتك بجري الى لعبتك السخيفة لمواساة الفتاة الفقيرة الضعيفة؟
تراجعت فريدة وهو يزمجر بعصبية:
-أنا لست طبيباً نفسياً فريدة اذا ماكانت تلك الفتاة تقبع حزينة فاشتري لها هدية ولاتزعجيني بمثل هذا الموضوع العفن.
-اسمعني ياذياب؛ انها فرصتنا الوحيدة.

هتفت مخنوقة ليغمض عينيه بيأس ويترك مابيده من أوراق عمل كان يراجعها بهدوء قبل أن تأتي زوجته التي كمايبدو قد فقدت عقلها مؤخراً وتمعن في ايقاذ جنونه:

-فرصتنا؟؟ عن أية فرصة تتكلمين؟ لايعقل أن تكوني جادة؟

استنكر بحدة لتقترب وتجلس الى جواره على الاريكة وهمست وهي تضم كفيه اليها:

-أرجوك حبيبي أرجوك لاتحرمني ولاتحرم نفسك من هذه النعمة، ارجوك؟!

-نعمة؟؟!!

صرخ وهو ينهض نافضاً يديها:

-أنت تتكلمين دون منطق؟ كيف تسمينها نعمة؟

-انها نعمة ان استغللناها كما نريد.

انتفخت أوداجه بغضب حقيقي واقترب يمسكها من كتفيها وبقوة:

-لن يحدث يافريدة فتوقفي عن اصرارك غير المجدي هذا أتفهمين؟

هزت رأسها تقاوم ارادته وعينيها تلمعان بدموع حبيسة:

-أرجوك ذياب.. أتوسل اليك أن توافق.

-لا أفهم كيف تريدين مني موافقتك على هذا الجنون.

واقترب يهزها بحزن:

-أنا لا أريد، ولايهمني ابداً.

ارتمت بين ذراعيه باكية بعنف:

-يجب أن توافق، انها الفتاة المناسبة.

ضمها بقوة وهمس:

-أنا أحبك.. ولم ولن أرغب بامرأة سواك فلم تعذبيننا معاً بهذه الطريقة؟

ابتعدت لتنظر في عينيه:

-هي ستكون وسيلة فقط حبيبي لن تتدخل بيننا ابداً مجرد وعاء لن تكون لك أية مشاعر ابداً معها أنا لن أسمح لك.
-انا لست برجل ألي لا أستطيع....
وبتر عبارته وهو يخفض بصره يخفي ارتباكه لترفع وجهه اليها هامسة في عينيه:
-أنت رجل كفاية لتدرك أنها الوسيلة الوحيدة لنحظى بماحلمنا به طيلة تلك السنوات حبيبي.
ثم اكتست عينيها بنظرة حالمة وهي تقترب لتسند وجنتها لذقنه الملتحية:
-طفل، طفل واحد يجعل من حبنا كاملاً.
-ولكنه لن يكون طفلنا يافريدة..
همس بمرارة لتختنق عبراتها وترد بغصة:
-سيكون طفلك أنت وهذا يكفيني ذياب.

صرخ بحرقة:
-ولكنه لايكفيني أنا، أنا أريد طفلاً منكي أنت فريدة، أريد طفلنا أنا وأنت وليس طفل امرأة غريبة لا أعرفها ولا أحبها.
سالت دموعها بحرقة واندفعت كلماتها متعثرة:
-أنا أسفة أنا أسفة لأنني لست امراة كاملة كما تريد.
اغرقها في عناق حنون يكتم شهقاتها الباكية ويضمها الى صدره بقوة.لم يكن يريد أن يبكيها، لم يكن يريد أن يرى دموعها الحارقة والمريرة وهي تذكر مأساتها التي عرفتها منذ أربع سنوات، منذ أن كان شوقها الكبير لانجاب طفل يطغى على كل تفكيرها حتى أنها جهزت الغرفة الصغيرة الملحقة بجناحهما القديم وفرشتها بكل مايلزم الطفل. الطفل الذي تأخر لعام

كامل ورغم عدم رغبته بالاستعجال كي لايخسرها لطفل متطلب كما كان يتذمر الا أنه رافقها في رحلتها الاولى للاختصاصية. والتي بعد فحوصات وأشعة مكثفة اعلنت لهما بكل وقاحة أنه لايوجد أمل لفريدة أن تنجب؟!
شعر بمرارة ووجع وهو يتذكر انهيارها صارخة بجنون أن تلك الاختصاصية كاذبة وتكرهها.. ولم تستسلم.
دارت برفقته معظم دول العالم بحثاً عن رأي أخر وعن علاج يعيد لها الأمل أو بصيص منه فقط.. ثم بدأ الأمل يتضائل ويتضائل حتى أصبح مستحيلاً.
كل طبيب ذهبا اليه وبعد سلسلة من الفحوصات والكشوف كان الرأي واحد في كل مرة...
"زوجتك تعاني من عيب خلقي والانجاب مستحيل بالنسبة لها، لايوجد علاج... لايوجد أمل."
اغمض عينيه بألم وشدد من ذراعيه حولها وهي تهمس بوجع:
-أردت أن أحمل طفلك بين أحشائي الله يعلم كم أردت هذا.
-اششش.
همس لها بحنان وأصابعه تمسح دموعها برقة قبل أن يقبل جبينها:
-أنا أحبك أنت لم أربط ابداً بينك وبين الاطفال كمصدر لسعادتي، كنت أنت فريدة أنت هي حبيبتي ومصدر سعادتي الوحيدة.
نظرت لعينيه الدافئة:
-لقد عشنا لوقت طويل بهذه السعادة حبيبي. ولكنني لم أعد أكتفي.
-ألا تكتفين بي؟

همس بمداعبة ساخرة لتمتلىء عينيها بالدموع مجدداً:
-أنا أريد طفلاً ياذياب.. طفلاً يحمل لون عينيك وقسمات وجهك.. أريد طفلاً يبعث الحياة الى هذا المنزل.
كان يرى رغبتها تنضخ من عينيها بلاموارية لطالما فعل. ولكن الان كان هناك شيء أخر الى جوار الرغبة شيء من الاصرار والتحدي جعله يتراجع للحظة فتستغل الأمر وتهمس باقناعه:
-انها رغبتي ياذياب أنا موافقة ووجدت لك الفتاة المناسبة لهذا الأمر.
اتسعت عيناه للحظة قبل أن يتراجع.. لقد كانت تحاول أن تقنعه لأيام هو وأمه والذي يفهم دوافعها للغاية فهو ابنها الوحيد وتريد رؤية أطفاله قبل موتها كماكانت تقول على الدوام ولكن فريدة؟!

نظر لها بذهول، كيف تقبل ان تشاركها امرأة أخرى حياته.. وليس هذا فحسب بل تريده أن يتزوجها وينجب منها؟؟!! هل كان موقفاً نبيلاً؟ أم أنه أكثر مافعلته أنانية في حياتها؟؟
انها تعطيه الاذن للحصول على ابن.. طفل من صلبه يقف معه ويرثه.. وفي حين كان كل مايتمناه هو طفل منها هي.. هاهو يفكر حقاً بالأمر.. هو يريد أن يصبح أباً وهي لاتعطيه الفرصة ليفكر او يعترض لقد جهزت كل شيء ولم يعد لديه سوى القبول. وهو الان ورغم رفضه العنيف في البداية الا أنها مصرة والضغط المتواصل منها ومن أمه يحوطه بلاتوقف ويدفعه دفعاً للخوض في التجربـــة.
****

في الطرف الآخر من المدينة تجمعت النساء متشحات بالسواد في تلك الحجرة الضيقة بالكاد تسعهم يحيطون بتلك الفتاة الصغيرة والتي غطاها السواد من رأسها لأخمص قدميها وتقلص وجهها الناعم الرقيق بالألم بينما تفجرت دموعها بحرقة، ذراعيها تحيطان جسدها النحيل بقوة فيما تساقطت خصلات شعرها الناعمة لتغطي وجهها وتخفي ألمه الصاعق عن عيون النساء اللتي لم تتوقف عن النظر اليها بشفقة.

لقد أصبحت وحيدة حقاً الأن.. لا أب ولا أم، عضت شفتيها بوجع والدموع تنسكب من جديد وهي ترفع عينيها لالقاء نظرة على الصورة العائلية المعلقة على الحائط بالقرب منها، رغم الفقر والمعيشة الصعبة إلا أن عائلتها كانت بسيطة جداً وسعيدة جداً جداً. والديها عشقا بعضهما بجنون ولم يفرق بينهما شيء مهما كانت الظروف التي واجهانها عويصة، كانا مثال للزوج المكافح والراضي بقضاء الله، ولكن لم يرحمهما القدر.

حادث مأساوي قضى فيه والدها قبل عدة أشهر، وسقطت أمها بعده في دوامة الحزن والمرض نعياً لحبيبها، والدها كان المعيل الوحيد لها ولأمها وبوفاته وقعتا معاً في صدمة الافلاس.

حتى أنها اضطرت لترك المدرسة والتي كانت تحضر فيها للسنة الأخيرة للثانوية وعملت كبائعة في متجر الملابس في زاوية الشارع رغماً عن أمها لتستطيع بالكاد توفير بعض العلاجات لمرضها المفاجئ وبعض المأكل لهما معاً.

تحملت الكثير من معاكسات الزبائن وثقل

دم صاحب المتجر البدين المقزز، ولكنها وبصبر لم تتزحزح لأنها تعرف أنها لن تجد سوى هذا العمل بمؤهلاتها شبه المعدومة، ولذا صبرت وصبرت.

وسائت حالة والدتها والشوق والحزن على ما آل اليه والدها وابنتها يقتلها ببطئ حتى ماتت قبل أربعة أيام!

لم تتوقف عن الحزن والبكاء منذ خرجت من الصدمة.. كانت تبكي بلاتوقف وهي ضائعة وحائرة ولاتجرؤ على التفكير بماقد يحدث لها بعد انقضاء مدة العزاء؟ الآن هي أصبحت حقاً وحيدة.

-وَردْ..؟

لم تستجب في البداية الا أنها بعد حين رفعت عينيها المتورمتين من شدة البكاء لتقابلا عينا جارتها أم أسعد والتي جلست جوارها تضمها بحنان:

-توقفي عن البكاء ياصغيرتي، البكاء لن يعيد أحدهما.

-خالتي أنا أموت.

بكت بمرارة لتضمها أكثر وهي تشهق:

-بعيد الشر ياوَردْ أنت بألف خير ياحبيبتي انها مجرد أيام وستنسين.

ابتعدت عنها وهتفت باستنكار:

-أنسى أمي؟؟ مستحيل.

تنهدت المرأة بحسرة وهي تتأمل جمال الفتاة النقي والذي بدأ يخبو بعد المآسي المتتالية. تعرف وَردْ وعائلتها منذ سنوات طويلة منذ أن كانت بالحفاظ وانتقلت عائلتها لهذا المبنى القديم.

كانت تشعر بالألم والحسرة لما آلت اليه الظروف ولاتعرف ماقد يحدث لهذه الصغيرة وخصوصاً وهي تواجه الحياة تقريباً وحدها الأن. ولكنها ورغم ضعف الفتاة ورقتها

الاستثنائية تعرف وَردْ عنيدة كالحجر ولن تستجيب لما لديها وماستقول بسهولة..
-بنيتي أحتاج لأن أكلمك بأمر.
-الأن؟!
-نعم ياصغيرتي تعالي معي لغرفتك لنتكلم.
سحبتها الخالة أم أسعد بعيداً عن عيون النساء الفضولية وأجلستها على الفراش المتواضع بعد أن أغلقت الباب خلفهما، وسارعت ببنيتها الضخمة الخفيفة رغم ذلك، للجلوس أمامها وهي تهمس:
-أنا لن ألف وأدور عليكي يابنيتي وسأصارحك بوضعك بكل وضوح.
توسعت عينا وَردْ بقلق بينما جارتها تهتف:
-أنت فتاة صغيرة ياوَردْ، وحيدة ومن الصعب أن تبقي في هذا البيت وحدك يابنتي.
-ماذا تعنين؟

همست مخنوقة لتواصل أم أسعد بصراحة:
-أنت عزباء صغيرة السن وألف من يطمع بك، والمبنى مليء بالشبان والرجال ولن يسمح أحد من أهل الحي ببقاءك وحدك يابنتي.
-وماذا سأفعل ان كنت وحيدة ياخالة ماذا بيدي أن أفعل؟
استنكرت بألم لتسارع الخالة وتهدئ من روعها بلمسة واثقة على ذراعها:
-لاتخافي ياصغيرة.. لقد فكرنا طويلاً بحل هذه المشكلة ولم نجد سوى حل الزواج.
-الزواج!!
هتفت مبهورة.. قبل أن يتلون وجهها بين مشاعر شتى تتراوح بين الخجل الفطري والغضب والذي انتصر لتهتف:
-تريدين مني الزواج ولم تمر سوى أيام على وفاة أمي؟؟!!

-اهدئي وَردْ.. انها الوسيلة الوحيدة والزواج ليس حراماً ولاعيباً.
-ولكن..
ضاعت كلماتها في نظرات الخالة الحازمة والتي سارعت:
-الناس قد بدأوا بالحديث عنك فعلاً يا ابنتي ولولا بقائي معك خلال الايام الماضية لم يكن ليسكت احد فكما ترين نعيش في حي شعبي والألسنة لاتتوقف.
-اذاً فلنستمر على هذا الأمر لتبقي معي أنت على الدوام خالتي.
تضرعت لها بلهفة لتهز المرأة رأسها بصلابة:
-أنا لدي عائلتي كذلك ياوَردْ ولولا وجود شابين معي في المنزل بمثل عمرك لكنت أخذتك للعيش معي.
احتقن وجه وَردْ وأشاحت عن خالتها التي عادت تهمس لها بحنان:
-أنت لن تستطيعي العيش طول عمرك والعمل في متجر ممدوح، المكان هناك لايناسب فتاة صغيرة ووحيدة ونظرات الناس لاترحم، ثم كيف تنوين تسديد الايجار لكل تلك الأشهر ياوَردْ؟ لقد تراكمت عليكي الديون وراتبك وحده لن يكفي.
-ماذا سأفعل؟
همست وَردْ بشرود والحقيقة المرة لوضعها القاسي تصدمها بكل وضوح، لتجاوب خالتها بحكمة:
-اسمعي ما أقول وتزوجي انه الحل الوحيد لتعيشي بكرامة.
-ولكن..أنا..أنا لازلت صغيرة؟
همست متلعثمة لتضحك خالتها بمرح:
-أنت في الثامنة عشرة يابنتي.. لقد تزوجت خالك ابا أسعد وأنا في الخامسة عشر من

عمري.
اتسعت عيناها بدهشة لتواصل المرأة:
-الآن ياحبيبتي لدي عريس لك.. انه ثري ولديه عدة أملاك كما أنه أرمل.
حاولت وَردْ أن تبتلع الغصة التي استحكمت حلقها وعينيها تتسائلان ببراءة عن هوية العريس لتجيب خالتها بوضوح:
-صالح مالك البيت.
شهقت بقوة وهي تقفز كالملسوعة:
-عم صالح؟؟ ولكنه أكبر سناً من والدي؟
-الرجل لايعيبه الا جيبه.
هتفت خالة أم أسعد بحدة ثم نهضت تواسيها:
-انه رجل مقتدر ويريدك بالحلال.. ابناءه يعيشون في منازل منفصلة ولن يؤذيكِ أحدهم. كما انه يعشق التراب الذي تمشين عليه وتستطيعين بمكرك أن تلفيه حول اصبعك الصغير ليصبح خاتماً فيه.
استنكرت عينيها الواسعتان ماتقوله خالتها وصدرها يلهث بقوة العم صالح!! مستحيل؟
كانت تلاحظ نظراته اللزجة وتهرب منها كلما تستطيع.
ولكن..!!
يريدها للزواج؟؟!! الرجل لديه حفيدة تصغرها بعامين؟؟!!
-مستحيل.
همست بثقل لخالتها التي تنهدت وربتت على وجنتها بحنان:
-فكري ياصغيرتي. لن يرغمك احد ولكن بعدم وجود حلول أخرى؟
خفضت عينيها هرباً من الاصرار في عيني خالتها والتي قبلت وجنتها بحنان وانصرفت تاركة اياها لحزنها وعالمها الذي انقلب خلال أشهر قليلة رأساً على عقب.

بعد عشرة أيام عادت الى العمل والذي كان صاحبه كريماً كفاية ليبقيه لها، فكرت بشرود وهي ترتب بضعة أغراض على الرفوف الزجاجية والتي انعكست عليها صورتها بوضوح، ترتدي ثوباً أسود بسيط يصل لركبتيها وتحته جينزاً مهترئ. حجابها الرقيق يحيط بوجهها الشاحب وكأنها لم تأكل أو تنم لأيام.
أخذت نفساً عميقاً والتفتت لتواجه زبائن اليوم متجاهلة نظرات صاحب المتجر والذي كان يراقبها كصقر..
مضى الوقت بطيئاً تحملت الكثير من ثرثرة الزبائن ونظرات الشباب الماجن وهي تلف قدها النحيل بلاحياء.. شعرت بأن نظراتهم تلامسها بحق. تماسكت وحاولت جاهدة أن تغض عن تلك الامور التي نسيتها خلال ايام العزاء والتي أصرت خالتها أم أسعد أنها ستزيد وخصوصاً أنها الأن وحيدة دون سند أو عون.

-وَردْ..

انتفضت والتفتت لصاحب المتجر ممدوح.. رجل بمنتصف الأربعينات بكرش متدلية ونظرات كريهة:

-اصعدي للمخزن فوق واحضري دفتر الحسابات.

اومأت بطاعة وأسرعت للدرج الضيقة حيث اشار، كان المخزن ضيقاً ورائحته مكتومة غضنت وجهها وهي تبحث عن الدفتر الاخضر السميك حين شعرت بالمخزن يضيق حولها وتدرك أنها لم تعد وحدها.
التفتت للرجل بصدمة وصرخت:

-ماذا تفعل هنا؟

اقترب منها ممدوح بخفة وحشرها بالزاوية وعيناه تشيان بجشعه لها:

-لقد انتظرت هذه الفرصة لشهور ياجميلتي.. والأن تعالي إلي.
اتسعت عينيها بذعر وصرخت وهي تحاول التملص من ذراعيه القويتين وهما تحيطانها بقسوة بينما وجهه يحاول الاقتراب لينال من عذرية شفتيها، لم تتوقف بصدمة.. لم تتجمد لهول ماكان سيحدث لها، بل انتفضت برفض وخمشت وجهه بعنف بأظافرها وساقها تركل ساقه بينما دفعته يديها الصغيرتان عنها بقوة مهولة لم تعرف كيف تحصلت عليها.
سمعت شتيمته البذيئة وهو يتراجع لترتطم ساقاه القصيرتان المكتنزتان ببضعة صناديق ويتعثر ويسقط على ظهره بدوي، جعلها تلملم شتات نفسها وتسارع بخفتها للركض بعيداً عنه تنزل السلالم لاهثة بعنف تحاول أن تعيد ترتيب حجابها عليها وتمنع تساقط دموعها وهي تركض بسرعة للخروج من المتجر وقد قام الوغد باغلاق بابه الزجاجي بالمفتاح ولكنه تركه عليه لحسن الحظ.. تخنقها رائحة انفاسه الثقيلة المحملة برائحة سيجارته الخانقة وعرقه المقزز.
لم تعرف كيف جرت المسافة القصيرة من المتجر لحيها البسيط لم تستعد صفاء تفكيرها حتى وصلت الى درج المبنى القديم وشعرت حينها بدموعها تتزاحم في عينيها وهي تصعد الدرجات لتصطدم برجل أخر!!
رفعت عينيها اليه بشراسة ولكنها تجمدت للحظة أمام عينيه..
عينين قاسيتين بلون الرماد تحت حاجبين كثين ورغم ظلام المدخل استطاعت تبين قسمات وجه مستطيل خطفت دقات قلبها

قبل أن تعيدها تتخبط بجنون لاتعرف ان كان خوفاً أو شيء أخر، ولكن كل جسدها انتفض وهي بالقرب من تلك القوة الرجولية الفذة والتي نضخت بوضوح من جسد يفوقها طولاً بمراحل متألق في بدلة تبدو غالية الثمن لحد مروع.

-هل أنت بخير؟

سمعت خشونة الصوت وارتجفت بينما سبحت عينيها بدموعها التي انسابت بنعومة على وجنتيها وجعلتها تبدو بهشاشة بلورة زجاجية قابلة للكسر.

لم تجرؤ على الحديث بل أشاحت بوجهها بفزع وسارعت راكضة الى الطابق العلوي تحبس أنفاسها التي حملت ذرات من عطره الغريب وسكنت بين ضلوعها مزيجة كل بقايا رائحة ذلك المجرم الحقير من عليها.

كانت يديها تتخبطان على قفل شقتها حين فتح الباب المقابل ورأت خالتها أم أسعد تنظر اليها بسعادة هاتفة:

-حمدالله على عودتك مبكرة تعالي وأنظري من ينتظرك.

مسحت دموعها باضطراب وحاولت السيطرة على نفسها وهي تنقاد من قبل المرأة الكبيرة لصالة منزلها المتواضعة حيث رأت تلك المرأة باذخة الجمال والتي جلست بأناقة تبدو خارج موقعها وسط الكراسي القديمة بحلتها والتي لابد كلفتها الألاف وابتسامتها الأنيقة الشاحبة قليلاً.. خصلات من شعرها الاشقر العسلي انسدلت على جانب وجهها بينما زينت وجهها ببساطة أظهرت جمالها المعتق.

فريدة..

قريبة للخالة أم أسعد من فرع بعيد ورغم نشأتها المتوسطة الا أن زواجها بذلك الثري

الارستقراطي منذ اربع سنوات دفعت بها بعيداً عن الجميع.. ثراءه وسلطته كانا السبب بالاضافة الى مأساتها التي همست لها بها خالتها مرة وهي تحذرها من الاخبار بالأمر.

-سيدة فريـــدة؟

همست بتشتت وهي تتذكر أن المرأة قد جائت لتعزيها في ثاني أيام العزاء وقد رأتها سابقاً بضعة مرات في زياراتها الخاطفة للخالة أم أسعد، ولكنها كانت مشوشة جداً ومريضة للغاية بالحزن لتفهم وتعي وحتى لتشكر أحد...

-مرحباً بك ياوَردْ.. تعالي.

ابتسمت لها فريدة واشارت لكرسي قريب حينها انتبهت وَردْ لتلك السيدة المهيبة والتي جلستها الى جوارها بشعرها الاشيب وملابسها الانيقة.

جلست وَردْ تشعر بضآلتها الى جوار تلك السيدتين لاتفهم سبب مجيئهم وهي التي لم تتعاطئ مع اي فرد منذ وفاة أمها بمثل هذه القوة.. زيارتين في غضون أقل من شهر؟؟ هذا كان كثيراً.

-كيف حالك بنيتي؟ البقاء لله حبيبتي.

اومأت للسيدة الكبيرة بخجل يديها مشبوكتين في حضنها وعينيها مزروعتين بقدميها في الخف البسيط، سمعت عودة الخالة أم أسعد وهي تقول بحماس:

-انها ان لم تكن اشارة من الله فلن أكون أنا فاطمة ابنة أم فاطمة، عادة تعود وَردْ مع نهاية النهار ولكن من حظها اليوم ونصيبها ان شاءالله.

نظرت لها وَردْ بحيرة بينما ضحكت السيدة الكبيرة بهدوء وتنهدت فريدة دون أن تعلق احداهما بكلمة قبل أن تربت ام أسعد على

ركبة وَردْ هاتفة:
-لن تجدا في رقة وَردْ ولاأخلاقها انها نعم الاختيار.
"ما الذي يحدث؟"
فكرت بتشوش بينما نهضت فريدة وهمست:
-هل لي أن أكلم وَردْ على انفراد؟
خفق قلبها بقلق ونهضت خلفها بصمت حتى غرفة الخالة أم أسعد وجلست معها على الفراش بصمت تترقب ما ستقول لها.
بينما تأملتها فريدة للحظة كانت كمارأتها في العزاء فتاة صغيرة تكاد لاترفع عينيها لتواجهك وأنت تنظر اليها، رقيقة وكاملة بنظرها، خلفية عائلتها تشي بوفرة من الاطفال ولاتوجد اي اشارة انها قد تكون مصابة بشيء مثلها في يوم من الأيام. انها الفتاة المثالية.. فتاة ستكون طوع بنانها ولن تقدم يوماً على الوقوف امامها او حرمانها مما تريد ستكون الوعاء المناسب للحصول على طفل يجمعها بذياب للأبد.
-هل تعرفين لم نحن هنا؟
ازدادت الحيرة في عينيها وهزت رأسها نافية لتحاول فريدة الابتسام وتفشل فشلاً فابتلعت ريقها وهمست بشحوب:
-أنا لن ألف وأدور ياوَردْ. أنت فتاة ذكية وجميلة للغاية وبصراحة أنت تمرين بظروف صعبة جداً حالياً.
خفضت وَردْ عينيها بحياء وقهر بالكاد سيطرت على دموعها، لتهمس لها فريدة:
-أنا أحمل اليكي عرضاً ولا أظن أنك قد ترفضيه أبداً.
رفعت لها عينين حائرتين وتسائلت:
-هل تعرضين علي عمل ما؟
-عمل؟؟

اتسعت عينا فريدة بدهشة قبل ان تعود لتضحك بارتباك:
-لا لا لقد فهمتني خطئاً بالتأكيد.. انه ليس عمل..
عقدت وَردْ حاجبيها وانتظرت بصبر لتواصل فريدة متلعثمة:
-انا.. أنا جئت كي..
وانقطع صوتها وهي تحاول مواصلة الحديث وعينيها تخرق الفتاة.. صعب.. فكرت بقهر مهما صرخت وأصرت تبقى امرأة.. امرأة عاشقة تغار وبجنون، الا أنها تمالكت نفسها بصعوبة وبعد لحظات رفعت رأسها بشموخ ونظرت للفتاة الحائرة أمامها قائلة بصلابة:
-لقد أتيت لأخطبك..
اتسعت عينا وَردْ بذهول بينما فريدة تقول:
-أنت فتاة صغيرة ولكنك تحملتي المسؤولية منذ فترة وأثبتي أنك جديرة بها ولا أشك أبداً أنك بقادرة على تحملها من جديد.
-ولكن.. انا؟؟
-اسمعيني جيداً ياوَردْ... أنت ستخرجين من هذه الحياة البائسة ستخرجين من الديون التي تحيط بك وتتخلصين من كل الطامعين بك وبجمالك.
شحب وجه وَردْ وهي تتذكر ذلك القذر الذي امتدت يديه اليها بكل وقاحة لمساته المقرفة ورائحته المقززة وانسابت رغماً عنها دموعها بصمت لتقترب منها فريدة:
-ستكونين بحماية رجل بألف رجل، لن يجرؤ أحد أن يصيبك بأذى أو يفكر حتى بهذا، ستكونين مُصانة كحجر كريم.
ستكونين زوجة وصاحبة منزل يفوق الخيال وتكونين عائلة ولن تصبحي وحيدة ابداً.

شعت عيناها رغماً عنها بالأمل.. عائلة.. أمان؟!
خفضت وجهها لاتقدر على احتواء خجلها الفطري وارتباكها الواضح من ارتجاف أصابعها جعلت فريدة تهمس لها بترقب:
-ماذا قلتِ؟
رفعت وجهها اليها بذعر:
-ولكن..أنا لا اعرف.. لا اعرفه؟ من..من يكون؟!
ابتلعت فريدة ريقها وهمست بعد تردد قصير وكأنها تدرك أن بعد هذه اللحظة لامجال للتراجع.
-ذياب.. ذياب الشريف.
ارتجف قلبها لوقع الاسم عليها قبل ان تضيق عينيها وهي تشعر انها سمعت هذا الاسم قبلاً؟؟! نظرت لوجه فريدة بقلق وهي تحاول استعادة ذاكرتها عن ذلك الاسم لتكتشفه في عينيها ووجهها الشاحب،
ذياب الشريف..!!
ذياب الشريف كان..
-زوجك؟؟!!
همستها بذهول لترتجف فريدة وهي تعي ما قالته ومايترتب عليه.. لامجال للتراجع الأن.
-نعم، انه زوجي.
نهضت وَردّ بثورة وهتفت:
-هل تمزحين معي؟؟ هل يروقك أن تلهي بي بهذه الطريقة؟
اتسعت عينا فريدة ونهضت تقابلها وهي تهدئ من روعها:
-لاتقولي هذا ياوَردّ، الله العالم كم أحبك وكم أخشى لأجلك. عليكي أن تفهمي جيداً أن خطبتي لك لأجل ذياب ليست وسيلة للهزء أو السخرية منك أبداً.
-أتعنين بأنك جادة؟

هتفت باستنكار لتومئ فريدة برأسها بحزم وتتسع عينا وَردْ بذهول وهي تعاود جلوسها وكأنها لاتقوى الوقوف:
-ولكن.. لماذا؟ انه زوجك؟؟
ابتلعت ريقها بصعوبة وجلست هي الأخرى تشيح بوجهها للأرض:
-لأنني أحبه لدرجة كبيرة.. وصدقيني لو كان أي رجل اخر.. لما فكرت ولا للحظة بفعلها ولكنه..
وغصت كلماتها بدموعها لتهتف وَردْ بشراسة لاتعرف من أين جائت بها:
-هل اجبرك؟؟ هل يرغمك على هذا؟
كانت تفكر بمدى سادية ذلك الرجل ومدى وحشيته ليعرض امرأة محبة ورقيقة كفريدة لمثل هذا الموقف.. ولكن فريدة لم تدعها تغوص في أفكارها وبدلا عن هذا فاجأتها بضحكة مضطربة وخفيضة قبل أن تمعن اليها النظر وتهمس:
-ذياب لايمكن ان يفكر بهذا الأمر..هو فقط لايستطيع أن يرفض لي طلباً.
-أنا لا أفهم..
همست بشرود تشعر بالضياع لتأخذ فريدة نفساً عميقاً وتقول بنبرة حاولت أن تجعلها هادئة قدر الامكان:
-أنا سأشرح لك الأمر بكل نواحيه.
اسمعيني فقط ثم فكري على مهل.
نظرت لها بقلق وفريدة تاخذ نفساً عميقاً وتبدأ بالشرح ووَردْ تناظرها بصمت وعقلها يحاول استيعاب كلمات المرأة الحزينة بمشاعر متضاربة بشدة.
.....
تلك الليلة لم تستطع النوم كانت تستلقي على فراشها وعينيها تطالعان السقف المتقشر، عقلها تتخبط فيه عواصف من

الأفكار ولاترسي لها على بال.لاتزال كلمات السيدة فريدة تهاجمها هل تصدقها؟ هل تصدق ماجاءت تلك المرأة الانيقة لتعرضه عليها؟ أخذت نفساً ومست دقات قلبها المتواثبة..
تريد ان تزوجني لزوجها!!
مهما كانت أسبابها مهما كانت دوافعها هل يعقل لامرأة ان تقدم زوجها وحبيبها لأخرى؟؟
اتسعت عينا وَردْ بدهشة لتفكيرها.. وما أدراها هي بالحب وغيره؟
لم يخفق قلبها يوماً لرجل ولاحتى لصبي أثناء مراهقتها كيف لها أن تحكم؟ كيف لها أن تفسر؟؟
تقلبت على فراشها بتوتر تحاول التفكير بهدوء ولكن!! كل ما كانت تفكر به هو أنها ستدمر عائلة كاملة وكيف لها؟

اتسعت عيناها، أيُ عائلة؟؟ ليسا لهما عائلة!!
زفرت بتوتر ونهضت تجوب الشقة المتواضعة، هما يحتاجانها لتكوين تلك العائلة؟؟ أي دور ستلعبه هناك بالضبط!
الزوجة الثانية؟؟ المرأة التي ستأتي للسيد بالذرية؟؟ وماأدراهما بأنها ستحصل على أطفال من الأساس؟؟ ربما تكون مثل السيدة فريدة.. عاقـر!!
انتفض قلبها واتسعت عينيها بذعر وهي تتخيل الكلمة توصمها للأبد.. لابد أن فريدة عانت الأمرين والجميع ينظر لها بقسوة ورفض.. أرض بور لا يمكن أن تحصد أبداً.
شعرت بالأسف وتخيلت ماقد يقوله لها رجلها.. لابد أنها سمعت منه مايشي برغبته بالأطفال بعد كل تلك السنوات من

من الصبر!! وإلا فلاتوجد امرأة عاقلة ترضى بضرة والأدهى أنها تطلبها بنفسها؟؟ أي رجل يفعل هذا؟؟ لابد أنه قاس للغاية ولا تهمه مشاعر زوجته بشيء، فكرت بامتعاض وهي ترفض الفكرة لن توافق. قررت بحزم وعقدت ذراعيها حولها وهي تقف أمام نافذة غرفتها وعينيها غارقة بالتعاسة، عرضين للزواج في أقل من شهر وهي لاتجد في نفسها الرغبة بقبول أحدهما.. الطامعين كثر..
فكرت بكلام أم أسعد بخوف.
ماذا لو كانت محقة؟؟ منذ اليوم قد خسرت عملها هي لن تعود الى ذاك المنحرف أبداً. أخذت نفساً عميقاً سرعان ماتحول لرجفة قوية وهي تسمع تلك الطرقات الخافتة على شباك الباب الزجاجي.. جف ريقها ونظرت الى ساعة الحائط القديمة والتي تشير لما بعد الواحدة فجراً؟؟
من يأتيها في مثل هذا الوقت؟؟ اقتربت من الباب ولم تستطع رؤية من خلفه بسبب عتمة السلم همست بخشية:
-من؟؟
صمت اعقبه تسارع الدقات الخفيضة لتتراجع بخوف وهي تصيح بحدة:
-من أنت؟؟ لن أفتح حتى أعرف من تكون؟
-أنا.. أنا صالح..
اتسعت عيناها برعب، العم صالح؟؟ مالك المنزل والذي يريدها!!
-ماذا تريد ياعم؟؟ ان الوقت متأخر.
هتفت تحاول ان تدعم صوتها بأكبر قدر من القوة والثبات رغم ارتجافتها.. انها وحيدة هنا؟ وحيدة ومعرضة لكل ما في العالم من شرور.
-أريد ان اطمئن عليك.

اقتربت من الباب تؤمنه مرة اخرى وتتأكد من احكام اغلاقه وهي تهتف بحدة:
-أنا بأفضل خير والان ارحل ياعم الوقت غير مناسب.
-افتحي ياوَردْ..
سمعت الاصرار في صوته الثقيل وشعرت بالباب يهتز تحت دفعة من يده جعلتها تصرخ مذعورة:
-ابتعد عن الباب والا فسأصرخ وأجمع عليك كل ساكني المبنى.. اذهب عني.
-الى متى ياصغيرة.. سرعان ماستكونين لي؟؟ أم أن أم أسعد لم تخبرك؟؟
-انا لن أوافق ابداً.
هتفت بعنف ودموعها تنهمر ليضحك بسخرية:
-انت لاتريدين اغضابي ياصغيرة..هل نسيتي ديونك وايجار المنزل المتأخر عليكِ؟؟ أم أنك تريدين المبيت في الشارع منذ الغد؟؟
شهقت باكية ليضيف بحقارة:
-أو ربما في زنزانة باردة مع زمرة من المجرمين؟
كتمت صرخاتها بكفيها وهي تغمض عينيها بقوة وتتخيل مايقول، وتفكر أنها حقاً قد وقعت بين براثن من لايرحم:
-فكري جيداً ياصغيرة فكري بأن تنتهي على فراشي الوثير أو مكانك في الشارع او السجن؟
ارتجفت باشمئزاز والصورة تثير غثيانها بينما سمعت صوت خطواته تبتعد نزولاً لتترك العنان لدموعها وهي تدرك ان الحلقة تضيق عليها وتكاد تخنقها بلارحمة.
******

بعد ثلاثة أيام..
توقف ينظر اليها تعد طاولة الطعام بطريقتها المعقدة والتي تعلمتها في أحد النوادي المتكلفة والتي أصرت على الانضمام اليها بعد زواجهما بحجة أنها زوجة رجل مهم، وأنها يجب ان تستقبل ضيوفه بمايليق. ابتسم بحنان قبل أن يتألق القلق في عمق عينيه وهو يرى اهتزاز أصابعها لتقع الادوات على الطاولة محدثة رنين مميز.. وبلحظة كان الى جوارها:
-هل أنت بخير يافريدة؟
نظرت له بشحوب منذ متى هو هنا؟ خفضت عينيها كي لايرى اضطرابها وتوترها:
-بالطبع أنا بخير انا فقط..
وتعلقت كلماتها في الهواء بينهما وهي تستدير لتعاود التقاط الأدوات التي وقعت فتنهد ذياب بنفاذ صبر وأمسكها من كتفيها لينظر في عينيها هاتفاً:
-ماذا هناك يافريدة؟ أنت متوترة منذ الصباح ولاتكفين عن الحركة هنا وهناك وكأنك لاتطيقين الجلوس أو الراحة؟
اتسعت عينيها بذعر هل لاحظ؟ وكيف لا؟؟ لقد كان ذياب حبيبها كيف لن يلاحظ توترها الذي أخفى خوفها وذعرها...
-لقد وافقت.
هتفت تقاطع أفكارها بحزم لتضيق عيناه ويهمس بخشونة:
-هل هذا مايثير توترك وانزعاجك؟ هل تريدين الغاء الأمر لأنني مستعد لهذا فريدة الأن وفي التو.
اتسعت عينيها بذعر اكبر وهتفت:
-لا لا.. لن نلغي الأمر وأنا قطعاً لست منزعجة.

ناظرها بشك لتهمس محاولة الابتسام:
-انه التوتر لا أكثر.. ليس في كل يوم أخطب لزوجي..
حاولت أن تسبغها بالمرح ولكنها خرجت شاحبة ومخنوقة.. ليتنهد بأسى ويجذبها لتستكين بين ذراعيه هامساً:
-ليس عليكي القيام بهذا ياحبيبتي. ليس علينا خوض هذه التجربة مطلقا.
-بلى انها فرصتنا الوحيدة ذياب وأنت قد وعدتني.
هتفت بعناد لينظر اليها بجدية:
-خوفي أن ينقلب الأمر علينا فريدة.. أخاف أن نظلمها.
اهتزت عينيها للحظة قبل أن تحتد ملامحها وصوتها:
-أبداً ذياب نحن نقدم لتلك الفتاة فرصة عمرها، انتشالها من ذلك الوضع المزري لتدخل حياتنا معززة ومكرمة ولن نظلمها قط.
تنهد مطولاً وهو يشعر بالضيق يجتاحه..
لايريد.. لايريد هذا الزواج الذي فُرض عليه من قبل زوجته.. ياللسخرية!
تراجع عنها وجلس الى مقعد وثير قريب يراقبها بصمت بينما عادت بتركيز لعملها، ما الذي سيحدث بعد؟ كيف سيعيش مع امرأتين في بيت واحد؟ كيف سيكون مع تلك الفتاة وقلبه بيمين فريدة وبين ضلوعها؟
كيف له أن يعدل بينهما كما يفرض عليه دينه وهو يظلم الفتاة منذ الان وقبل حتى أن يتزوجها برفضه لها؟! لقد تساهل كثيراً مع زوجته ومع أمه التي لم يعد يهمها سوى الأمل بأن ترى أحفادها في يوم ما؟ ولكن ما الذي سيفعله؟ لقد اقتنع منذ وقت أنه لن يكون

له ذرية مادامت فريدة لن تكون الأم لهم.
والأن؟؟!
أغمض عينيه قبل أن يشعر بيدها تستريح على كتفه:
-متعب؟
فتح عينيه بابتسامة:
-لا.. مادمت الى جواري.
اتسعت عينيها بفرح وهمست متلعثمة:
-لن نقيم عرساً فالفتاة لاتزال في حداد مجرد عقد قران.
زفر بانزعاج بينما استمرت هي بانفعال:
-سأذهب غداً لدفع ايجار منزلها لباقي الشهر والشهور الماضية المتأخرة، وسنتفاهم على بعض الامور.. حتى يتم زواجكما في أفضل فترة لحصول الحمل.
-فريـــــدة؟؟؟!
هتف بغضب وهو ينهض لتواجهه بعينين متسعتين ببراءة جعلته يشتعل بالغضب أكثر:
-هل تعين لما تقولينه؟ أنت تتحدثين وكأن الأمر.. وكأنه مجرد..
-اتفاق.. أليس هذا ماهو عليه؟
-انه زواج يافريدة مهما قمتي بتغيير او تحوير معناه.. وهذا يعني أكثر بكثير من الاتفاق الذي تحلمين به.
رفعت حاجبيها وهمست:
-أتحاول تحذيري من شيء ياعزيزي؟
-فقط اريدك أن تحسبي حساب أي شيء، متوقع أو لا.
-لا تقلق.. اترك لي كل شيء لأقلق بشأنه.
-ممتاز.. سأذهب الأن وأترك لك كل شيء كماتريدين.
قالها بسخرية لم يتمالكها واندفع بعد أن قبلها على وجنتها برسمية للخارج بينما

تتابعه بعينيها والقلق ينهشها وهي لاتعرف ماسبب ذلك الألم الذي انتهكها بقوة وقتها.

•••

ستتزوجه غداً..

جلست مضطربة كلها ترتجف وهي تتأمل ثوبها المصنوع من الكريب والحرير والذي أحضرته فريدة لها هذا النهار، كان بلون الوَردْ محتشم بكمين من الحرير ورقبة مرتفعة بينما ينسدل الى كاحليها. حين ارتدته لتراه عليها فريدة كانت تبدو كراهبة، رات ابتسامة فريدة الراضية وهي تهمس لها أن السائق سيمر غداً في الصباح ليقلها هي والخالة أم أسعد الى قصر آل الشريف حيث سيتم عقد القران بحضور زوجها وولديها وأفراد قليلون من عائلة الشريف. عرفت منها أنهم لن يقيموا احتفالية من أي نوع احتراماً لأمها.

امتلأت عينيها بالدموع حينها ونهضت تجذب الثوب لتقف أمام المرأة تنظر له امام جسدها النحيل، تذكرت أمها بألم..

"ستكونين عروساً رائعة"

همست لها يوماً وهي تسرح لها شعرها الذي كان طويلاً وامتد لخصرها..

"ستكونين باذخة الجمال بالثوب الابيض والطرحة الملكية التي ستلامس الارض.. زوجك سيكون فارساً أنيقاً ببذلة راقية وعينين لاتريان سواكي، سيكون عرسك اسطورياً يا ملاكي"

سقطت أرضاً تضم ركبتيها اليها ببكاء حار ونياط يمزق القلوب..

لن يكون هناك عرساً أسطورياً ماما؟

لن أرتدي الأبيض..

وزوجي.. تحشرجت أنفاسها وهي تجهش

بالبكاء وهي تفكر.. زوجي..
لم تجد ماتصفه به.. هي لاتعرفه من الاساس، لم تره قط. لم يأتي أبداً مع فريدة ولا حتى مع أمه التي زارتها مرتين. وكأنها مجرد شيء بلاقيمة.. ستقدم له حياتها ومستقبلها ولاتتوقع منه حتى الاهتمام.
لم تهتم لمسح دموعها وهي تنهض لتعلق ثوبها بحرص وتعود لفراشها رغماً عنها تتذكر مناقشتها المحرجة للغاية مع فريدة بشأن التوقيت المناسب لحملها..
وكأنها مجرد بقرة استيلاد لامشاعر لها.
كتمت دموعها بالوسادة وهي تتذكر أسئلة فريدة المحرجة والتي لم تفهم بما يجب أن تجيبها فقط هزت رأسها بخجل وحمرة تكاد تحرقها.
بقرة استيلاد..!!
فكرت بغثيان.. مشاعرها تثور رفضاً ولكنها مقيدة ولايوجد سبيل أمامها الا لتمضي للأمام.

.....

الصباح التالي
وقفت مع الخالة أم أسعد في البهو الواسع لقصر آل الشريف مديرة عينيها لماحولها بذهول.. كان البهو وحده يكبر شقتها بمراحل، أو على الأصح ماكانت شقتها. لقد غادرتها اليوم للأبد. اغراضها القليلة في حقيبة واغراض والديها المهمة في أخرى بينما تكفلت الخالة أم أسعد بالباقي.
-مرحباً بالعروس.
سمعت البهجة بالصوت الحاني والذي اجتاحها بدفئ وهي تلتقي حماتها بخجل، والتي لم تتركها واقفة بل أقتربت تعانقها بمحبة بالغة هاتفة:
-أنرتِ بيتك ياصغيرتي.. وأنت كذلك

يافاطمة.
بادلتها التحية بخفوت وهي تدير عينيها خفية بحثاً عن نظرات مسروقة بتوتر..
قلق؟!!
-لاتخجلي ياصغيرة ابني ليس هنا.
هتفت السيدة ماجدة بخبث جعل وَردْ تتوَردْ فعلاً وهي تخفض عينيها هامسة بخشونة لم تتعمدها:
-لم أكن أبحث...
وكتمت ما ارادت قوله حين ضحكت السيدة ماجدة بقوة وجذبتها من ذراعها:
-بالطبع بالطبع.. ولكن فقط لتشعري بالراحة لقد طردناه ليعود فقط مع المأذون والشهود بعد صلاة العشاء.. لتأخذي راحتك وتتجهزي بكل هدوء.
شعرت بالاختناق والحرج وهي تتبع السيدة الراقية عبر سلم رخامي طويل تتبعها جارتها والتي كانت مبهورة بكل ماحولها من ثراء..
-أين فريدة؟
تسائلت بقلق لتقول حماتها ببساطة:
-انها في غرفتها تعالي الأن.
ومضت بها عبر ممر طويل الى باب خشبي من ضلفتين فتحتهما على وسعهما هاتفة بسعادة:
-تفضلي بنيتي هذه غرفتك.
دخلت وَردْ بعينين متسعتين بذهول..
هذه...تسمي هذه غرفة؟؟!! كان جناحاً فاخراً غرفة جلوس أنيقة بكنبات زرقاء وكريمية سجادة زرقاء داكنة وسقف من الكريم المزين بالثريا والنقوش الزرقاء من الجص المنحوت تحوط أركانه.. تلفاز بحجم هائل يواجه الكنبات ثم عدة ابواب..
تقدمت مترددة تلحق حماتها الى أحدها لتقف أمام غرفة نوم هائلة لم ترى مثلها

قبلاً سرير ملوكي وفرش فاخر باللونين الكحلي والذهبي.. شرفة واسعة بستائر كحلية ثقيلة وأخرى ذهبية شفافة.. طاولة زينة مليئة بكل ماتحلم به اية امرأة من ادوات زينة وعطور وغيرها.. ثم باب يفضي لخزانة ضخمة احتوت الكثير من الملابس وحماتها تقول:

-أنا وفريدة اشتريناها لكي..

التفتت لها مصعوقة دون أن تقدر على التكلم او التعبير عمايجيش بداخلها من مشاعر.. بينما تتلفت حماتها حولها بفخر:

-قمنا بتزيين الجناح بأكمله من جديد حتى الاثاث كلها جديدة.مارأيك به؟

-انه..!!..

تحشرج صوتها لتصمت فاقتربت منها حماتها بحنان:

-أنه جهازك ياعروس.. وباستثناء المطبخ فكل شيء متوفر لراحتك.

خفضت عينيها بمشاعر متخبطة.. لم تتصور ابداً وفي أعتى خيالاتها أن يكون الأمر هكذا؟؟ أن تعيش حلماً كهذا!! حتى وأمها تصف لها عريسها الأمير.. الفارس القادم من أساطير الخيال لم تحلم بكل هذا البذخ، لطالما كانت أحلامها بسيطة..كماكانت حياتها..

بسيطة وواقعية..

أدارت عينيها بماحولها بذهول.. انها تعيش في قصر الأمير فمتى سيأتي الوحش الذي سيشاركها هذا الحلم..

أو ربما الكابوس؟؟

-سأتركك الأن لترتبي اغراضك الخاصة.. ثم سنتناول الغداء معاً قبل مجيئ باقي أفراد العائلة.

-من؟؟

تسائلت بلهفة تخرج نفسها من مشاعرها الغريبة:
-شقيقتا ذياب وبعض ابناء عمومته.. أنت لن تستقبلي أحد بالطبع أنت ستكونين هنا حتى مجيء ابني.
شحب وجهها وخفضت وجهها تهرب من عيني حماتها الذكيتين واللتي همست:
-ستكون الأمور جيدة جداً، فلاتقلقي ياصغيرتي.
اومأت وَردْ بطاعة بينما بقيت حماتها تتحدث مع الخالة أم أسعد تؤكد لها على مجيئ زوجها وولديها بالموعد ليشهدا على عقد قران وَردْ وذياب. بينما عادت وَردْ للنظر حولها.. واقتربت من الشرفة التي انفرجت ستائرها الذهبية تظهر بوضوح المنظر الرائع للحديقة الخلفية.. بساتين النخيل والحديقة الجميلة.. أخذت نفساً عميقاً محملاً بروائح الطبيعة وحاولت تجاهل دقات قلبها المتواثبة.. دون نجاح كبير.

***

ذلك المساء..
وقفت تنظر لثوبها الاحمر الطويل بعينين أنهكهما البكاء وأخفت تعبهما وارهاقهما الزينة المتقنة بأيدي خبيرة التجميل، لتظهرها فاحشة الجمال بطريقة تدير الرؤوس..لطالما كانت فريدة جميلة وفاتنة بعينيها المسحوبتين باغراء وثقل رموشها وشفتيها المكتنزتين. جمال امرأة ناقصة!
فكرت بوجع قبل أن تسيطر على دموعها بصعوبة أبت عليها كرامتها أن تذرفها بكبرياء.. تركت شعرها الاشقر يتساقط على كتفيها تستعد لمواجهة الجميع وأولهم زوجها.
-تبدين جميلة..

انقبض قلبها بألم وهي تسمع صوته، النبرة المشروخة خشونة همساته التي لامست منابع انوثتها بفجاجة وجعلتها ترتجف بلا رحمة.
التفتت اليه ببطئ تنظر للبدلة الرسمية بلونها الرصاصي وقميص أسود وقد أظهرت تفاصيل جسده المشدود كوتر وقامته الطويلة والتي استندت على باب غرفة نومها.
-وأنت تبدو انيقاً للغاية يا عريس.
همست ولم تعي أن نبرتها ستكون مخنوقة لهذه الدرجة.. مكلومة لهذا الحد.
اقترب لتتسمر مكانها وهو يصبح قريباً لدرجة ان ترى اسوداد حدقتيه الرمادية، كما يكون عادة في أشد لحظات الغضب أو العاطفة.
ولكنه لم يكن غاضباً.. ولم تكن لتسمح له باستغلالها بعاطفته الأن.. وهو على وشك أن يعقد قرانه بسواها بعد لحظات؟؟ أمسك كتفيها بقوة وهزها للحظة وهتف بيأس:
-لديكي الوقت لتتراجعي.. فقط قوليها وسألغي كل شيء.
تصلبت، انه يعطيها الخيار مرة أخرى.. لقد وصلا الى نقطة اللاتراجع ستخرج الأن وتواجه معظم افراد عائلته بصلابة تليق بزوجة ذياب الشريف وتقف الى جوار عروسه دون أن تظهر روحها الميتة.. وهي من قتلها.
لم تكذب عليه حين قالت انها فرصتهما الوحيدة ولن تكذب على نفسها الأن بالغاء ما رغبته طيلة حياتها. سيتزوج بوَردْ ولكن ذياب سيكون طيلة عمره ملكها. غيرتها السخيفة التي جعلتها تنفجر بالبكاء قبلاً ليس لها اساس. بمجرد حمل وَردْ وجودها في حياتهما سيكون هامشياً. مجرد مربية

لابنه.. وابنها.
-ضيوفك وعروسك بانتظارك حبيبي.
لايجوز هذا.
أفلتها بصدمة.. يراها كما لم يرها من قبل.
قبل قليل حين وقف يراقبها بجمالها المشع كالشمس رأى عينيها عبر المرآة تحمل دموعاً لم يتحملها. عرف مشاعرها وكيف لا؟ انها زوجته.. ظن للحظة أنه قد يقدر.. ولكن..لاشيء كان سيغير نظرتها ورغبتها.
تصلبت عينيها بعدها واختفى الضعف لتسودهما تلك النظرة المجنونة التي كانت تظهر في أحيان نادرة للغاية هو ماجعله يتراجع مدركاً أنها قد أتخذت قرارها ولن تتراجع عنه أبداً.
عليه هو الآن أن يفي بجزئه من تلك الاتفاقية.. وهو سيفعل.
-ممتاز.. لنذهب اذن.

ومد لها ذراعه لتهز رأسها رافضة:
-انزل أولاً.. أنا سأحضر عروسك.
رفع حاجبيه بنزق والتوى فمه بسخرية:
-لا ياعزيزتي.. تلك هي مهمتي أنا. في النهاية هي عروسي.. التي لا اعرف حتى شكلها.
شعت عينيها بحنق تجاهله وهو يستدير بخطوات واسعة مغادراً جناحها لجناح الأخرى..
شهريار..
فكر بنفسه بسخرية.. من امرأة لأخرى؟؟
وقف أمام جناح العروس الجديدة وألقى نظرة استخفاف لفريدة التي لحقته متعثرة بذيل فستانها الطويل وطرق الباب بقوة..
.....
وقفت مرتبكة ومستسلمة لأصابع تلك الفتاة التي أحضرتها حماتها وساعدتها

لارتداء ثوبها وتزيين وجهها ثم لف طرحتها الشفافة على رأسها بطريقة ناعمة. كانت تنظر عبر المرآة لنفسها باندهاش وهي التي لم تجرؤ يوماً على وضع زينة ما على وجهها هاهي الأن، عينيها يثقلهما كحل أسود وشفتيها بلون الوَردْ القاني.

-أبدو كعرائس المولد.

هتفت بشحوب لتضحك خالتها أم أسعد والفتاة:

-بل تبدين جميلة للغاية ياصغيرتي.. تعالي لأرقيك.

واقتربت منها ترقيها بصوت عالٍ ورائحة البخور الخانقة تتزاحم في صدرها حين ارتفعت تلك الطرقات القوية على الباب، رأت الفتاة تركض لفتحه قبل أن تعود مهرولة تقول بانبهار:

-عريسك هنا ياوَردْ..يريد أن يدخل.

الفصل الأول
قلوب أحلام زائرة

اتسعت عينا وَردْ بذعر وسارعت لاخفاء نفسها خلف أم أسعد التي هللت وبشرت وهي تصيح بالفتاة لتسمح له بالدخول ملتفتة الى وَردْ بحزم:

-قفي منتصبة وتوقفي عن اخفاض رأسك هيا.

تسمرت مكانها وهي تشعر بتوتر الجو حولها وتغيره حال دخول ذلك الرجل الى غرفتها، ضاق الهواء حولها وتجاهلت نظرات ام أسعد وتحذيراتها وهي تخفض رأسها محاولة ايقاف ضربات قلبها الهادرة وكأنه سيثب هارباً عبر قماش ثوبها الناعم.

حالما دخل تغضن وجهه برائحة البخور ولكنه سرعان ما سيطر على مشاعره وهو ينظر لعروسه.. او بالأحرى لما ظهر منها..

عروسه مغلفة وكأنها لعبة!!

مغطاة من رأسها لأخمص قدميها، الثوب يظهر

قدها النحيل والحجاب يغطي شعرها وحتى وجهها تخفيه للأرض. نظر ليجد خلفه فريدة فأخذ نفساً حاداً قبل أن يتقدم نحو الفتاة التي سيعقد قرانها عليه بعد لحظات ومس مرفقها المغطى بالحرير هامساً بخشونة: -تفضلي.

انتفضت بقوة بفعل لمسته الخفيفة بل هي قفزت ان شاء الدقة ووجهها يرتفع اليه بنظرة مذعورة لينعقد حاجباه بشدة قبل أن تشيح عنه مجدداً ناظرة للمرأة قريبة فريدة والتي شجعتها بدفعة من يدها، لتتحرك معه باتجاه الباب.

ارتجف قلبها بصورة تثير الشفقة.. كان هو!! مَنْ رأته ذاك اليوم أسفل منزلها! كان هو مَنْ سمرها بعينيه المرعبتين وقامته المهولة والتي تسير الى جوارها الان باتجاه المأذون الشرعي الذي سيزوجهما؟؟!!

خلفهما الخالة أم أسعد تطلق زغاريدها بلاتوقف والتي سرعان ماقابلتها أخرى مماثلة من الاسفل.. أمه شقيقتاه ربما.. كانت تمشي بارتباك وكادت تقع من على السلم متعثرة بذيل ثوبها ليقبض بشدة على ذراعها ولايفلتها، كانت أصابعه تحرقها ولكنها لم تحاول الابتعاد كانت بحاجة للمساعدة وكان هو الوحيد الذي سيقدمها لها منذ الأن فصاعداً. أجلسها على أريكة منخفضة في الصالون الفاخر أمام مجموعة من الناس لم تتعرف على أياً منهم سوى عمها ابا أسعد وولديه أسعد وهاني. وجلس هو الى جوارها ساقه تقارب ساقها حتى كادت ركبته تحتك بها. تراجعت بخجل منكمشة على نفسها تحبس دموعها بصعوبة.

كلهم غـرباء!!

حتى شاهد زواجها.. وزوجها نفسه!!
كان أكثرهم غرابة؟
بحثت عن أحد تعرفه..شخص قريب منها
قريب بالدم.. بالروح؟؟
لم تجد، تعلقت دمعتها على أطراف رموشها
الكثيفة حين رفعت عينيها لتلتقي عينيه
الرمادية بلون الدخان...
كان هو قريبها الأن.. بل أقرب..
التقطت القلم الذي ناولها اياه وبحركة
آلية وقعت مكان ما أشار اليها..
كان أقرب شخص اليها الآن..
الآن هو زوجهـا؟؟!!
***
انتهى الأمر..
اختنقت بالبكاء المرير لم تابه لزينتها
التي لطخت وجهها ولا لثوبها الذي تجعد
وهي ترتمي على السرير الواسع، تزوج ذياب..

رباااه كم تحرقها الغيرة وهي من سلمته
لعروسه..
لو قال لها أي أحد..كم ستكتوي وبحرقة
النار التي استعرت بداخلها.. شهقت بدموعها
وكادت تنهار..ولكن لا.
فريدة منير لن تنهار بهذا الشكل. نهضت
بسرعة خلعت ثوبها وسارعت الى الحمام
لتغسل وجهها وتغير ملابسها لسروال من
الجينز وبلوزة حريرية، ثم التقطت حقيبة
صغيرة وضعت بها اشياءها الضرورية ليومين
فقط واندفعت للأسفل.
كان يجلس مقيداً بابتسامة بدأت بالشحوب
حال خلو المكان من الجميع سوى شقيقته
الكبرى سارة وطفلتها الشقية أمل والتي
جلست الى جوار العروس تنظر لها بانبهار
وفرح وتمسك كفها بين يديها هاتفة
بكل سؤال يخطر على بالها دون مراعاة

لأحد.
-ماسمك؟
"وَردْ"
-كم عمرك؟ ماما تقول أنك لا تكبرينني كثيراً؟
"..ااا...."
-لِمَ لا ترتدين ثوباً ابيض كخالتي ملك يوم زواجها؟"
"لأن..لأن "
همست متلعثمة لينقذها هو بطريقة ساخرة كما فكرت حين نهض وحمل الصغيرة المشاغبة من خصرها متجاهلاً اعتراضها ليذهب بها الى أمها ضاحكاً وهو يهتف:
-هذا يكفي أيتها المحققة الصغيرة..
-ولكنها لم تجب عن اي سؤال؟
هتفت معترضة زامة شفتيها بغضب ليرد:
-قالت لك ان اسمها وَردْ.

سمعت اسمها منه لترتجف اسمها الذي تخيلته طيلة حياتها يعبر عن هشاشتها ورقتها لتكتشفه شيئاً أخر الأن.. شيء غامض حتى بالنسبة إليها. نظرت له يعهد بالطفلة الى والدته مبتسماً لها ببشاشة.. كان يبتسم حقاً تغيرت قسماته الخشنة فبات انسانياً. رجل لاتعرفه ولم تعرفه أبداً. مر الوقت بسرعة فكر ذياب عابساً وهو يلوح للسيارة التي تقل والدته وشقيقته سارة وعائلتها بالاضافة لزوجته فريدة بعيداً لقضاء يومين في ضيافة سارة كما أخبرته أمه بفرح قبل قليل. لم يكن يظن أنهم سيتركونه وحده معها!! ما الذي يخيفك ياذياب؟ انها لن تعضك؟
زفر واغلق الباب شاعراً بالضيق من منظر فريدة البائس وهي تتحاشى حتى لمسه أثناء الوداع. لم هي غاضبة منه؟ ألم تكن هي

صاحبة الفكرة والمصرة لاقناعه مهما كلفها هذا الأمر.
صعد الى جناحه ولوهلة أخطأ الطريق الى جناح فريدة وتوقف في منتصف الرواق مشتت الذهن قبل ان يتنهد ويعود مستديرا الى جناح الأخرى بثقل، حين دخل عليها كانت بقايا البخور تقبع في الهواء وكما قالت امه اطباق العشاء مرتبة على الطاولة..تذكر توصيتها بأن يضع في فم تلك الصغيرة بعض الطعام فقد رفضت تناول الغداء معهم واكتفت بعصير طازج لتصلب طولها.
تقدم نحو غرفة النوم ليراها هناك واقفة بارتباك وكأنها على وشك الهروب.
لم تعرف اين يجب ان تذهب، ما إن سمعت الباب يغلق حتى انتابها جزع غريب نهضت تتلفت حولها بحثا عن مكان ملائم للإختباء ولكنه رآها قبل ان تفعل، وقفت كلصة ضبطت بالجرم المشهود وهو ينظر لها بتركيز!! عليها ان تهدأ انه زوجها على كل حال.
ولكن تسمرت متسعة العينين تناظره برهبة حابسة أنفاسها، لايزال يرتدي بذلته الانيقة وان علق سترتها على كتفه وحل ربطة عنقه لتتدلى على جانبيه. واستقام بطوله المهول وغامت عيناه ففقدت لونها الدخاني المميز وبدت سوداء قاتمة بينما حملت ملامح وجهه السمراء انزعاجه وأصبحت شفتاه كخط رفيع، كان متشنجاً في وقوفه وحين تنهد شعرته يزفر أنفاسها هي لتشهق خارجة من تأثير وجوده القريب البعيد عنها.
اخذ نفساً مشبعاً برائحتها التي طغت هنا على روائح البخور مزيج من رائحة الوَردْ

والزهور البرية، اقترب منها ملقياً سلاماً خافتاً لتجيبه بصعوبة، كان يواجهها الان لاتفصلهما سوى بضع خطوات لم يملك سوى التأمل في وجهها الذي رفعته اليه ببرائة.. بريئة أكثر من اللازم؟ ثوبها المتزمت لايفصح عن شيء من ملامح جسدها وغطاء شعرها لايزال على رأسها تذكر بلمحة ما بدت عليه فريدة من فتنة يوم زفافهما، تذكر كيف كان يمنع نفسه عنها بصعوبة في ذلك الحفل الفاخر الذي أقامته والدته لابنها البكر. أزاح الفكرة عن رأسه وازداد عبوسه لتنتفض وَردَ بذعر وتنزل عينيها للأرض فسارع قائلاً يريد انهاء التوتر السخيف الذي احاط بهما:

-لم لا تغيرين ثيابك وتنتعشين في الحمام أراهن بأن الثوب خانق قليلاً.

لم تتحرك من مكانها وأصابعها تعبثان بطرف ثوبها بعصبية ليسخر بخفوت:

-ماذا؟ هل أكلت القطة لسانك؟

زمت شفتيها بقوة ودموعها تهدد بالانهمار، لم تشعر الا بأصابعه الطويلة الخشنة وهي تحيط بذقنها وترفع وجهها اليه بذهول ليهمس بحدة:

-ماذا؟ لقد سمعتك تتحدثين مع ابنة أختي قبل قليل؟ أم أنني محروم من هذه النعمة؟

-أسفة..

دمدمت ليرتفع حاجباه:

-اذاً تتكلمين والحمدلله ظننت بأنني تخيلت قبلاً وأني تزوجت ببكماء.

"كم هو كريه"

فكرت بحنق وقد تجاوز غضبها خوفها وهي تتراجع للخلف خطوة ليهتف بها بنفاذ صبر:

-هيا اذهبي وغيري ملابسك لن تبقي طيلة الليل هكذا.

استدارت من أمامه لتغيب خلف باب الحمام والذي أغلقته بحدة جعله يفكر.. لم كان نزقاً وشريراً بهذه الطريقة؟ تنهد مطولاً وهو موقن أن الليلة ستكون طويلة فعلاً.

"وقح..وقح"

شهقت بالبكاء وقد تخلى عنها الغضب وهي تنزع ملابسها قطعة بعد الأخرى وتندس تحت شلال المياه الدافئة ترغب بقضاء وقت طويل كي تنسى ماحدث وماسيحدث بعد.

انها خائفة.. خائفة حتى الموت.

ضمت جسدها اليها تاركة المياه تبلل شعرها الخفيف وتغسل بعض من توترها، لم يخبرها أحد.. لم يشرح لها أحد، احتقن وجهها بالحمرة وهي تخفيه بين ركبتيها ربااااااااه كم هي ساذجة.. وهو..!! هو كان كل شيء أخر.

نهضت بسرعة أقفلت المياه ومضت تجفف نفسها بسرعة وانسلت عبر باب يفضي مباشرة لغرفة تبديل كانت قد وضعت بها خالتها أم أسعد ثيابها قبلاً. قميص نوم أبيض طويل بكمين قصيرين من الدانتيل وروب مماثل. ومشطت شعرها المبلول بحركات سريعة وكأنها تهدف لانتزاعه من جذوره قبل أن تخرج اليه وعلى وجهها الصغير تجلت برائتها وخوفها تقودها شجاعتها لمواجهة لا تعرف حتى قواعدها.

انتظرها بصبر وحالما خرجت من الحمام شعر بأنه فعلاً قد وقع في الفخ.

فتلك لم تكن سوى طفلة.. رغم تاكده من عمرها الذي تجاوز سن الرشد إلا أنها وقفت أمامه كتلميذة متهمة بظلم تبدو كما قالت ابنة أخته سليطة اللسان لا تكاد تكبرها ببضعة سنين.

شعر بأنه عجوز رغم كونه لم يتجاوز

الواحدة والثلاثون بعد. كانت قامتها لا تكاد تتجاوز المائة والخمسون سم ربما اكثر بواحد أو اثنين!! وجهها رقيق كحبة ثمر وشعرها؟؟!! ياللهول.. التصق برأسها فبدت وكأنها سمكة قد خرجت من البحر لتوها؟؟؟ ثم كانت عينيــها..!

-خذي جلالك سنصلي معاً.

قالها بصوت متحضر حاول جهده أن يبقيه كذلك كي لايضحك بهستيرية.

اومأت متصلبة واندفعت لتحضر جلال صلاتها ووقفت خلفه على سجادة فرشها لها.. صلت خلفه بهدوء وبعد السلام نهض وراقبها لا تزال راكعة على ركبتيها وقف أمامها بطوله المهيب فلم تجرؤ على رفع رأسها، لم تجرؤ وهو بكل تلك القوة والهيبة قلبها يتخبط وسط صدرها برعب لم يستكين. انتفضت بقوة حين شعرت بيده تحط على رأسها وسمعته يتمتم بكلمات لم تفهمها قبل أن يبتعد عنها كالملسوع وقبل أن تعود خفقات قلبها للضرب بقوة سمعته يهتف بجفاء: -تعالي لتأكلي.

ابتلعت ريقها بصعوبة: -لست جائعة.

نظر لها باصرار:

-أنت لم تأكلي منذ الصباح.. ولست مستعداً لأطوف بك فجراً حين تسقطين فاقدة الوعي بحثاً عن طبيب.

تلككت تبحث عن اعذار أخرى كي لاتشاركه الطعام الا أنها لم تجد فنهضت مرغمة، نزعت جلالها ثم تبعته الى الغرفة الملحقة، جلست جواره بصمت وهي تنظر الى الأطباق الشهية بنفسٍ مسدودة ليهمس لها بصرمة: -كلي.

ازدردت لعابها بصعوبة ومضت تأكل بضيق. اشتدت قبضتاه ولكنه لم يعلق يراقبها

تأكل الفتات فقط لتظهر له أنها تأكل، وبعد انتهاءه نهضت تلملم الاطباق ليسألها بدهشة: -ماذا تفعلين؟
احمرت وجنتيها: -أنظف الطاولة..!!
همست بارتباك لينهض بهدوء وهو يؤنبها:
-لدينا خدم وظيفتهم أن يفعلوا هذا..
اتصلي فقط على المطبخ وواحدة ستأتي لتقوم بعملها.
احتقنت عينيها بدموع حبيسة بينما تجاهلها هو بالكامل وغادر الطاولة، شعرت بنفسها حقيرة الى جواره فتاة فقيرة جداً تنتقل لقصر الأمير وتضيع بداخله. مسحت دمعة تسللت الى وجنتيها بعصبية وأنفاسها تتسارع ومشاعرها تتخبط بين الدونية التي وضعها تحتها وبين الغيظ الشديد لكل ذلك التكبر المثير للاعصاب والذي يظهره بكل لمحة من لمحاته، وتغلب الغيظ على كل مشاعر أخرى وبدت نزقة وعصبية وهي تهتف به بحنق:
-أنا أسفة لهذا..
نظر لها ببرود لتصيح بانفعال:
-أسفة ان أخطأت وبدأت بتنظيف الفوضى التي تسببت بها.. أوتعلم لماذا؟
رفع حاجبه بصمت لتكمل:
-لأنني تربيت على هذا وكبرت على شراء وتحضير طعامي بنفسي.. ثم تنظيف مائدتي وغسل أطباقي. لم أولد وبفمي ملعقة من الذهب لأجد من يطعمني ويخدمني لأتدلل طيلة اليوم.
تصلبت ملامح وجهه وهو يلاحظ خيط الدموع الذي انساب على وجهها ذو الكبرياء وهي تقترب هاتفة:
-أنا لست بالأميرة المدللة كما تعتقد أنا مجرد فتاة عادية للغاية. أفعل كل شيء

بيدي منذ كنت في العاشرة من عمري.
ثم اضافت ببؤس:
-اذا أردت بامكانك انِ تتصل بمن تريد لينظف.. أنا متعبة جداً.
وحاولت تجاوزه لغرفة النوم ليقبض على ذراعها بقوة جعلتها تشهق وهو يديرها لتواجهه.. عينيه عاصفتين بلون الدخان وشفتاه مقوستان بعبوس شديد وهو يحذرها:
-لا ترفعي صوتك أمامي مجدداً.. وثانياً أنت سيدة في هذا المنزل ولست خادمة. كما أخبرتك لدينا من يقوم بهذا العمل بالفعل.
لا تعرف ان كان يجب أن تشعر بالإطراء لكلامه أم بالاهانة. ولكن احساسها الاخير كان أقوى خفضت عينيها مكرهة تهرب من عينيه النفاذتين فأفلتها وسارعت بالهروب الى سريرها.
ارتمت على المفرش الذهبي بصمت حتى الدموع لم تجرؤ على الهطول. تحس بحجر يجثم على أنفاسها.. مضت بضعة دقائق قبل أن تشعر به ينضم اليها بهدوء.. تصلبت وتراجعت الى طرف الفراش ليهمس بتهكم:
-نامي بهدوء يا صغيرة.. فلست بمزاج للعب الليلة.
شهقت وانهمرت دموعها حينها بينما لم يبال هو حتى بالنظر اليها.. شعر بها تتكور بعيداً فزفر بضيق واستدار للجهة الأخرى وأغلق عينيه وهو يدمدم بحنق:
" تباً لكِ فريدة!"

انتهى الفصل الأول
قلوب أحلام زائرة
www.rewity.com

الفصل الثاني

تصلبت قدماها تأبى الدخول الى ماعتبرته طيلة سنوات، منزلها!
رأت حماتها تصعد الدرجات القليلة نحو بوابة القصر فتبعتها بصعوبة، كيف ستقابله؟ كيف تنظر في عينيه بعد ثلاثة أيام كاملة قضاها بعيداً عنها وبين ذراعي امرأة سواها؟
كادت تجن خلال الايام الماضية تجن غيرة وملامة لنفسها لسماحها بهذا الأمر. تقتل نفسها بيديها ببطئ موجع.
ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تدخل الى البهو الهادئ في حين حماتها تقول بحماسة:
-اه لابد أن العروسين لازالا نائمين.
وسكتت وعينيها تحملان نظرة الذنب وهي تنظر لفريدة التي احتقنت بقهر وهي تصعد السلم لجناحها هامسة بخفوت:
-سأغير ملابسي.

حاولت ايقافها بكلمة ولكن فريدة واصلت طريقها بسرعة متجاهلة حماتها. وقفت على الممر تنظر باتجاه جناح المرأة الأخرى تكبت احساس عارم بالألم قبل أن تشيح بوجهها وتتجه الى جناحها.

فتحت الباب لتجد الغرفة باردة بانتعاش فشعرت بالقلق.. من يدخل غرفتها في غيابها. وتقدمت لباب غرفة النوم الموارب لتفتحه على وسعه وتتسع عينيها بذهول.. كان راقداً هنا.. على سريرها هي.. على فراشها هي؟؟!!

وحـده؟!

اقتربت بخطى متعثرة وراقبت ذقنه النامية بصورة غير اعتيادية وعيناه المسبلتان بهدوء وهناء..يالله كم اشتاقت اليه جلست على حافة الفراش ولامست جانب وجهه بحب هامسة باسمه لترتعش عيناه

استجابة.. قبل أن يفتحهما ببطئ وبعد لحظ كان يبتسم لتقفز دقات قلبها بجنون وهو يلامس جانب وجهها الناعم هامساً:

-اشتقت اليكِ..

لمعت عينيها بالدموع وهي ترتمي على صدره الرحب ليضمها بقوة ولايمهلها قبل أن يحشرها أسفل جسده مضيفاً بصوت غلبه الشوق:

-اشتقت اليكِ بجنون يا حبيبتي..

استسمت لقبلاته الحارة والتي أطارت بصوابها وقلبها يرتجف من الفكرة التي لم تبارح عقلها، ذياب لها..لها ولم يكن لغيرها ابداً..

-أا..أنت لم..لم..

همست بتردد من بين قبلاته ليهز رأسه بعنف وهو يتمت وشفتاه على عنقها:

-لم أستطع.. ابداً لم أقدر أن اقترب منها وعقلي وقلبي عندك أنت فريدة.

كادت تفرح.. أرادت أن تفرح بجنون..قلبها يخفق ويحثها ان تفعل. ولكن عقلها.. تبا له من عقل.. شعر برفض غريزي لما فعله..وهي من تكبدت كل هذا العناء رباااااااه،،
-ذياااااااااب؟؟!!
انتفضت تبعده عنها بحنق.. ليناظرها بذهول وقد استعاد وعيه من نشوته التي أخرجته منها بعنف:
-كيف؟؟ ياللهول كيف استطعت فعل هذا؟
-فريدة؟؟
هتف باستنكار لتهتف بعصبية:
-انت خربت كل شيء..انها فترتها الذهبية كيف تضيعها من بين يديك؟
بردت عيناه بقسوة ونهض عن الفراش هاتفاً:
-يبدو أنني فعلاً قد أخطأت.
-لا تبتعد عني الآن.. يجب أن نتحدث.

صاحت بحنق ليتجاهلها ويسرع الى الحمام الملحق ويتركها تتخبط في غضبها قبل أن تقرر أن تذهب الى تلك الصغيرة التي فشلت في جذب رجلها لها..
تبا لها من حمقاء!
رأت حماتها تتلكك على باب جناح ورد فهتفت بها بعصبية:
-لا تتردي عمتي فهي وحدها.
-كيف عرفتِ؟
-لأن ابنك المجنون قد قضى لياليه السابقة في غرفتي انا.
اتسعت عينا حماتها بدهشة وفريدة تهتف بغيظ:
-انه سيثير جنوني بعد كل ماتركنا نعانيه في الفترة الماضية هو ينام قرير العين و..
وبترت كلامها وورد تفتح الباب وتراقبهما بفضول ممزوج بالدهشة..

كانت قد استيقظت لتوها وسمعت حينها الاصوات خارج الباب لم تفهم من يسبب الضجة فبعد ليلتهما الاولى استيقظت عند الفجر لترى انها وحدها.. ومنذ ذاك الوقت أدركت انه ابتعد. والخادمة الصغيرة التي كانت تعتني بها اخبرتها أنه يقضي وقته في مكتبه وفي تلك الليلة لم يأتي اليها ايضاً.. لن تنكر أنها شعرت بالراحة لمعرفتها انه عاد لغرفته القديمة.
واطمأنت لهذا.
-هل أنتما بخير؟
همست لفريدة وحماتها التي ابتسمت لها بتوتر وخجل:
-صباح الخير بنيتي..أسفة لايقاظك بهذه الطريقة.
-لابأس..مرحباً بعودتكما.
هتفت ورد بفرح وهي تضيف:

-كنت أشعر بالملل..
يالله أي رجل يجعل زوجته تمل في أول أيام زواجهما؟؟
فكرت أمه بذهول "ذياب ماذا حدث لك بني؟"
-بالتأكيد ماذا تريدين منه أن يفعل وأنت ترتدين له مثل هذه الاشياء المقرفة؟
صرخة فريدة الغاضبة اخرجتها من أفكارها وجعلتها تنظر لزوجة ابنها الاولى بذعر وتعود لرؤية وجه ورد الممتقع قبل أن تنزل بعينيها لما ترتديه.. مجرد بيجامة فضفاضة قديمة من القطن تحمل طبعات ورد أحمر حال لونها.
-انا..انا..
دفعتها فريدة للداخل بغلظة تقاطعها هاتفة بحنق:
-أنت ماذا؟؟ أين القطع التي اشتريتها لك؟؟

لم لم ترتدينها؟
-لم أرى داعياً لارتدائها وأنا انام وحدي من الأساس؟؟
صاحت ورد بحنق وقد اغاظها انفجار فريدة المروع.. لتصمت فريدة مبهوتة مفكرة ان للوردة أشواك بعد كل شيء..
-ربما لأنه رآك هكذا...
-لا لم يفعل..
صاحت بحدة وعينيها تلمعان بألم قبل أن تستدير عنهما وتسرع الى غرفة نومها مغلقة الباب خلفها بقوة. تسمرت فريدة قبل أن تسمع حماتها تقول بتأنيب:
-لقد أخطأتي فريدة.. أنت تدفعينهما بطريقة متهورة.
-ماذا تعنين عمتي؟
همست بشرود لترد عمتها:
-أعني بأنك لاتعرفين نتيجة ماتفعلينه وتتصرفين بدوافع أنانية.
-نتيجة ما افعله هو الطفل الذي أريد لا شيء سواه.
قالتها بتوتر لتضحك عمتها بتوتر:
-مخطئة أنت يا ابنتي. فالقلب نتائجه وتقلباته مروعة.. لا تستهيني بها أبداً.
لم تفهم ما تريد عمتها أن تقول بل راقبت طيفها يبتعد بتساؤل قبل أن تزفر بضيق وتخرج هي الأخرى.
***
على الغداء ذلك اليوم كان الجميع صامت وكأن على رؤوسهم الطير.. جاورت فريدة ذياب بينما اتخذت ورد جانب حماتها. وترأس رجلهما الطاولة.. حاولت أمه فتح مواضيع مرحة ليشارك بها الجميع ولكن بعد الردود المبهمة من ابنها والمقتضبة من فريدة وصمت ورد المدقع.. اكتفت من

المحاولة وصمتت هي الأخرى.
وقبل نهاية الوجبة قال ذياب بلهجة قاطعة:
-سأسافر عصر اليوم وسأغيب لأسبوعين..
فريدة جهزي حقيبتي المعتادة.
-حاضر.
همست قبل أن تسأله وهي تمس كفه بخفة:
-الى أين هذه المرة؟
أزاح كفه ببرود وأجاب:
-تونس في البداية ثم ايطاليا..
وقبل أن تتنفس كان ينظر لورد بتصميم:
-وحضري حقيبتك أنت الأخرى
فسترافقينني.
اتسعت عينا ورد بصدمة بينما هتفت فريدة:
-ماذا؟؟
نظر لها ببرود أشد والتوى فمه بسخرية هامساً:
-ماذا؟؟ انها فكرتك الا أضيع الوقت؟؟
وقبل أن ترد عليه كان يزيح كرسيه ناهضاً:
-كوني جاهزة في تمام الخامسة يا ورد.. لا أريد التاخر.
وتركهن وحدهن.. فريدة تضغط على كفيها بقوة تكاد تحطم معها اظافرها المطلية بعناية بينما ورد كانت تطالع الفراغ بخوف من فكرة قضاء أسبوعين معه وحدهما تماما، فيما كانت أمه تفكر بذياب الذي تراه للمرة الأولى والذي لخوفها الشديد لا تعرفه ابداً.ولكن احداهن لم تجرؤ على الاعتراض ففريدة حضرت حقيبته بكل ما قد يحتاجه كما أمر وأمه ساعدت ورد لترتيب أغراضها وهي تعي للفتاة التي لم تسافر خارج مدينتها قط من قبل..

وفي الخامسة تماماً كانت السيارة التي يقودها سائقه الخاص تقودهما الى المطار معاً.
في الطائرة تشنجت بخوف تتأمل المقصورة الفاخرة للدرجة الأولى، وهو بجوارها كمن اعتاد العيش بترف وترحال طوال عمره
سمعت دوي صوت الطيار يعلن عن ربط الأحزمة استعدادا للمغادر لتغلق عينيها بقوة وهي تقرأ المعوذات بهستيرية صامتة..
-أنت خائفة؟!
همسته فاجأتها لتنظر له بذعر فتنهد قبل أن يطمئنها:
-لا تخافي يا ورد فقط أغمضي عينيكِ وسينتهي الأمر قبل أن تدركي.. خذيها نصيحة مني وتقبلي كل مخاوفك بعينين مغمضتين حتى تنجلي.
تسمرت للحظة وهي تغوص في عينيه الرماديتين قبل أن تطلب بصوت مرتجف:
-هلا أمسكت بيدي؟
تردد للحظة قبل أن يرى احتياجها في عمق عينيها فيبتسم ويمد يده ليساعدها بعقد حزامها حول خصرها الضيق ثم يقبض على كفها الدقيق الذي غاب كلياً في قبضته القوية وهو يهمس لها:
-لا تخافي وأنت معي.
انتابها الارتياح بشكل غريب لم تعهده ومالت لتستند لظهر مقعدها الوثير وأصابعها تتشابك بأصابعه بلهفة طفلة غريبة. ثم اغمضت عينيها تحتفظ بلمحة جانب وجهه المنحوت كدرع خفي ضد مخاوفها.
*****
نزعت ورد حجابها بهدوء ورتبته على مقعد مقابل لسريرها الوثير في تلك الغرفة الرائعة في فندق من الدرجة الاولى في

العاصمة التونسية حيث تركها ذياب منذ قليل وغادر الى اجتماع مهم كما قال.
الجناح به غرفتا نوم وصالة صغيرة وحمام واحد تشترك به الغرفتان عبر بابين منفصلين. كانت قد تجولت فيه بفضول غرفتها ناعمة بلونيها الابيض والوردي وستائرها المخملية. بينما غرفته كانت تجمع اللونين الرمادي والأسود كمزاجه تماما. كان قد وضع حقيبته أسفل سريره، هل يجب عليها أن ترتبها؟؟
تخلت عن الفكرة وعادت لغرفتها لتغير ثيابها لملابس مريحة اكثر ثم رتبت ما بحقيبتها في خزانتها ووضعت أدوات زينتها البسيطة على الطاولة. وحينها شعرت بقرقرة معدتها الصاخبة.
تلوت بألم انها جائعة، فبعد أن اخبرها عن سفرهما على الغداء لم تضع لقمة في فمها

والآن الساعة تقارب التاسعة مساءاً وهي لم تاكل منذ الصباح وقد اكتفت فيه بفطيرة صغيرة محشوة بالجبن وكوب من الحليب.
نظرت للهاتف وفكرت بخدمة الفنادق التي تسمع عنها على الدوام ولم ترها سوى في الافلام.. رأت القائمة الموضوعة بأناقة الى جوار الهاتف.. لائحة بأرقام الخدمات وتحتها بكل ماتقدمه رأت رقم المطبخ واشتهت طبق يسمى "طاجين"..
من اسمه فقط ولذا تحلت بالجرأة وأخذت السماعة لتطلب الطاجين بصوتها الرقيق..
بعد نصف ساعة فقط سمعت الطرقات الهادئة على الباب لتقفز مرتدية حجابها وتفتحه مواربا لترى عامل الفندق بزيه الرسمي وابتسامته اللطيفة يطلب منها السماح له بالدخول لتتردد هامسة:
-زو..زوجي غير موجود..فقط ضعه مكانه

سأدخله أنا.
احمرت وجنتيها وهي تنطق بكلمة زوجي ولكن الرجل لم يناقشها بل مد لها بمحفظة جلدية وهو يطلب منها بأدب أن توقع على الفاتورة.. ففعلت باسم زوجة السيد ذياب بخط مرتجف. واعادتها للرجل الذي انحنى باحترام قبل أن يغادر بخطوة سريعة. لتتابعه بعينيها للحظات قبل أن تمد ذراعيها وتجذب الطاولة بالعجلات للداخل.
جلست على الطاولة تفترش الطبق الذي وضع عليه قدر متوسط مصنوع من الطين وبها طعام يبدو شهياً للغاية مزين بالمكسرات يتصاعد منه البخار لتغمض عينيها متنشقة الرائحة الشهية ثم بدأت تأكل بنهم.

.....

عاد للفندق بعد العاشرة بقليل.. دخل إلى جناحه وهو يمني نفسه بحمام قصير ونوم طويل بعد انهاك اليوم. حينما توقف متصلباً لرؤيتها..
كانت مستلقية على كنبة وثيرة أمام التلفاز جهاز التحكم بيدها بينما تكورت حول نفسها لا تكاد تختلف عن أمل ابنة شقيقته الصغيرة.. وقد انهمرت خصلات شعرها العسلية تغطي وجهها بينما التف ثوبها القطني حول ساقيها بفوضوية. رفع حاجبيه بتأثر وقد نسيها تماماً.. نظر حوله لبقايا الطعام على الطاولة ويكتشف أنه لم يأكل منذ الغداء.. واقترب ينظر بفضول للطعام المتبقي.. لم تأكل سوى حصة قليلة جداً وتركت الباقي تحسس القدر الطيني ليدرك أنه لايزال دافئاً.. وتغلب تعبه على جوعه وأعاد الغطاء وهو ينظر اليها مجدداً، ودون تردد اقترب ليسحب جهاز

التحكم من يدها وبرقة شديدة حملها بين ذراعيه الى غرفتها.
خفيفة كالريشة لم تكن تثير في نفسه سوى نوع واحد من العاطفة..
الشفقة لما أدخلها إليه بيديه..!!
وضعها برفق على سريرها وتذكر توصية أمه.. "استغل فرصة ابتعادك بني.. تلك الفتاة زوجتك."
تنهد واستقام مبتعداً وهو يمسح وجهه بكفيه هامساً لنفسه:
-انت متعب يا ذياب.. متعب ولا تريد ان ترتكب خطئاً وأنت مجهد هكذا.
وعاد يتأمل وجهها الصغير.. ورغب لوهلة ان يرى عينيها.. بلون التفاح الأخضر... ابتسم بشرود ثم استدار بحزم ودخل الى الحمام وبعد مدة قصيرة دخل الى غرفته ليغرق بالنوم مباشرة.

الفصل الثاني
قلوب أحلام زائرة

أمضيا يومين أخرين في تونس ثم توجها الى ايطاليا، في الطائرة وكما في المرة الأولى امتدت كفها تنشد قوته أحاطها بقوة أصابعه بينما شعرت هي بالأمان وأغلقت عينيها.
تأملها خفية.. طيلة اليومين السابقين كانت وكأنها عصفورة هادئة يحملها برفقته، لا يكاد يسمع لها صوتاً ولا حتى يراها.. أعماله استلزمت منه الغياب ولوقت طويل عنها ولكنه يصر على تغيير هذا الآن، كانت زوجته وسيفعل المستحيل ليتغلب على ذلك الاحساس الغريب بأنه يرتكب أكبر أخطاءه كلما كان يحوم بالقرب منها، وايطاليا كانت المكان المناسب.. بعيدة، هادئة.. ولا عمل لديه يبعده عنها طيلة اليوم.
ابتسم بهدوء واغلق عينيه هو الأخر لينعم

ببضع ساعات من النوم قبل الهبوط.
بعد وصولهما ورحلة السيارة الطويلة من المطار الى منطقة ريفية جميلة للغاية لم ترى مثلها في حياتها توقفت ورد بعينين متسعتين بالاثارة وهي تنظر لداخل الكوخ الخشبي الجميل والذي يطل على سفح جبل رائع.. لم ترى في حياتها شيء مثله، أبداً.
تنقلت في الكوخ الصغير الحميمي بفرح وهي تصيح:
-انه راائع، لم أرى في حياتي شيء كهذا.
رفع حاجبيه باستمتاع لردة فعلها الطفولية للكوخ الذي يعشق والذي يحرص على استئجاره كلما استطاع ليقضي فيه بضعة ايام من السكينة والهدوء، وقارن ردة فعلها برد فعل فريدة حين جاء بها الى هنا مرة ليريها معتزله الخاص والحميمي..
لم يصدق حينها صرخة الرعب التي

أطلقتها وهي ترى الكوخ البدائي بموقده الخشبي الضخم ولأثاثه العتيق وشخر بسخرية وهو يتذكر مظهرها وهي تعاود حمل حقيبتها للخارج مصرة على العودة للمدينة وأفضل فنادقها.
منذ ذاك الوقت وهذا المكان له وحده..فقط. ولكنه الان شعر أن ورد ستتلائم جيداً مع بدائية هذا المكان وبساطته.
-انه كامل..
هتفت بفرح وهي تفتح ذراعيها مشيرة لكل ما حولها فضحك رغماً عنه:
-باستطاعتك هنا أن تمارسي كل ما تريدين من تنظيف وخدمة نفسك بنفسك التي تعيشين عليها، كما ترين لا خدم أو حشم هنا.
احتقن وجهها وشعرت بعودة احتقاره لها الا

أنه أشاح عنها وقال:
-لا تسيئي فهمي يا ورد.. أنا أفعل هذا كلما أتيت.. على الاقل انا أطهو طعامي وانظف خلفي.
رفعت حاجبيها مندهشة بصمت وراقبته يلتقط الحقيبتين ويتجه الى جزء خلفي من الكوخ:
-سأضع هذه في غرفة النوم، رتبيها في الخزانة ريثما أذهب للمتجر وأحضر لنا بعض اللوازم.
-هل استطيع المجيئ معك..أرجوك؟
هتفت برجاء.. ونظر لها بتعجب، كانت تضم كفيها الى صدرها وعينيها تتسعان بترقب، أيمكن أن تبدو أكثر طفولية؟؟ مستحيل.
تنهد واومأ لها بالموافقة لتبتهج عيناها وتتألقان وهي تسرع للخروج قبله..

في المتجر الضخم كادت تضيع منه بضع مرات وهي تتندس بين الرفوف للبحث عن الاصناف المختلفة والتي لم ترى مثلها من قبل كما يبدو.. وفي احدى المرات التي أضاعها بها كان يتلفت حوله بيأس والغضب يتصاعد بداخله ..هذا ما كان ينقصه، يأتي بزوجته ويضيعها.. رباه أين ذهبت؟
فكر بجنون وهو يترك مشترياته عند أحد منافذ البيع ويندفع للبحث عنها، عليه ان يأتي لها بهاتف.. حالما يجدها سوف..
وتعلقت فكرته ببلاهة وهو يناظرها أمامه..
"رباااه ما هذا؟؟"
فكر بذهول وهو يراها بالكاد قادرة على رفع العديد من العلب البلاستيكية المكدسة فوق بعضها بيد واحدة بينما تتشبث الاخرى بكيسين ضخمين من أكياس شرائح البطاطا..

-ساعدني..
هتفت به بحدة جعلته يجفل وهو يسرع حاملاً العلب التي تجاوزت الخمس علب من المثلجات بالحجم العائلي..!!
-ما هذا؟؟
هتف بها بغضب لتصرخ بانفعال:
-أتصدق هذا.. انظر لحجم المثلجات.. وهي بقطع الشوكولاته ايضا.. اووه انا لا أصدق..
تأملها بعينين متسعتين ثم نقل بصره الى العلب وهمس: -ستأكلين كل هذا.؟؟
لمعت عينيها بجشع وهي تلامس العلب:
-انا مدمنة على مثلجات الشوكولاته..
كنت أدفع نصف راتبي فقط لأجلها.. لن أنام الليلة..سأحضنها فقط.
ضاقت عيناه بتشوش.. وراقبها تحتضن كيسي البطاطا وتختطف احدى العلب منه

الفصل الثاني
قلوب أحكام زائرة

وتمضي حيث وضع عربتهما بسرعة متجاهلة نظرات الجميع الضاحكة ونظراته الحارقة.
قاد ذياب السيارة المستأجرة الى الكوخ مقاوماً رغبتين متناقضتين بالضحك والصراخ عليها،،
كانت تجلس الى جواره وقد وضعت في حجرها أحد أكياس البطاطا وعلبة من المثلجات ومضت تحشو فمها بالاثنين بحماس.. راقب كيف تولي المثلجات الجزء الاكبر من اهتمامها فتغلق عينيها باستمتاع قبل أن تفتحهما هاتفة:
-تلك كانت قطعة كبيرة..
وتعود لتدفن وجهها الصغير جداً في العلبة الضخمة.
-ستصابين اما بالمغص او بالتهاب اللوزتين ان استمريتي على هذا الحال؟
رباااه وكأنه يخاطب ابنة اخته..!

-انها تستحق.
همست بتذمر وهي تغوص في مقعدها متجاهلاً القهقة المكتومة التي صدرت عنه..
في ذلك اليوم قامت ورد باستعراض قدرتها الممتازة بالطهو.. ورأت بريق الرضا من عيني ذياب وهو يتذوق ما صنعته قائلاً:
-أنه جيد للغاية، بالنسبة لفتاة صغيرة..
-لست صغيرة..
اعترضت بحنق قبل ان تحمر وجنتيها وهو يرشقها بنظرة حادة تقيم ملامح وجهها الخالي من الزينة والمتشبع بملامح طفولية لاتقاوم.. ثم اصابعها التي التفت حول خصلة من شعرها لاعبتها بتوتر جعلته يبتسم بسخرية:
-بالتأكيد..
زمت شفتيها بحنق وعادت لتناول طعامها..

راقبها لبعض الوقت ثم قال محاولاً فتح حوار معها:
-لم لا تحدثيني عن نفسك؟
-ماذا تريد أن تعرف؟
همست باضطراب ليهز كتفيه:
-قولي اي شيء فانا ورغم العقد الذي يربطنا الا أنني لااعرف عنك شيئاً..
شعرت بالحرج وخفضت عينيها وهي تعي تلميحه ان ما بينهما مجرد.. صفقة او ربما.. اتفاق ليس أكثر.
-ليس.. ليس هناك ما اقوله.
همست مخنوقة لينظر لها بتركيز.. وجهها اصبح أحمراً وعينيها اخفتهما بمهارة بين طيات شعرها الذي تساقط حول وجهها.. بدت تلميذة مسكينة واقعة في ورطة:
-حدثيني عن عائلتك..والدك ووالدتك.
رفعت وجهها بسرعة ورأى عينيها تبرقان

أدرك أنه اختار الموضوع الملائم فقد افترت شفتيها عن ابتسامة وهي تهمس:
-والديّ.. هما أفضل الناس في الدنيا.. رغم كل شيء.. رغم كل ماعانيناه الا انِ حبهما لبعضهما ولي لم يفتر ولم ينقص ابداً..
وشرد بصرها وهي تهمس:
-والدي علمني ان أكون مسؤولة عن نفسي.. أن أكون قوية وكأنه كان يعلم ماسيحدث وأنني سأنتهي وحيدة..
شعر بكلمتها الأخيرة تخرج مخنوقة من حلقها ليقبض بسرعة على كفها ويهمس لها بخشونة:
-لستِ وحيدة يا ورد..أنا معك.
نظرت له بتوتر ليبتسم بعصبية:
-أنسيتي أنني زوجك.. أنا لن أدعك وحيدة ابداً.
احتقنت العبرات في صدرها وأراد أن يريحها فحاول التحدث بشيء أخر..
-ماذا عن دراستك؟
خفضت عينيها وهمست بحزن:
-أنا لست جيدة بالدراسة.. ولذا لم أرغب بدخول الجامعة..
ضاقت عيناه واقترب منها :
-لابد من شيء تجيدينه.. ألم تفكري بشيء معين؟
-ما الفائدة؟؟
تسائلت بسخرية وهمست لعينيه المهتمة:
-أنا متزوجة الآن.
عقد حاجبيه:
-أنا زوجك ولست سجانك..ان أردتِ ان تكملي دراستك فانا لن أمنعك.
قالها بفظاظة لتحمر خجلاً وتهمس:
-أنا..أنا اردت دوماً تعلم الرسم..
-هل تجيدين الرسم؟؟

-يقول أبي انني جيدة.. ولكن لم يرى احد رسوماتي.. ليس سواه وأمي.
ثم أضافت بخجل متلعثمة:
-معاهد الرسم تكاليفها باهظة ولم أكن اقدر على توفير ما تكلفه لذا فقط..
"نحت الفكرة عن رأسها"
فكر بعبوس.. وربت على كفها هامساً:
-لا تقلقي.. سنرى الامر حين نعود..
صدمت لوهلة قبل أن تشع عينيها بالامل وهتفت بفرح: -حقاً؟؟!!
ابتسم واوماً بتأكيد لتقفز من مقعدها بسعادة:
-شكراً شكراً..لااعرف كيف اشكرك.
وبدون اي تفكير ارتمت تلقي بساعديها خلف عنقه وتضمه لها بقوة وهي تتقفز بسعادة.. كما كانت تفعل ابنة أخته حين يفاجأها بهدية أو لوح من حلواها المفضلة!

كانت ذراعيه الى جانبه.. لا يجرؤ على مبادلتها عناقها البريء والمتحمس.. والذي انسحبت منه بوجه ممتقع وهي تنظر لعينيه الدخانيتين بحرج والخجل يلطخ وجنتيها..
-أاسفة..
همست بصوت مخنوق وهي تتراجع ليسارع دون تفكير بالقبض على ذراعها.. ومتجاهلاً شهقتها المتفاجأة كان يجذبها اليه بسرعة خاطفة ويغيب باقي شهقتها في فمه..
فبالرغم من منظرها المشابه للأطفال وهي تبدي سعادتها.. الا أن مشاعره تجاهها لم تكن أبداً لتقارن بردة فعل رجل لطفل..
بل كانت ردة فعل رجل..لامرأة.
ردة فعل رجل.. لزوجته..!
******

وقفت بغباء تطالع وجهها في المرآة.. تبحث عماتغير بها؟ لم تكن حمقاء كلياً لتفكر

كيف لقبلة واحدة أن تغير ملامح شخص ما! ولكنها فعلت.. رباه لقد قبلها ذياب؟؟ احمرت وجنتيها بخجل وهي تتذكر تلك القبلة التي جعلتها تتوقف مكانها بذهول، تتجمد حتى عن الرد او التنفس، راقبت ابتعاده وملامح وجهه المشدودة وكأنما فاجأ نفسه قبل أن يفاجأها.. ودون كلمة كان ينسحب! هل ارتكبت خطئاً ما؟ لامست شفتيها بتردد وكأنما ستحرقها ثم تنهدت وهي تفكر.. لقد مضى على زواجهما ما يقارب الاسبوع ولم يقترب منها حتى سوى اليوم؟؟

ألا تعجبه؟ هل كان مرغماً على الزواج منها؟؟ ومن قد يجبر ذياب الشريف؟؟

جلست باستياء على طرف الكرسي وهي تفكر سبب تركه لها حالما ابتعد بحجة التمشي بالخارج لبعض الوقت، وهي مارست مهامها بتلقائية.. نظفت الطاولة وبعدها المطبخ لتقف الان كالبلهاء وتناظر نفسها في المرآة!!

تنهد بحنق ثم تذكرت ما لديها في المبرد.. التمعت عينيها بجشع وسارعت لاخراج العلبة الضخمة من المثلجات والتي قد بدأت بأكلها في السيارة ثم جلست على الشرفة تلتهمها وهي تشاهد غروب الشمس..

لا تعرف كيف مضى الوقت لتتفاجئ بأنها قد التهمت نصف العلبة الضخمة دون أن تشعر حتى، ما أن حل الظلام حتى نهضت متكاسلة وهي تشعر بمغص خفيف وثقل في بطنها لتتأوه:

-سأصاب حقاً بالمرض..انا مفجوعة وأستحق.

تحركت نحو المطبخ تضع الباقي في البراد ثم غسلت ملعقتها وهي تهمس محادثة نفسها:

-يجب ان اتحرك باستمرار.. سيزول المغص واساعد نفسي لهضم كل تلك الكمية.
ثم توجهت نحو جهاز الراديو القديم وبحثت في ترددداته حتى وجدت احداهن تبث الحاناً شرقية ناعمة.. رفعت الصوت وبدأت تتمايل بخفة غارقة عن العالم حولها..!!
******

راقبها تتنقل فيما حولها كما الفراشة شعرها الطويل يتراقص على كتفيها بمرح وهي تدندن لحنا شرقيا مع نغمات تصاعدت من الراديو العتيق، لم يرها قط من قبل بهذا الاسترخاء والهدوء وكأن الابتعاد عنه ولو للحظات يبعث فيها شعورا بالحرية؟وقد اغاظه هذا الامر وأتعبه كما لم يظن ابدا.
لقد خرج بعد قبلتهما الخاطفة يحاول أن يبث في نفسه بعض الثقة، ويتركها لتعتاد فكرة الاقتراب منه دون ان يزيد عبء تواجده حولها عليها. ولكنها تبدو بعيدة جداً عن الاضطراب الذي كان يظن؟؟
وظهر الغضب على ملامحه وهو يقترب يخترق خلوتها بعصبية جعلتها تجفل وتتوقف حركاتها الراقصة دفعة واحدة وعينيها تتسعان بتوجس من مظهره المتحفز:
-لم اكن اعرف انك تجيدين الرقص؟
قال بحنق لم يعرف سببه.. لتجيب مترددة:
-لم.. لم ارقص.
همست بخوف ليكشر بابتسامة متوحشة وهو يحاصرها في احدى زوايا المطبخ:
-اتشككين بنظري وصحته؟ انا لم أجن بعد ورد انت كنت ترقصين كفراشة شقية.
تسمرت بذعر وظهرها يرتطم بالحائط وهو كان يقترب حتى شعرت بأنفاسه تلامسها بخطورة اقترب منها أكثر: -ذياب...!!

همست اسمه برجاء ولكنه لم يتوقف بل ازداد قربه حتى التصقت عضلات صدره بصدرها مما جعلها تشهق وترفع كفيها مدافعة تصد اقترابه المهلك.. ولكنه لم يمهلها وبكل عجرفة رجولية يملكها كان يحبس كفيها بقبضته متجاهلا اعتراضها الضعيف واحاطت يده الاخرى بعنقها مداعبا النبض الضارب بجنون الذي اشتعل بلمسته لتغمضعينيها فتلمع عيناه بشراسة وهو يأمرها:

-افتحي عينيكِ..

همست مرتجفة:

-أنت قلت أن أواجه مخاوفي بعينين مغلقتين حتى تنجلي؟

تذكر عبارته العفوية ولم يكن يدرك أنها تركت صدى واسع بداخلها ولكن تلك كانت مخاوف.. ولكن.. الآن؟

-افتحي عينيكي يا ورد.. مخاوفك شيء وأنا شيء أخر.

فتحت عينيها بتردد لتراه قريباً جداً يكاد يبتلعها بعينيه وهو يضيف بصوت لامست خشونته أطرافها بقسوة:

-أنا الخوف الوحيد الذي أريدك أن تواجهيه بعينيكِ ياورد.. فهما قوتك الكبيرة ونقطة ضعفي الوحيدة.

ابتلعت ريقها بصعوبة وشعرت بألم حاد ومفاجئ يمغص بطنها وغثيان قوي يتصاعد من داخلها.. أرادت أن تخبره ولكنه لم يمهلها واقترب يلامس شفتيها النديتين بشفتيه القاسيتين، مجرد إطباق عجف وكأنما يثبت سيطرته على فريسة لاحول لها ولا قوة.

لم تشعر ورد باحساس كالذي شعرته في المرة الاولى التي قبلها بها.. بل تزايد

غثيانها ليصبح كتلة تكاد تسد حلقها وبكل قوتها دفعته عنها لتهرب راكضة الى الحمام...
وقف ذياب مذهولاً ينظر الى أثرها ويسمع تقيؤها المؤلم عبر الباب الذي صفعته خلفها.. تسمر للحظات يفكر انها لابد تكرهه وبشدة ليثير تقربه منها رد فعل بهذا القوة.. ولكنه عاد ليتمالك اعصابه ويندفع خلفها وهو يدرك ان مرضها لا علاقة له به من قريب أو بعيد..
-ورد!! هل انت بخير؟
ناداها من خلف الباب لتجاوبه بأنين جعله يفتح الباب بعصبية ليجدها مكومة اسفل الحوض تحيط ببطنها ودموعها تغرق وجهها وهي تهمس بألم:
-أنا لست بخير.
لم يدم تصلبه سوى دقيقة واحدة قبل أن

يتحرك ليحملها بلا تأخير ويأخذها إلى الطبيب..
*****
"سوء هضم؟؟!!"
رماها بالكلمة بقسوة وعتاب جعلاها تنكمش وهي تشعر بالضعف الشديد بعد مرات عديدة من التقيؤ المستمر والذي لم يهدأ الا بعد اعطائها بعض المحاليل الوريدية، كان ذياب طيلة الوقت يمسك بيدها كطفلة صغيرة خائفة وبعد ثلاث ساعات من البقاء في المشفى عادا الى الكوخ ليجلسها على اريكة مريحة ثم يقف أمامها فارداً طوله المهيب ويهتف بالكلمة بحنق جعلها تنتفض وهو يكررها:
-كم بالضبط تناولتِ من تلك العلب؟؟
هتف باستنكار لتهمس بخجل:
-علبة واحدة.. أنا.. أنا حتى لم أكملها..

لم يعرف هل يصرخ اكثر ام يغرق بالضحك؟؟ رباه لقد تماسك طيلة الطريق بصعوبة يريد ان يمسكها من كتفيها ويهزها بعنف على غبائها وبنفس الوقت.. يرغب بالغرق في الضحك.. في الصراخ عليها كما يفعل مع امل؟؟

جلس الى جوارها وهمس:

-ذلك ما يحدث حين تفجعين بتناول الحلوى والمثلجات وحدك..

زمت شفتيها وعبست ليضيف مداعباً:

-لو كنت شاركتني لما حدث لك كل هذا..

نظرت له من تحت رموشها بدهشة لترى ابتسامته الملتوية وتسائلت بضعف:

-هل.. اعني.. ألست غاضباً مني؟

تنهد واستدار يواجهها قائلاً بحنان:

-لا يا ورد.. انا لست غاضباً بقدر ما كنت خائفاً عليكِ، كوني فتاة مطيعة ولا تخيفيني هكذا مرة اخرى.

-انا لست طفلة..

هتفت بحنق ليبتسم بتسامح:

-لا تتصرفي كواحدة اذن.

عقدت ذراعيها بغضب ليضحك ويسحبها معه ناهضاً:

-هيا الان.. تعالي لتغيري ملابسك ونذهب للنوم، لا أظنك تريدين تناول العشاء بعد كل ما حدث.

مست بطنها بتوتر وهتفت:

-لا لاأريد..

-جيد جداً.

قال متفهماً.. وهو يقودها لغرفة نومهما لتهمس بخجل:

-سأستحم واغير ملابسي.

اومأ لها بابتسامة لتركض الى خزانتها

وتلتقط بضعة اشياء قبل ان تغيب خلف باب الحمام، تنهد ذياب ومضى يغير ثيابه هو الاخر ويستعمل الحمام الخارجي قبل ان يعود الى غرفتهما لينظر عبر النافذة الى المنحدرات المظلمة خلف الكوخ..
شعر بحركتها حالما عادت الى الغرفة ليلتفت لها بجسده كله ويرتفع حاجبه وعينيه تلتهمانها بلا تحفظ، كانت صغيرة للغاية بقدها النحيل وقامتها المتوسطة وذلك الرداء المتحفظ الذي ترتديه لم يساعد ابداً في تعديل تلك الفكرة..
-تعالي الى هنا.
همس بصوت أجش لينتفض قلبها بذعر بين ضلوعها وشعرت انها لن تقدر على الحركة ولكن ساقيها اقتيدت كالمخدرة اليه لتصبح بين يديه في لحظة، عينيها في عينيه الثابتة بينما تبحث عن فرصة للهروب.. ليوأد محاولتها باحاطة ذراعه لخصرها باحكام وهو يجذبها اليه:
-أتشعرين بتحسن؟ هل زال الغثيان؟؟
اومأت بتردد وشعرها ينساب على جانبي وجهها مخفياً احتراقهما لقربه منها، لتمتد اصبعه وتزيح خصلة ناعمة منه وتلامس وجنتها وهو يتسائل بمكر:
-هل تعدينني بعدم التقيؤ ان قبلتك من جديد؟؟
شحب وجهها وخفضت عينيها تهرب من نظرته المحكمة لتشعر بضحكته تتردد في صدره الملاصق لصدرها:
-ان فعلتِ يا ورد فسوف اعاقبك هذه المرة.
رفعت ذراعيها بضعف لتصد اقترابه منها اسندتهما برفق على عضلات صدره القاسية ودفعته قليلاً ليشدد من احكام قبضته وهو يخفض رأسه نحوها.. كانت تشيح برأسها

عنه فناداها برقة لتلتفت اليه متسائلة:
-ماذا؟؟
وقبل ان تكتمل حروفها كما ينبغي كان يقبلها! لم تكن رقيقة كسابقتها ولا جلفة كالاخرى.. بل كانت استكشاف لطيف ولمسة ناعمة ناقضت قبضته القاسية التي أحكمت حولها كي لا تهرب او تفكر حتى بالابتعاد.
تصلبت هي ولم تبدي اي مقاومة تذكر وفمها يستسلم امام اكتساحه التدريجي، لتتحول قبلته الاستكشافية الناعمة الى قبلة متحكمة..صاعقة.. جعلتها تغرق فترفع ذراعيها تحيط بعنقه باستسلام مذعور وكأنها تخشى ان تسقط فعلاً.. لم تكن لتفعل شيء سوى الوقوف بين ذراعيه كصنم بينما ذراعاه تحيطانها بتملك وتلامسان جسدها الغض بحميمية جعلتها ترتجف، قبل أن يكسر هو اتصالهما باحثاً عن الهواء بتنهيدة عميقة.. رآها تغلق عينيها فأمرها بلطف:
-افتحي عينيكِ ياورد.
رمشت قليلاً قبل أن تستجيب لأمره وتفتح عينيها على وسعهما لامعة ومشعة بالحياة تلتقي بعينيه اللتين غيبتهما الرغبة خلف عاصفة من دخان جعلتها ترتعش وهي تهمس باسمه بصوت مهزوز جعله يكتم الباقي من أنفاسها بفمه بقسوة هذه المرة وهو يرفعها بين ذراعيه متجاهلاً شهقتها المعترضة قبل أن يسقطا معاً على الفراش الوثير وهو يغلفها بجسده دون أن يترك لها فرصة الفرار أو حتى المحاولة..
متمنعة بمقاومة بالكاد تحسب استسلمت له بكل ذرة فيها، صابراً على انعدام خبرتها متجاهلاً عدم تجاوبها الا بالنذر

كانت تغمض عينيها بقوة بينما لا تتوقف دموعها عن الانهمار، لا تعرف اهو الألم ام هو الخجل منه!! كان لايزال يضمها اليه بقوة رافضاً ابتعادها بعجرفة بينما يطبع قبلات رقيقة على جانب وجهها هامساً:
-لا تبكي.. هل ألمتك؟؟ ياالهي ورد..لم يكن الامر بهذا السوء؟؟ هل أنت بخير؟
كانت ترتجف كورقة ونشيجها يعلو..
ليرتفع عنها مرغماً ولكن ليس بعيداً وقبل ان تفلت كما كانت تنتوي كان يضمها الى صدره بحنان ممسداً ظهرها:
-توقفي عن البكاء الان..
-أريد أمي..
همست بوجع ثم اتسعت عيناها بصدمة ليحتقن شيء ما في صدره.. رباااه !!
انها وحيدة تماماً من دونه، كيف لم يفكر بهذا؟؟ بالاضافة لصغر سنها وبرائتها كانت ضعيفة ووحيدة..كانت منكسرة!! وهو كان وحشاً عديم الضمير بأخذها بتلك القسوة؟
-انا معكِ الآن لاتخافي.
همس لها بصوت متحشرج.. لترتجف اكثر وهي تحيط جسدها بذراعيها هاتفة:
-اريد الذهاب للحمام..ارجوك دعني اذهب.
اغمض عينيه بحنق قبل أن يرخي قبضته عليها ويتركها تركض بعد ان نهضت بارتباك تجر الملاءة حول جسدها الصغير وتغيب خلف باب الحمام..
رباااااه لم يشعر أن ماحدث خاطئاً للغاية..
تباً انها زوجته!!
فكر باستنكار ونهض بعصبية يرتدي ملابسه ويخرج سيجارة رفيعة ويخرج غضبه من نفسه عليها.
بينما تكومت ورد خلف باب الحمام المغلق

تضم ساقيها اليها برعب وهي تشهق بألم ودموعها تغرقها.. يالها من حمقاء سخيفة، حركت رأسها بعدم تصديق انها قالت له أنها تريد أمها، ياللاحراج..
بكت بحرقة.. لقد ظن انه قد أذاها بطريقة عنيفة!!
مسحت دموعها بحدة وهي تفكر"لم يكن الامر سيئاً بقدر ما جعلته يظن.. هي تألمت ولكن..ليس لتلك الدرجة"
احمرت وجنتيها واخفت وجهها بين كفيها "رباه كم كنت حمقاء لقد افسدت كل شيء"
عادت تبكي بمرارة وارتفع صوت نشيجها "لابد أنه يكرهها لأنها أفسدت الامر ببكائها ومناجاتها لأمها كالأطفال بتلك الطريقة الحمقاء كلياً" انتفضت حينها وهي تسمع الطرقات القوية على الباب..

-ورد افتحي البابِ.هل أنت بخير؟؟
كان صوته قلقاً يحمل بعض الغضب لتنتفض واقفة وهي تشد الملاءة حولها وتهتف بصوت متحشرج:
-أ..انا بخير..
تنهد بارتياح لسماع صوتها..كان يدخن بشراهة حين سمع صوت بكائها يرتفع من جديد ليغور قلبه بطريقة لم يعهدها من قبل.
-هل ستخرجين أم ستقضين باقي الليل في الداخل؟؟
تسائل بتوتر ليجيبه الصمت بضع لحظات قبل أن يسمع صوتها الخجول:
-ا..امهلني بعض الوقت.
تنهد بارتياح قبل أن يتراجع الى السرير ويستلقي عليه بقلق، لم تتأخر ولكنها اخذت وقتها بالفعل لتخرج بعدها

ملتفة بروب حمام واسع التهمها كلها وبدت بداخله كهريرة صغيرة مبتلة وشعرها يلتصق بجمجمتها في منظر مضحك لم يثر فيه سوى رغبة عارمة بضمها الى صدره ومواساتها.

-تعالي..

همس بصوت أجش وهو يرفع ذراعه نحوها دون أن يقف او يغير من وضعية استلقاءه.. لتتردد وتعض شفتها السفلى بحيرة، تريد ان تعتذر وتبحث عن صوتها الغائر ولاتجده، راقب هو من بعيد ترددها وخوفها فنهض بخفة واتجه نحوها..راقه جداً أنها لم تبتعد بل وقفت تنظر اليه وكأن الكون كله يتمثل به وحده، بعينيها الواسعتين جداً أثارت فيه مشاعر عنيفة سيطر عليها بصعوبة:

-هل أصبت بالصمم؟؟

ابتلعت ريقها وخفضت رأسها لينسدل شعرها حولها كستارة كثيفة فضحك بصعوبة وهو يشدها الى صدره.. شهقت ما ان لامس جسدها حرارة صدره وذراعاه تحيطانها بقوة، شفتاه تقترب من أذنها هامساً برقة:

-مبارك يا عروسي الصغيرة.

انتفضت بخجل واحترق وجهها وهي تتلقى قبلاته الصغيرة كفراشات تتراقص على بشرتها المحترقة، همست بإسمه باعتراض خجول ولكنه لم يمهلها بل ضمها اكثر واغرقها في عناق ناعم، قبلة ساحرة أنستها ألمها وضيقها وحتى خجلها، ينتزع استجابتها بكل بساطة..لم تكن لتتجاوب معه ليس بهذه السرعة، ولكنه رجل صبور.. للغاية.

*****

تراقصت الستائر الحريرية يدفعها نسيم بارد من أطراف الوادي.

وامتلأت الغرفة برائحة الورود والنباتات المتسلقة والتي زينت الجدار الخارجي للكوخ، بينما تعالى صوت حشرات الليل يداعب صمته ويشعله حياة.
لم يعرف السبب الذي جعله يفتح عينيه دفعة واحدة.. بتركيز شديد بحث في الظلمة عما يفتقده، تحسس الفراش الخاوي قبل أن يعتدل بحركة سريعة وهو يبحث عنها!
"ورد!!"
نادها بخفوت ولكن لم يجبه أحد، نهض بسرعة ليغلق النافذة ويوقف النسيم البارد الذي أصابه بالقشعريرة، ثم توجه للخارج.. حالما خطا متجاوزاً الباب سمع الاصوات المكتومة من المطبخ؟ بقدمين حافيتين وقلق يتصاعد تسارعت خطواته إلى هناك ليتوقف مدهوشاً وهو ينظر اليها.

كانت كما خلدت للنوم قبل ساعات فقط بين ذراعيه، ترتدي ذلك الرداء القصير بخيوط الحرير والذي لم يصل الى ركبتيها بينما تساقط شعرها حراً يتراقص على كتفيها وهي تتنقل بين الخزائن بخفة.
رفع حاجبه بتمعن واتكأ بكتفه على اطار الباب وهو يحاول معرفة ما تفعله في الظلام وبصمت محاولة عدم إصدار أي صوت،
وابتسامة ملتوية على وجهه همس بخشونة:
-هل تنوين الاصابة بسوء الهضم مجدداً؟
سمع شهقتها الملتاعة ورأى جسدها ينتفض واقفاً حين كانت تنحني لتأخذ شيئاً ما من خزانة مطبخ سفلية ليرتطم رأسها بقوة في الرف العلوي وتصرخ بألم..
لم تتوقع ابداً ما حدث.
حين استيقظت فجأة بعد منتصف الليل كان يحوطها بذراعه بتملك كما فعل في

كل ليلة من ليالي الاسبوع المنصرم، وبعد ليلة طويلة من العاطفة المشتعلة تنام بين ذراعيه حتى الفجر، ولكنها استيقظت على غير العادة بسبب الجوع! هي لم تتناول سوى القليل للعشاء، وبطنها الخاوية كانت سبباً مؤلماً لتنهض من نومها محاذرة الا توقظه وتتسلل الى المطبخ لتعد لنفسها شطيرة خفيفة.

لم تتوقعه قط أن يستيقظ ويفاجأها، والان هاهي وقد خبطت رأسها بقوة موجعة دفعت بالدموع لعينيها بينما يحيطها ذياب بذراعيه وصوته القلق يصرخ:

-هل أنت بخير؟؟ أتشعرين بالدوار؟؟ هل نزفت؟؟

كانت تدفعه بيديها بضعف تريد فقط أن تسيطر على دوارها في حين كان يفتش رأسها بعصبية صائحا بحنق لحركتها المتوترة والتي لم تتوقف:

-يا إلهي ورد توقفي دعيني افحص رأسك.

-انا بخير..

هتفت وهي تبتعد عنه لتدعك رأسها بألم وهتفت:

-مجرد كدمة صغيرة.

لم تر عيناه تلمعان بالغضب وهو يقبض على ذراعها ويسحبها اليه:

-دعيني أرى.

زفرت واستسلمت له ليدفع بأصابعه بين طيات شعرها بعد أن أشعل الاضواء باحثاً عن الدماء او جرح ربما وحين لم يجد سوى كدمة صغيرة تنهد براحة ونزل بأصابعه لتحيط بوجهها وترفعه اليه.

اتسعت عيناها ببراءة وهي تغرق في نظرة عينيه الدخانية وسمعت خشونة صوته وهو يهمس:

ذراعيه، فكر ذياب بسخرية.. ربما كانت استجابتها الضعيفة والخجولة جداً لعاطفته والتي كان ينتزعها منها في الايام القليلة الماضية هي أقصى ما يحصل عليه، ولكنه لم يعترض. كانت عذراء صغيرة خجولة وهو رجل صبور للغاية، وقد قرر الصبر والمضي قدماً معها خطوة بخطوة. ولكن أن تتجاهل سؤاله القلق حول صحتها وهي بين ذراعيه فهو ما كان لايستطيع تحمله..

رفع وجهها اليه بقبضة حازمة احاطت بذقنها وبنظرة متسلطة الى عينيها همس:

-أخبريني ورد.. ماذا كنت تفعلين؟

لجمت لسانها وهي تفتح فمها لتغلقه مجدداً ثم عضت شفتها السفلى المنتفخة بقوة تريد أن تخرج نفسها من حالة التوهان الغريبة التي تقع فيها كلما قربها منه، ولم تستعد ابداً لردة فعله حيث أصبحت عيناه

-أأنت بخير؟

احتقنت وجنتيها وشعرت بالحرارة تغزوها كعادتها حين ينظر لها بتلك الطريقة، لتومئ بسرعة فيتنهد ارتياحاً ويقربها لتغيب بين ذراعيه القويتين ساحقاً نعومتهاعلى صدره العاري وهو يعاود الهمس:

-ماذا كنت تفعلين بالضبط في هذه الساعة؟

احتشدت الكلمات على طرف لسانها ولم تجد القدرة على التحدث وهي تحاول السيطرة على دقات قلبها المتسارعة بجنون، لمسته لها لاتزال غير مألوفة وبطريقة غير حقيقية هي تدفع بكل الدم ليضخ في عروقها بطريقة محسوسة، شيء لا تدركه يحصل معها كلما وضع يده عليها! أوحتى نظر اليها بتلك العينين؟؟

لم تجرؤ على الكلام قط من قبل وهي بين

بلون السماء الغاضبة بعاصفة سوداء، واشتدت ذراعه المحكمة حول خصرها لتقربها منه أكثر بينما تحيط يده الاخرى بعنقها وترفعها اليه:

-ماذا قلنا عن هذه الحركة الغبية ورد؟

قال بخشونة لتحتقن وجنتيها أكثر وتحرر شفتيها ليمتلكهما هو بقسوة أبقت أنفاسها حبيسة صدرها برهبة، قبل أن ينتزع تجاوبها الخجول فتتعلق بكتفيه مغمضة عينيها غارقة في قبلته التي تسرق ليس فقط أنفاسها.!! بل جزءاً من روحها لم تظهره لسواه. تشبثت به تغرز أظافرها في كتفيه ليشدها نحوه في حمى عاطفة خيالية جعلتها تحلق عالياً متناسية خجلها الذي ذاب في حرارة جسده قبل أن يفلتها متنهداً لتتهاوى على صدره.. كيف يكاد قلبها يثب من بين ضلوعها بينما يطرق قلبه فقط بين اضلاعه؟؟!!

ألا يشعر مثلها؟! كل هذا الجنون؟؟ كل هذا....

دفنت وجهها أكثر على صدره المتعرق والذي كان يتحرك بقوة أنفاسه وهو يهمس بين طيات شعرها:

-رباااه أنت تطيرين صوابي.

شعرت بالذنب للحظة قصيرة جداً قبل أن يجتاحها سرور خبيث لأنه يشعر ولو بالقليل مما تشعر به.

-هل تنوين ان تخبريني عما تفعلينه هنا والان أم اخذك الى فراشنا واعرفه بالتفصيل؟؟

رفعت عينين مصعوقتين اليه لترى نفاذ الصبر بين مشاعر عديدة تتصارع في عينيه وانفاسه المتلاحقة لتجيب بعد عناء:

-انا جائعة..

عقد حاجبيه ثم استرخت ملامحه دفعة واحدة وهو يضحك بهدوء جعلها تناظره بعينين دائختين، ذبذبات ضحكته المسكرة تنتشر عبر جسده وتنتقل لها بطريقة فجة عبر كل جزء منه لامسها..
-لازلت مفجوعة؟؟
غمغم بسخرية لتتجهم نظرتها بينما تحيط كفيه بخصرها النحيل ويعتصرها بحميمة:
-هل ستجبريني على الركض بك الى المستشفى مرة أخرى هذه الليلة؟؟
-لاااا..
اعترضت بدلال وهو يعاود تقبيلها بشغف ليسمعا قرقعة عالية جعلتهما ينفصلا مدهوشين قبل ان يقهقه ذياب بمرح ويضع يده على بطنه هامساً باحراج:
-يبدو انك لست الجائعة الوحيدة يا فتاتي الصغيرة.

ضحكت بصعوبة وهي تسيطر على انفاسها مبتعدة لتكمل صنع الشطيرة التي كانت تعدها تحت نظراته الثاقبة ثم اقتربت تناولها اياه هامسة:
-سأعد لي أخرى.
تناول منها الشطيرة وكذلك كفها ليرفعه الى شفتيه مقبلاً راحتها برقة ثم شكرها بنعومة:
-سلمت يداكِ يا وردتي.
اشتعلت وجنتيها بالحمرة واستدارت عنه لتعد شطيرتها لتنحي الفكرة وقد غادرتها شهيتها وهي تستمع الى كلماته الناعمة والتي اطرى بها شطيرتها المتواضعة لتهتف باحراج:
-انها مجرد شطيرة..
ضحك وشعرت باقترابه المهلك منها وقف خلفها ليضع الطبق على طاولة المطبخ التي

اتكئت عليها ورأت انه بالكاد تذوق الطعام قبل أن تشتد ذراعه حول وسطها وتجذبها الى مقدمة جسده المشدود بتوتر، اغمضت عينيها وهي تغرق باحساسها اللذيذ ورأسه يستكين بالقرب من عنقها وشفتاه تلامسان أذنها بحميمية:

-لِمَ لم تأكلي؟

شعرت بقشعريرة تمر عبر عمودها الفقري وصوته المبحوح يداعبها بحسية لتجيب بصوت مهزوز:

-لقد شبعت.

تأوه بقوة وذراعاه تحيطانها بقسوة تقريباً بعد أن أدارها صوبه ليغرقها في قبلة ساخنة ومشاعرهما المحمومة تسيطر على كل ذرة في تفكيرهما معاً، لم تعد تفكر في خجلها وهي تحيط عنقه بذراعيها ولم يعد يفكر هو بمعدته التي توقف قريرها

وهو يحمل زوجته الصغيرة بسرعة دون ان يترك شفتيها ليعود بها الى فراشهما مقرراً ان تلك المداعبات الخشنة لرغباتهما المتقدة لم تعد ابداً كافية بالنسبة له.

******

بعد أسبوع.

عادا الى منزلهما أخيراً، نظر لها عبر مقعد السيارة التي تقلهما الى المطار بعد اتصال سريع بوالدته ورأى ملامحها العابسة والتي رافقتها منذ تركا الكوخ قبل ساعات.

-لا تحزني وردتي، سنعود الى هناك في الاجازة المقبلة.

اومأت بصمت واشاحت بوجهها عنه وهي لا تجد سوى هذا التفسير لعبوسها، وترتاح اليه، لم تشأ أن تخبره أن عودتها الى منزله ومواجهة أمه وزوجته الاولى هي ما يسبب لها هذا القلق.

أمسك كفها بين يديه وضغط عليه برفق، لا ينكر أنه هو الأخر يشعر بالقلق، وكيف لا؟! لقد تغيرت العلاقة بينه وبينها في الاسبوعين الماضيين، كان يحتويها بكل ما في الكلمة من معنى، أصبحت قريبة جداً منه ويخشى الابتعاد الذي سيجبر عليه ما ان يعودا للواقع، بين عمله الذي لا يرحم، وبين فريـدة!!!

تنهد بعمق والسيارة تتهادى برفق لتتوقف أمام بوابة المنزل لتنظر له ورد بعينين متسعتين قليلاً.. يدرك خوفها ولا يريد سوى طمأنتها لذا ابتسم في وجهها ببشاشة:

-مرحباً بك في منزلك يا عروس.

لم تنجح جملته كما يبدو لدرجة انه شعر بخيبة وهي تحاول الابتسام وتفشل.

ترجلا من السيارة واقترب هو منها ليحيط كتفيها بذراعه ويسحبها الى بهو المنزل،

فتحت لهما مربية المنزل السيدة فتحية الباب بفرح واطلقت زغرودة طويلة وهي تقابل نظرة عينيه الضاحكة لردة فعلها هاتفة بمرح:

-مبارك يا عريسنا.. تفضلا تفضلا..

احمرت ورد كعادتها وخفضت عينيها بينما تسمع ترحيب والدته من خلفهما والتي سرعان ما عانقت ولدها بمحبة قبل ان تفعل المثل لورد بحنان دافق:

-مرحباً بك في بيتك من جديد ياصغيرتي.

-مرحباً ياعمة..

همست بخجل وتوارت خلف كتف زوجها الذي تسائل بعفوية:

-أين فريدة يا أمي؟؟

"هنا"

سمع همستها المبحوحة من أعلى الدرج

ليلتفت لها مبتسماً.. لقد اشتاق اليها.. فكر بلا مواربة، وهو يلتهم منظرها المشع والمتألق اعلى الدرج.. ثوب طويل من الحرير البندقي طويلاً الى كاحليها وشعرها يتطاير على كتفيها بلونه الجديد العسلي.. تخلى عن كتفي ورد التي تراجعت بينما هو يصعد الدرجات للقاء زوجته وحبيبته الاولى..

-لم لم تكوني بانتظاري؟؟

همست بخشونة وهو يصل اليها لتهمس:

-أردت أن أعرف إن كنت ستسأل عني حال وصولك؟

رفع حاجبيه وتسائل بحنق خفيض:

-ألا أفعل في كل مرة؟

رمقت فريدة ورد بطرف عينها وهمست مخنوقة:

-هذه المرة مختلفة.

ابتسم لغيرتها الواضحة والتي أرضت غروره بشكل لم يتوقعه قط قبل أن يرفع أصابعه ليلامس اطراف شعرها:

-لون جديد؟؟

-أعجبك؟!!

شعت عيناه حناناً قبل أن يجذبها اليه ببساطة ويضمها هامساً:

-اشتقت اليكِ فريدة، اشتقت اليكِ حبيبتي.

اغمضت عينيها بحرج واستدارت تشيح عنهما لترى نظرة حماتها المتعاطفة وهي تجذبها من ذراعها:

-تعالي معي ياصغيرتي وأخبريني أين ذهبتما بالتفصيل.. ريثما يجهز الغداء.

تبعتها ورد باحساس عميق بالامتنان، لم تكن تدرك ماهية المشاعر التي ضربتها بقسوة حين رأت ذياب يعانق زوجته الاولى

أمامها، ولا حتى نسيانه الكلي لها ما ان وصل والتقاها، وهل يمكن أن تلومه؟؟!!
السيدة فريدة كانت تبدو غاية في الجمال.. هي نفسها قد شعرت بالانبهار لرؤيتها.. فلماذا تشعر بهذه الطريقة؟؟ وما هية هذه المشاعر بالضبط؟ انها حتى لاتعرف معناها؟
تلك الليلة قضتها وحدها منذ ايام طويلة.. كان احتكار فريدة لذياب ساحقاً منذ وصولهما، هي حتى لم تره.. فقط تلك الدقائق الطويلة المعذبة على طاولة العشاء حين كانت ابتسامته تشق حلقه من الطرف الى الطرف وهو يتلقى كل تلك العناية والدلال من فريدة؟!
ذراعها لم تفلت يده.. تلمسه بمناسبة وغيرها.. تطعمه بيديها ولاتكف عن الهمس بشيء ما لأذنه من وقت لأخر..

نظراتها الهائمة لاتفارق وجهه وبينما تتجاهل الجميع سواهه وكان يفعل المثل.
بالكاد ألقى عليها التحية قبل ان ينسى وجودها كلياً، هل انتهى منها؟
فكرت باختناق وحزن شديد يجتاحها وهي ترتدي بيجاما قديمة تمتلكها وتتكور وحدها على السرير الضخم بينما كل الاضواء مغلقة، كانت الغرفة باردة والجو يساعد للنوم فقط عليها أن تغلق عينيها وتنسى كل شيء عن ذياب. ولكنها لم تفعل، كلما اغلقت عينيها شعرت بذراعيه حولها لتنتفض وتدرك انها للأسف وحدها.
تصاعدت حرقة غريبة من اعماقها وهي تفكر بما يفعلان هالآن معاً؟؟
قبل ان تؤنب نفسها بقسوة على تلك الافكار المجنونة وتعاود اغلاق عينيها باحكام مصرة على النوم...

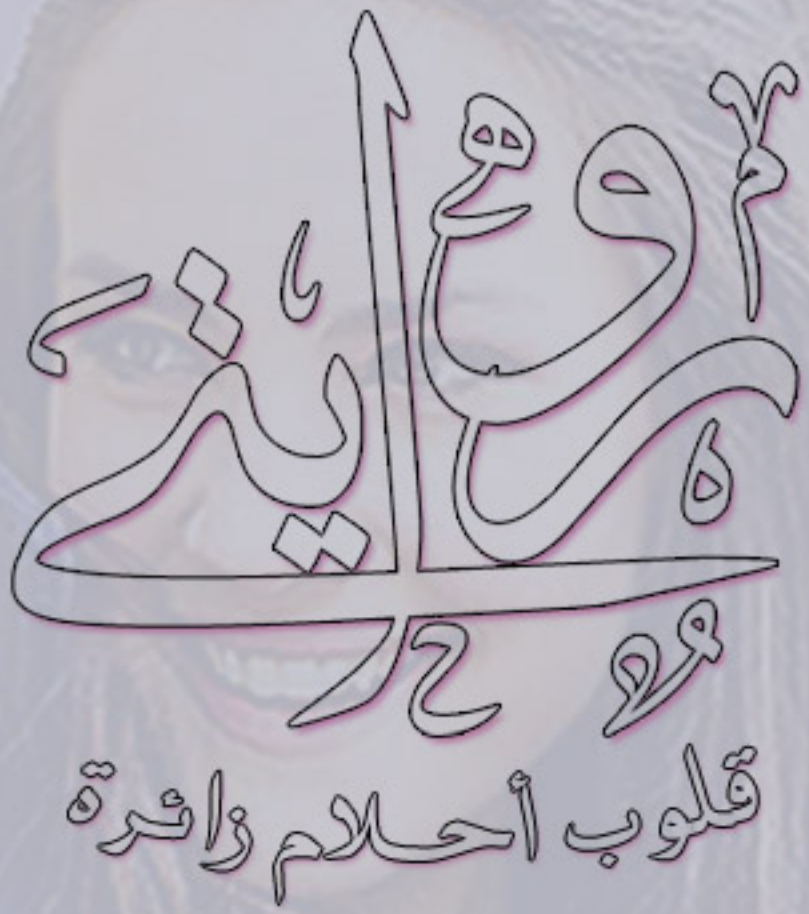

ولكن هيهات....
لقد ظلت مستيقظة حتى سمعت آذان الفجر يتردد!!
...

انتهى الفصل الثاني
روايات تصدر عن منتديات روايتي
قلوب أحلام زائرة
www.rewity.com

استيقظ بعد هزة ناعمة على كتفه، ليفتح عينيه بكسل وتطالعه عينيها المغريتين..
-صباح الخير ياحبيبي.
ابتسم بتكاسل وهمس لها بالتحية قبل ان يعاود اغلاق عينيه لتضحك بسعادة وتمرغ وجهها في كتفه هاتفة:
-انهض ذياب..انه الفجر.
تنهد وغمغم بعينين مغلقتين:
-بضع دقائق فقط.
-لاا.. انهض الان.
اصرت بدلال ليزفر فاتحاً عينيه ويهمس:
-فريدة أنا مرهق.. سفر طويل..ونهار أطول..
-وليلة حافلة..
أضافت بمكر وهي تلاعب حاجبيها ليضحك:
-نعم بالفعل.
-هيا الان انهض ستفوتك الصلاة وعندما تفعل فأنت تؤنبني انا.
تنهد بادراك ونهض بالفعل مزيحاً الاغطية وهو يوافقها على ماقالته.. "ألن تقبلني قبل ذهابك؟"
تسائلت باغواء وهي تمرر اصابعها عبر ظهره العريض ليبتسم ويلتفت لها ثم ينحني ليقبل شفتيها المكتنزتين ويتراجع بخفة ليأخذ حمامه ويلتحق بالصلاة..
راقبته بفرح عظيم.. لقد عاد اليها..
حقاً عاد اليها..
خلال الاسبوعين الماضيين عاشت بلوعة وحرقة قلب لم تعرفهما قط من قبل.. ظهرا بوضوح على ملامح وجهها حتى لاحظها ذياب نفسه ليلة أمس.. تذكرت همسته لها بأنها تبدو متعبة وتعيسة لتؤكد ان لاشيء في هذا العالم يهم مادام قد عاد اليها.
تنهدت بارتياح وهي تضم وسادته التي

وردة عبير قائد

اشتاقت لرائحته بعد طول غياب وقبلتها بحب لتريح رأسها عليها وهي تراقبه يرتدي ثيابه و يلوح لها ماضيا للصلاة في المسجد القريب كعادته.

نهضت بتكاسل بعده ونظرت لجسدها الناعم امام المرآة.. لن ينكر ابداً اشتياقه لها، مهما كانت ماقدمته تلك الصغيرة له، لاشيء يقارن بحبيبته فريدة..

فكرت بسعادة وانطلقت لتغتسل هي الاخرى وتصلي..

*****

عاد من المسجد بعد نصف ساعة تقريباً، صعد الدرجات بتمهل لتنجرف عيناه الى غرفة وَردْ بأخر الرواق.. تبسم بحنان وتوجه نحوها بهدوء، مد يده ليطرق الباب حين توقف فجأة وابتسم بخبث وفتحه دون أن يطرقه دون صوت، الغرفة كانت دافئة جداً

وباب غرفة النوم موارب فقط فتقدم تمتص السجادة الثخينة وقع خطواته ليقف متأملاً الوَردْة الصغيرة تتحرر من جلال صلاتها وتضعه على الكرسي بجوار السرير بينما تعدل من وضع ياقة بيجامتها السخيفة..

التوى فمه بسخرية وتقدم يهمس:

-تقبل الله..

انتفضت بفزع والتفتت نحوه تناظره بذهول ليبتسم :

-ماذا هل رأيتي شبحاً؟؟

قالها لتتسع عينيهبذهول وهو يرى امتلاء عينيها بالدموع قبل أن تقطع المسافة بينهما ركضاً لترتمي بين ذراعيه محيطة ظهره بذراعيها بقوة وهي تهتف:

-اشتقت اليك.. اشتقت اليك كثيراً.

التفت ذراعاه حولها بتلقائية وخفض رأسه ليقبل قمة رأسها بحنان هاتفاً:

-وأنا اشتقت اليكي ياصغيرتي..
لم يكن يدرك حجم شوقه حتى
اعتصرها بين ذراعيه بقوة مستمتعاً
بتأوهاتها الناعمة وهي تندس بين ضلوعه
ثم همس لها:
-مالذي ترتدينه..دعيني أرى؟
تراجعت بحرج لمشاعرها الغريبة التي
تقودها لأغرب التصرفات؟؟ لما فعلت هذا؟
كيف تجرأت؟؟
وقفت قباله ليطالع بيجامتها الصبيانية
بحاجبين معقودين ثم يعلق بخشونة:
-لاتملكين الكثير منها اليس كذلك؟
تأملت وَردْ ملابسها، كانت بيجاما قديمة
حال لونها الاصفر وبدا اقرب للرمادي
وتشعرها بالراحة والامان، لم تكن تريد أن
ترتدي تلك القطع الحريرية الناعمة
وتتخيله هو معها فخيارها كان أمناً جداً.

-لا..هذه فقط.
امسكها من ياقة القميص بخشونة متعمدة
وهزها برفق:
-ممتاز..غداً تذهب الى المحرقة.
-لاااااا..
اعترضت بخفوت ليضحك ملئ فاه قبل ان
يعيدها الى حضنه ويطبع قبلة ناعمة
وطويلة على جانب فمها جعلتها تتوق الى
المزيد وهي تتشبث بكتفيه بيأس..ولكنه
لم يذعن..بل أفلتها بهدوء وهو يهمس:
-عودي للنوم.. واياكي ان ترتدي هذا
القميص لي الليلة.
اتسعت عينيها للوعدالمباشر الذي
نطقه..وهمست بذهول:
-هل؟؟هل ستأتي لي الليلة؟؟
ضاقت عيناه وكأن ماقاله هو الشيء
الاكثر منطقية في العالم:

-بالتأكيد..أنت زوجتي وَردْ، زوجتي للأبد وليس لمجرد الاسبوعين اللذين قضيناهما هناك في ايطاليا.
احمرت وجنتيها ليقترب ويقبل حريقهما المشتعل بنعومة ثم ينسل للخارج بصمت كما دخل تاركاً اعماقها تشتعل ببطئ وفرح كبير يجتاحها من الطرف للطرف.
*****

حين خرج ذياب من غرفة وَردْ كان بالكاد يسيطر على مشاعره المشتعلة نحوها، رؤيتها فقط ترفع من نبضات قلبه وتزيد من اندفاع الدم عبر شرايينه، بطريقة لم يعرفها قط من قبل، لطالما كان أكثر تعقلاً واتزاناً لِمَ الان فقط يشعر أنه يريد القفز والركض يشعر بأنه يريد ان يكون.. صغيراً..شاباً في العشرين من جديد..
ابتسم بثقل وفتح باب غرفته ليواجه امرأته

الأخرى..!!
-السلام عليكم..
قال بقلق لرؤية الغضب في محياها الجميل لتصرخ دون أن ترد سلامه:
-أين كنت؟
رفع حاجبيه باندهاش قبل ان يستوعب مايحدث، ماكان يخشاه منذ البداية..
الغيرة!!
-كنت أطمئن على وَردْ.
قالها ببساطة وهو يدخل لينزع قميصه ويلحقه ببنطاله ويرتدي بنطال بيجامته لتلحقه فريدة صارخة بحنق:
-مالداعي لهذا؟؟انها نائمة بهناء في جناح اسطوري لم تحلم به من قبل.
نظر لها ذياب بقسوة قبل ان يحذرها:
-انها غريبة هنا فريدة، ومن الواجب...
-الواجب؟؟

صرخت باستنكار ثم اضافت بحقد:
-الواجب قد قمت به وأكثر حين كنت تطوف بها انحاء اوروبا لأسبوعين كاملين.
زفر بضيق وجلس على حافة سريره وهو يتسائل:
-مالذي تريدين الوصول اليه الان فريدة؟
اقتربت تحيط بوجهه هاتفة بيأس:
-اريدك ان تنساها الان..اننا معاً وباذن الله تلك الفتاة ستنجب لنا طفلنا الذي حلمنا به، وهنا ينتهي الامر.
قست عيناه بصورة مرعبة جعلت فريدة تتراجع بخوف وهو يهب واقفاً ليقبض على معصمها ويهزها بعنف:
-مالذي تقولينه فريدة؟؟ ماذا تظنينني؟؟ تلك المرأة زوجتي مثلك أنت بالضبط..
-لاا!.
صرخت بحنق والدموع تغرقها ليصيح بها مؤكداً:
-بلى.. ولها مثل حقوقك تماماً.. كمالكي انت حقوق علي وبي.. لها المثل يافريدة.
اتسعت عينيها بصدمة ليقبض ذياب على كتفيها ويقول بحدة:
-اسمعيني جيداً، وَردْ زوجتى على سنة الله ورسوله، وسأعاملها بقدر استطاعتي بعدل معك.
-هل أغوتك تلك الصغيرة اللعوب؟؟
صاحت بألم ليحتقن وجهه ويتسمر ينظر لها للحظات قبل ان يقول بصوت جليدي:
-انا لاتحدث عن العلاقة الزوجية يافريدة، انا اتحدث عن كل شيء.. المنزل، النقود، انا اتكلم عن مشاركتها عائلتي، واهتمامي ووقتي.. وليس فقط فراشي.
تجمدت بين يديه وصارت عينيها خاوية وهو يشدد بحزم:

-أتفهمين يافريدة..قد تكونين انت المخططة لهذه الزيجة.. ولكنني لست دمية بين يديكي لتحركيني بها كيفما تشائين انا ذياب الشريف.. ولن اسمح لك بالتمادي معي أكثر.

وتركها بحنق وقد استطاعت بلحظة ان تقلب مزاجه العالي وتشعره بالسخط والغضب والذي ترقبهما منذ فاتحته بالموضوع، كان عليه ان يقف بقوة وحزم امام غيرتها وترفعها عن سواها كي لاتسحق صغيرته، فوَردْ لم تكن لتقوى على مواجهة تسلط فريدة وقوتها. ليس الان على الاقل.

*****

مالت الشمس للغروب فتأملتها وَردْ بابتسامة وهي تقف وسط الحديقة منتشية بفرح وتشير للعامل العجوز والذي كان يسور منطقة معينة منها بسياج خشبي يثبته على الارض، وصاحت به:

-عليك أن تثبتها جيداً ياعم سيد، لا اريد لكلاب الحراسة ان تدمر ارضيتي.

-حاضر سيدتي.

هتف الرجل العجوز لتتذمر بحنق:

-ادعى وَردْ ياعم سيد..نادني وَردْ.

رفع الرجل وجهه اليها بابتسامة متسامحة:

-حاضر ياابنتي كماتشائين.

ابتسمت بخفة وقد فطنت للتسوية التي قام بها.. كانت تنسى في أحيان كثيرة أنها زوجة السيد، ولكن يبدو ان الجميع لايفعل، تنهدت وتخصرت وهي تراقبه يعمل باخلاص.

لقد مضت بضعة ايام منذ عادت هي وذياب من رحلتهما، وبعد تلك الليلة الاولى التي قضاها مع فريدة كان يقسم ايام الاسبوع بينهما.ابتسمت وهي تتذكر ان الليلة.. لها.

نظرت لساعتها التي تشير الى قرب الساعة

السادسة وسمعت أذان المغرب يتردد لتهتف بالعجوز:
-ساذهب الان ياعم سيد وسنكمل غداً ان شاءالله.
-حاضر يااابنتي.
قالها الرجل لتسرع مبتعدة نحو الباب الخلفي للقصر، سيعود ذياب بعد وقت قصير وهي تخطط لسهرة طويلة.. اتسعت ابتسامتها وهي تتجه عبر البهو الى السلم حين اوقفتها فريدة بنبرة حادة:
-وَردْ.
التفتت اليها بقلب خافق، منذ عودتها وفريدة تتحاشاها، حتى وجبات الطعام الذي تصر حماتها على ان يتناولها الجميع معاً كانت تمر بصمت ماعدا محادثات قصيرة بينها وبين زوجها أو أمه.
-ماذا هناك؟
همست بخفوت لترمقها فريدة بتوتر من رأسها لأخمص قدميها..هذه الصبية تشاركها زوجها!!
ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تتأمل قميصها الزهري الطويل والبنطلون الجينز الحائل لونه والذي ارتدته للعمل بالحديقة، وحجابها الذي تفلتت منه بضع خصلات سوداء من شعرها.
-كنت أريد محادثتك بشأن ذياب.
-هل هو بخير؟
تسائلت بخشية، فهي لم تره صباحاً وقد استيقظت متأخرة وكان قد انصرف لعمله، حتى انه لم يأتي للغداء بسبب انشغاله في امور عالقة بعد سفره المفاجئ.
-نعم انه بخير..
قالتها فريدة بحنق ثم اضافت مقتربة منها:
-اردت سؤالك عن.. عن اموركما معاً؟

قالتها بتلعثم وهي تنظر لوَردْ التي بادلتها النظر ببرائة وبتساؤل وعدم فهم لتزفر هاتفة بنفاذ صبر:

-اعني عن..عنِ..هل هناك فرصة لأن تكوني حاملاً بعد؟

اتسعت عينا وَردْ واحمرت وجنتيها بقوة وهي تتراجع شاهقة بينما تحاول السيطرة على مشاعرها التي تخبطت بداخلها وهي تتلعثم برد مناسب يعفيها من الحرج الذي غرقت به لتواصل فريدة ببرود:

-انت تعرفين..ذياب يجب ان يستقر..ومسألة التنقل بيننا بهذه الطريقة تزعجه.

احتقن وجهها بألم وخفضت عينيها، تحتشدان بالدموع ،الفرح الذي كان يغمرها تسلل من اطرافها لتبتلعه ارضية الحقيقة التي طافت فوقها لأسابيع على غيمة من الاحلام الوَردْية تبدو سخيفة للغاية الان!!

-أنت لم تنسي ماهو الهدف من زواجكما اليس كذلك؟؟ انجاب طفل لنا ياوَردْ؟؟ هذا هو هدف ذياب الوحيد.

قالتها فريدة بقسوة جعلت وَردْ ترفع عينيها وتهمس:

-لم أنسى.. ولكنني..انا اسفة..انا لااعرف.

قالتها وهزت كتفيها بجهل لتبتسم فريدة بخبث:

-مارأيك أن نذهب غداً لطبيبي الخاص..وهو سيطلعنا على الاخبار الجيدة على كل حال.

تحشرج صوتها وهمست:

-كماتشائين.

"لاداعي لخدماتك يافريدة"

انتفضتا معاً وهما تواجهان صاحب الصوت المتجهم وشحب وجه فريدة بينما خفضت وَردْ عينيها ودموعها تنساب بألم على

وجنتيها..
كان يشعر بغضب عنيف.. لم يسمع سوى بضع كلمات مماقالته فريدة ولكنها تكفيه مع الوجه الممتقع لوَردْ ليدرك انها كانت تؤذيها وهو مالن يسمح به على الاطلاق..ابداً.
"حين تشعر وَردْ بأي من علامات الحمل سنذهب لرؤية الطبيب الذي تختاره هي، ومماعرفه انها طبيبة نسائية وليست رجل" اضاف ببرود وهو يقترب ليحيط كتفي وَردْ بذراعه ويشد منها بقوة هاتفاً:
-أليس كذلك وَردْ؟؟
نظرت له بدهشة، هي لم يسبق لها قط أن ناقشت معه مسألة الطبيب.. ناهيك عن كونه رجل او امرأة؟؟ ولكنها لم تعترض بل اومأت باضطراب ليربت على كتفها وعينيه تبتسمان لها بدعم:

-لايزال الوقت مبكراً لنفكر بالحمل وسواه، لم لانترك الامر على ماهو عليه ولانستعجله.
-ولكن ذياب..
اعترضت فريدة ليحدجها بنظرة قاسية جعلتها تبتلع كلماتها بغيظ وهو يصر:
-لن نستعجل فريدة..انه امر خاص بوَردْ فقط، هي تقرر متى تريد الذهاب او ان ارادت من الاساس.هل تفهمين ماقوله؟
ابتلعت فريدة ريقها بصعوبة ونقلت بصرها بينهما بحنق بينما ذياب يرفع لوَردْ كيس ورقي قائلاً بابتسامة لعينيها الدامعتين:
-لقد أحضرت لك مفاجأة.
نظرت للكيس بفضول قبل ان يدفعه بين ذراعيها لتدفن رأسها به كالاطفال وترفعه هاتفة بفرح:
-مثلجاااات؟؟!!

-بقطع الشوكولاته كماتحبينها.
هتف بمرح لتضحك بغبطة وتندفع مقبلة وجنته بحرارة قبل ان تشعر بالحرج الشديد لوجود فريدة التي نقلت بصرها بينهما بغضب شديد واندفعت نحو غرفة جانبية بحركة سريعة جعلت وَردْ تهمس:
-انا اسفة.
-لم يكن خطأك.
قال بحسم ثم دفعها باتجاه السلالم متسائلاً:
-سنتناول العشاء وحدنا الليلة، لست بمزاج جيد للصحبة.
نظرت له بقلق كان وجهه متصلباً بشكل كامل بينما عصب غاضب ينتفض على صدغه، فآثرت الصمت حتى لاينفلت زمامه عليها.
لم تنسى وَردْ ماخططت له لهذه الامسية رغم ان العشاء وحدهما لم يكن من ضمن مخططها ولكنه سيحسن من الامور. لن تنسى له ابداً وقوفه الى جانبها ومواجهة فريدة. فكرت بامتنان، هي ليست غبية وتدرك دورها جيداً في حياتهما..
ولكن..هذه الايام الأخيرة ذياب لم يجعلها تشعر سوى بكونها زوجته المحبوبة والمرغوبة.
جلست بتجهم تناظر باب الحمام حيث هو، لم يؤذها يوماً بكلمة، لم يذكر الاطفال ولاحتى مسألة امكانيتها للحمل. لم يفعل لها سوى كل خير فكيف لاتأخذها غيمة الاحلام الوَردْية!!
تنهدت بحرقة وهي تتذكر نبرة فريدة الحقود وقسوتها، نعم هي لم تنسى دورها ولن تفعل، ولكنها كانت وحشية من تلك المرأة ان تذكرها بتلك الطريقة.

"وَردْ؟؟؟!!"
انتفضت واقفة بشهقة وهي ترى ذياب يقف امامها بقلق بعد أن اخرجها صوته من دوامة افكارها:
-اسفة..كنت شاردة.
همست بتلعثم ليلامس جبينها بقلق:
-بل قولي غارقة..هل أنت بخير؟
-نعم نعم.
اومأت ليبتسم لها باقتضاب قبل ان يبتعد ليرتدي بيجاما بقميص قطني مريح وبنطال قصير وهو يقول:
-لاتأبهي بماتقوله فريدة. انها طيبة القلب جداً ولكنها..تحب السيطرة قليلا.
زمت شفتيها وهي تفكر" بل كثيراً على مايبدو"
ولكنها لم تعلق بل مضت ترفع منشفته عن الارض وتعيدها للحمام بآلية ليناظرها

بحنان كانت قد استحمت وغيرت ثيابها قبله، تابع حركاتها الصبيانية بلف شعرها في جديلة مهملة على كتفها ثم ثوبها الرقيق من القطن الاصفر والذي احاط بخصرها بنعومة قبل ان يغطي فخذيها تاركاً ساقيها تتراقصان بحرية.
كانت اطباق العشاء قد أحضرتهم احدى الخادمات قبل وقت، ورتبتهم على الطاولة المواجهة لشاشة التلفاز بينما ذياب يشاهد نشرات الاخبار، وضعت الفوشار وعلبتين مثلجتين من المشروبات الغازية وعلبة ضخمة من الشوكولاته وقالت وهي تلاحظ عينيه المتسعتين:
-انها لوقت لاحق.
ابتسم بحنان لتحمر وجنتيها وهي تطلب منه:
-هلا غيرت هذه القناة هناك فيلم رائع

للسهرة الليلة واريد مشاهدته؟
ناولها جهاز التحكم من بين يديه وهمس بدفئ:
-خذي راحتك بالكامل.
-شكراً..
ضحك ملئ فمه لوجهها الذي أصبح كالطماطم الناضجة بينما ترفع له طبق عشاءه ليتقبله منها برحابة و ذراعه تجذبها لتلتصق بجنبه متسائلاً:
-أين هو الفيلم الذي سنسهر لنشاهده؟؟
لمعت عينيها وقلبها يخفق بقوة لقربه الشديد وارتجفت يديها وهي تضغط ازرار جهاز التحكم عن بعد لتحول القناة لحيث يعرض الفيلم الكلاسيكي القديم عن الرواية الاكثر شهرة "ذهب مع الريح".
-هل شاهدته من قبل؟
تسائلت بخشية ليهز رأسه نافياً، لم يكن من هواة الافلام وليس بالطبع الكلاسيكية منها. تناولا العشاء بصمت بينما وَردٌ تغرق في الاحداث كلياً وهو بملل، ماان انتهت من العشاء حتى نهضت لترفع الاطباق، وحين عادت كان ذياب لديه بعض الاوراق بين يديه فشعرت بالخيبة لأنه سيعمل.. الا انه أشار لها بالاقتراب وحالماجلست وضع الاوراق بين يديها قائلاً:
-تعالي وساعديني بملئ بعض الخانات هنا.
نظرت وَردٌ الى الاوراق بفضول، قرأت المعلومات بعينين متسعتين قبل ان تعاود النظر لذياب هامسة:
-انت لاتعني هذا؟؟
رفع حاجبه بتكبر وأجاب:
-أنا لا افعل شيئاً لا اعنيه.
عادت تنظر للاوراق والتي تحمل اسم أكبر معاهد الرسم في المدينة، كان طلب

التحاق..كان يقدم لها في معهد الرسم كما وعد..!!

-سيتعين عليكي الذهاب لاجراء مقابلة رسمية، وان تريهم بعض من رسوماتك على ماافترض.

قالها بموضوعية، فنظرت له بامتنان كبير لم تشعر به من قبل ناحية أي شخص، لقد تكبد العناء من أجلها وهو الشيء الذي لم يقم به أحد من قبل لأجلها منذ وفاة والديها، لطالما كانت هي من تفعل كل شيء، دفع الفواتير احضار البقالة، ترتيب الميزانية.. انسابت دموعها تحت نظراته المتأثرة وتركت الاوراق لتسقط في حضنها وهي تقفز لتتعلق به هاتفة:

-شكراً..شكراً شكراً.

تفاجأ للحظة قبل ان يحيطها بذراعيه ويبتسم قائلاً:

-لابأس عليكي.. لم أفعل شيئاً يذكر.

ابتعدت قليلاً لتنظر في عينيه ثم همست:

-أنت تحقق حلمي، بالنسبة لي هذا شيئٌ لا استطيع وصفه.

قرب وجهها ليقبلها بحنان بين عينيها ثم همس:

-عديني فقط ان ترسمي لي لوحة حين تصبحين مشهورة.

ضحكت وابتعدت عن ذراعيه بينما يرفع الاوراق ويعطيها القلم لتبدئ بتعبئة بياناتها بنفسها.. وقد نسيت فيلمها والذي "اعترفت لنفسها بخجل" شاهدته لمئة مرة من قبل.

في الصباح التالي أخذها ذياب بنفسه للمعهد.. وكما قال فقد كانت هناك مقابلة رسمية مع بعض الاساتذة ومن ثم اعطوها لوحة وقلم فحم لترسم لهم ويرون مهاراتها..

لم تستغرق المقابلة ومهلة الرسم سوى ساعة الا عشرون دقيقة.. من ثم كانت تغادر الغرفة الى حيث انتظرها زوجها:
-مالخبر؟
-لا اعرف..سيخبرونني بعد قليل.
قالت بتوتر ليجذبها من يدها لتجلس جواره وقال بخفوت:
-لاتقلقي..سيقبلون بك.
قبضت بقوة على كفه التي تحيط اصابعها ونظرت في عينيه الدافئتين:
-ماذا ان لم يقبلوا بي؟
-سيفعلون..
قالها بثقة لتصمت وتنظر لباب الغرفة بتوتر فضغط على اصابعها المتشنجة وهمس:
-لاتخافي..ثقي بي.
ابتسمت له وانتقلت ثقته اليها لتنشر ارتياحاً عارماً لم تعرف له سبباً، ولكنه كان فقط لوجوده قربها، للمرة الاولى تجد من يسندها في لحظات صعبة. حين وقفت لأول مرة وحدها كان في وفاة والدها، انهيار أمها لم يترك لها سوى ان تتخذ الدور القيادي رغم صغرها، حينها اصبحت مسؤولة ليست فقط عن نفسها ولكن عن أمها. لم تترك الحزن يقتلها ووقفت وقاتلت بشراسة، لتنهار فجأة حين توفيت امها..
احتقنت عينيها بالدموع وطرفت برموشها بخفة كي لايلاحظ، حين فتح الباب وظهر أحد اساتذة الرسم ليقف امامهما بابتسامة واسعة:
-مبروك لك أنسة وَردْ.. بامكانك مباشرة الدراسة في الاسبوع القادم.
تجهم وجه ذياب بشدة وهو يلاحظ الطريقة التي كان الرجل يناظر بها وَردْ والتي لم

تكن لتسعها الفرحة وعبرت عنها بطريقتها الخاصة وهي تصفق بيديها بجذل وتقفز دون مراعاة لوجوده مما حول تجهمه الى غضب بارد وهو يقبض على ذراعها بقسوة هامساً اسمها من بين اسنانه:

-وَردْ؟!!

تيبست وَردْ وهي التي لم تسمعه في يوم يخاطبها بتلك النبرة، ولم ترى تلك النظرة التي جمدتها مكانها من قبل في عينيه. تراجعت بخشية وعينيها تتسعان بخوف بينما يلتفت هو الى استاذها ليخاطبه بنبرة جليدية:

-شكراً لك استاذ..زوجتي ستأتي في مواعيد دروسها نشكر لك تعاونك.

راى نظرة الرجل الأخر تضطرب وهو ينقلها بسرعة خاطفة بينه وبين وَردْ قبل ان يصافحه بتردد ثم يسحب ذياب كفه، وجذب وَردْ اليه بتملك واضح وهو يدفعها للمغادرة.

كانت منكمشة على نفسها لاتستطيع فهم سبب غضبه الشديد والذي تجلى فعلاً في نظرته الحمراء، وأوداجه المنتفخة، قادها الى السيارة التي انطلقت بهما عائدة الى المنزل يقودها سائقه الخاص بينما جلس هو متباعداً وعيناه في الخارج عبر الزجاج المظلل.

"كيف له أن شعر بتلك الغيرة الحارقة وللمرة الاولى في حياته؟"

"لقد رأى نظرة الرجل لوَردْ، يعرفها تماماً..اعجاب عميق جعله يرى الدنيا سوداء، ثم تحمر فجأة لمناداته لها بالأنسة؟؟ ماذا يظنه الى جوارها؟؟ حارسها الشخصي؟"

كانت الافكار تقوده الى الجنون وفكرة الغيرة تضربه بقوة، نعم هو لطالما كان يغار

على فريدة، ولكنها غيرة معقولة، متزنة وهادئة.. ليس كغيرته الأن..ليس هذا التدفق المحموم لمشاعره والذي صفعه على حين غرة.

ووسط تلك المعمعة من الافكار شعر بأصابعها الرقيقة تحط كفراشة مسالمة على قبضته المضمومة بشدة فوق ساقه!

نظر لها بحدة ليرى ملامح وجهها الملائكي المضطرب، الرطوبة في عينيها تشي بأنها على وشك البكاء.

شعر حينها بكل غضبه وغيرته السخيفة تزول..

لايعرف كيف ولكن .. عينيها كانتا شفاءاً مستعجلاً لغضبه، ومبادرتها للمسه في أوجه وهو مالم تفعله حتى فريدة من قبل جعله يلين تحت لمستها كطفل، وتذوب نظرته الحانقة ليبتسم لها بصعوبة وتهمس له:

-ألست سعيداً لأجلي؟

رفع حاجبيه بتأثر بالغ بينما تنساب دمعة وحيدة على خدها وهي تضيف:

-هل كنت واثقاً من فشلي الى هذه الدرجة؟

-لا بالتأكيد لا.

اعترض بعنف وكفه تحيط بأصابعها الرقيقة تكاد تحطمها:

-انا كنت واثقاً بنجاحك وقد فعلتي؟

-اذاً لماذا؟؟

همست بألم ليشيح ببصره عنها وداخله يغلي..كيف له ان يجرحها بهذه الطريقة؟؟

ضغط يده ازداد حتى سمع تأوهها فأفلتها وهو يشتم نفسه في اعماقه قبل ان يقول للسائق بنبرة متجهمة:

-اسرع يافضل.

شعرت بالسيارة تثب للأمام عدة أمتار قبل ان

يلتفت لها ويعاود الامساك بكفها ولكن بحنان هذه المرة يمسد الألم الذي ارتكبته أصابعه وهو يقول بغموض:
-حين نصل الى المنزل سأخبرك. حين نكون وحدنا.
عقدت حاجبيها بقلق بينما احتفظ هو بكفها في يده، حتى وصولهما الى المنزل..
كانت الساعة تقارب الثانية عشر ظهراً وحال وصولهما وجد فريدة تتجه اليهما بخطوات حادة الا أنه رفع ذراعه يهتف بصرامة:
-ليس الأن يافريدة.
توقفت بدهشة بينما يجر هو وَردْ خلفه باسراع جعلها تعض انامِلها غيظاً.
في جناحها جلست وَردْ بخشية على احد المقاعد بينما وقف ذياب مشرفاً عليها، تأملته بخشية.. يبدو الغضب والضيق يملئ

ملامحه ولكنها لم تتجرأ وتلقي عليه السؤال مرة ثانية لخوفها من أن تلاقي الصد في عينيه لذا صمتت وانتظرت بينما يقف هناك مشيحاً بظهره لها أخذاً النفس العميق الواحد تلو الأخر.
"كالمراهقين ذياب..مالذي دهاك يا ابن أبيك؟"
فكر بحنق يزفره بكل نفس، يحق له أن يغار وأن يلكم ذلك المتحذلق على فكه ليسقط اسنانه ان نظر لامرأته كما فعل مع وَردْ، كان يجب عليه أن يريه أين يقف ومع من بالضبط.
-علينا أن نضع اسساً للقادم ياوَردْ.
ابتلعت ريقها والتزمت الصمت ليلتفت ناحيتها ويتقدم للجلوس قبالها، عينيه في عينيها وقبضتيه كتلة واحدة مصمته بين ركبتيه.

-بشأن دراستك القادمة وتصرفاتك الشخصية.
-هل أخطأت بشيء؟
همست متلعثمة ليرمقها بتقييم قبل أن يستند بظهره للمقعد خلفه ويهمس من بين أسنان شبه مطبقة:
-ماحدث أمام ذاك الرجل لا اريده أن يتكرر بأي صورة.
-ماذا فعلت؟؟
همست بشحوب ليرفع حاجبه فازداد شحوبها وهي تتذكر مافعلته.. لقد فرحت كثيراً لدرجة أنها لم تتوقف عن التصفيق والقفز كالأطفال..!!
ربااااه..
شعرت بالخجل يجتاحها وهي تخفض عينيها كي تتجنب عينيه اللائمة وهو يهمس بضيق:

-أنت لم تعودي طفلة ياوَردْ، انت امرأة متزوجة ويجب أن تحترمي هذا.
خنقتها الغصة وهي تسمع تقريعه بينما يواصل ذياب بحنق:
-ذلك الرجل كان يلتهمك بعينيه وانت تقفزين وكأن لاوجود لي الى جوارك..
-لم أقصد هذا..
همست مخنوقة ليزفر بتوتر وهو يضرب فخذه بكفه بقوة:
-اسمعيني جيداً، علاقتك بزملائك واساتذتك منذ اليوم يجب أن تكون محدودة ولاتتجاوز الحدود، انت زوجتي وتحملين اسمي ولايجب ان تنسي هذا.أتفهمين؟!!
انسابت دموعها بصمت وهي تخفض رأسها بخجل، لم تشعر يوماً انها ستتلقى مثل هذه الكلمات المهينة، حريق انتشر بداخلها

وهي تؤنب نفسها على مافهمته من كلماته..
لايحق لها ان تتحدث.. لايحق لها أن تعيش بحيوية..
انها زوجة ذياب الشريف وفقط.. واذا ما اذن لها السيد أن تعيش قليلاً خارج هذا القفص..
فهو لم ينسى احكام الطوق حول عنقها..
" أتفهمين ياوَردْ؟!"
رفعت عينين جامدتين وان كانت غارقة بالدموع وهمست بصوت متحشرج:
-أفهم.
خفق قلبه بعنف لمنظر دموعها التي عاثت فساداً بجمال وجهها ولكنه لم يستجب لندائها المكسور خلف عينيها بل نهض بقوة وهدر بغضب مكتوم من ردة فعله الحمقاء:
-سيكون هناك سائق خاص لتنقلاتك.اياكي ان تأخذي سيارة اجرة او سواها، سأحضر لك هاتفاً نقالاً تتصلين به أينما تكونين.
"حارس ليبقي الجارية تحت الحصار؟؟!!"
فكرت بتعب وهمست بشرود:
-هل من شيء اخر؟؟
-ليس في الوقت الحالي..والأن تعالي لنتناول الغداء معاً في الاسفل.
-لا أشعر بالجوع..
همست بانكسار، اراد اجبارها.. ولكنه لم يفعل بل تراجع هامساً:
-سأدعهم يحضرون لك وجبة خفيفة.
راقبته ينصرف بقلب مكسور.. كيف بلحظة استطاع ان يرفع روحها ومعنوياتها الى اقاصي الاسماء وبالثانية مرغها بالأرض؟؟ شعرت بدموعها تنهمر بلاهوادة قبل ان تنهار على المقعد وتجهش ببكاء حار مأساوي.

****

بدأت وَردْ منذ اليوم التالي دروسها.. ولم تنسى الالتزام بأوامر السيد كما فكرت بها، السائق يأخذها في التاسعة صباحاً ليعود ويأخذها قرابة الثالثة.. كانت سعيدة جداً رغم ألمها من موقف ذياب وحنقها عليه..
ورغم شعورها بالاختناق من الحصار عليها الا انها لم تكذب احساس بالحرية والانطلاق وهي تعبث طيلة اليوم بالالوان مع رفقة بمثل عمرها.. كماحلمت دوماً..
مضى على بداية دراستها اسبوعان.. ولازالت تتذكر بالضبط موقف فريدة من دراستها في اليوم التالي مباشرة لقبولها، كان رفضها ينضخ من عينيها وهي تؤنب ذياب اللامبالي:
-ان ذلك خطأ.. مالفائدة لدراستها إن كانت ستتركها حالما تصبح حاملاً.

-ومن قال لك انها ستتركها؟
تسائل ذياب ببرود بينما تنظر لها وَردْ بهلع وفريدة تهدر بانفعال:
-سيكون الامر خطراً..ماذا لو اجهدت نفسها؟؟ عرضت الطفل للخطر او الاسوأ خسرته؟؟!!
نظر لها حينها ذياب بملل متجاهلاً شهقة وَردْ المستنكرة:
-يالهي فريدة..لم تستبقين الأمور هكذا؟؟
استمرت بينهما المناقشة فيما بعد ولكن ظل ذياب على موقفه المتشدد مماجعل فريدة تنصرف بغضب وهي تنظر لوَردْ بحرقة وخيبة امل.
تنهدت وَردْ ومالت على اوراقها لتكمل مهمة الرسم الموكلة اليها تنظر لحامل اللوحات الذي من المفروض ان تنقله الى اوراقها ولم ترى سوى الضباب، حالة حزن غريبة تمر

عليها في هذه الأيام، تتركها كئيبة وساهمة.. بالكاد تنتبه لشيء او حتى تفرح لأخر؟!

تنهدت ولفتت انتباه زميلتها روان والتي همست لها وعينيها على لوحتها:

-ماذا بكي؟ ألم تنامي جيداً؟

تنهدت بتعب وهي تعي لمنظر الظلال تحت عينيها .. لا هي لم تفعل، ابتلعت ريقها بألم، وكأنما لايكفيه جفاءه في الايام الماضية هو لم يأتي لها ليلة أمس؟؟!! لمعت عينيها بالدموع وهي تتذكر انتظاره حتى ساعة متأخرة من الليل، ثم غرقها في النوم عند الفجر دون ان تعرف أين أمضى ليلته، لتصفعها بها فريدة في الصباح حين اقتربت منها وسألتها بفضول ان كانت تشاجرت مع ذياب؟؟

-هل فعلتي مايغضبه؟

-لا ..

همست بشحوب لتلمع عيني فريدة هامسة بشماتة:

-ربما سئم اللعبة اخيراً.. فقد كان عندي ليلة أمس ياصغيرة.

لم تعرف حتى كيف غادرت الى المرسم.. لم تره على الافطار ولم تهتم، كانت حزينة حد الموت وهي تسمع شماتة فريدة التي لم تردها؟! هل سئم منها أخيراً؟؟

اختنق صوتها ولم تعد تقدر على الرد على اسئلة زميلتها الفضولية بل هي سرعان مالملمت اغراضها والمعلمة تعلن انتهاء الوقت وان عليهم انهاء اللوحة في المرة القادمة.

سارعت بالخروج من المبنى الصغير متجاهلة اقتراح زميلاتها بالخروج الى مطعم وتناول الغداء واخرجت هاتفها للاتصال بالسائق حين رأت السيارة بانتظارها بالفعل. فتقدمت

نحوها بعينين غارقتين بالحزن وفتحت الباب الخلفي لتجده مغلق فغضنت وجهها ومالت تطرق نافذة الزجاج الامامي لتجد الباب المجاور للسائق يفتح وصوت عميق من داخلها يقول باقتضاب:

-تعالي.

"ذيـــاب؟؟!!"

انتفض قلبها هادراً وهي تطيعه بصمت..

مالذي جاء به الأن؟؟ هل حدث مكروه ما؟

-ماذا حدث؟؟ هل اصاب العم سليم مكروه؟؟

"عم سليم؟؟"

فكر بحنق وهو ينظر لها، سليم السائق يكبره بعامين فقط؟؟ هل ستناديه بعم هو الأخر؟؟

-لا..ماذا ألايحق لي ان أتي لأخذك؟؟

انكمشت مكانها وهمست بتردد:

-أنت لم تفعلها من قبل.

لم يرد بل ادار السيارة وانطلق بها دون كلمة اخرى في حين زمت وَردْ شفتيها بصمت، رأته يقود باتجاه يخالف اتجاه المنزل فتسائلت:

-الى اين تأخذني؟

لم يجبها بل قال بهدوء:

-لديكي عطلة في الغد أليس كذلك؟

ابتلعت ريقها تومئ بصمت وهي تفكر الغد هو الخميس ولديها عطلة نهاية الاسبوع لمدة يومين كاملين ولكن ماذا يعني هذا؟

رأت عينه تنحرف اليها بصمت ولم يضف أكثر.

كان يقود السيارة باتجاه الضواحي مبتعداً عن المدينة.. واستمر بهذا لمايقارب النصف ساعة لتشعر بالتوتر يزداد بداخلها وتهتف بحنق:

-مالذي يحدث ذياب الى اين تأخذني؟

-أنا أختطفك.
همس بصوت جامد لتنظر له ببلاهة قبل ان تلاحظ تلاعب الابتسامة بشفتيه الماكرتين، قفز قلبها للحظة وتسارعت ضرباته بشكل مخيف أدار برأسها وهي تعود للنظر للأمام وكفيها مضمومتين في حجرها بتشدد، ليتسائل بتسلية:
-هل انتهت اسئلتك؟
-لا أعرف ماذا أقول..
همست بشحوب ليضحك بخفوت ويقبض على كفيها بيد واحدة ويضغط بخفة جعلتها تجفل!!
مالذي يحدث؟ ماذا تغير؟
جفلت لطريقته الغامضة ومضت تنظر لجانب وجهه الوسيم بقلق، وهي تلوذ بالصمت بانتظار ماسيسفر عنه مشوارهما الغريب. قاد ذياب السيارة لنصف ساعة

أخرى قبل ان يتوقف أمام مبنى من طابق واحد اصطفت حوله بضعة سيارات وعرفت من الروائح الزكية المنبعثة منه أنه مطعم ريفي..
-أنا جائع..سنتناول غدائنا هنا ثم نواصل.
قالها بهدوء وهو يترجل من السيارة. ثم ساعدها بالنزول وقبض على كفها باحكام قبل أن يقودها الى المطعم الذي انتشرت به روائح الشواء والدفئ، نظر لها مبتسماً:
-انه افضل مطعم يعد اللحم المشوي في المدينة..تعالي.
وسحبها خلفه الى طاولة تطل على المنظر الخرافي من الخضرة والمزارع خلف المبنى، وساعدها للجلوس هامساً:
-ستأكلين أصابعك خلف طبق اللحم..أنا اعدك.
لم تكن تعشق اللحم كثيراً.. حالتها

المادية الصعبة لم تكن تساعدها.. في الحقيقة هي لم تأكل اللحم سوى مرات قليلة في حياتها وحتى بعد زواجها لطالما ابتعدت عن تناوله بالطريقة التي تعدها مربية المنزل، وحين كانا يخرجان للغداء او العشاء لم تكن تطلبه في ايطاليا قط.. ولكنها لم تعترض..

كانت تنظر له مشدوهة للون الذي طغا على وجهه والحماسة التي انتشت في عينيه وهو يطلب لهما لحم الحمل المشوي والخضار والسلطات،لم يسألها حتى عن طلباتها بل أمر بكل شيء بنفسه..ماسيأكل منه..ستأكل هي كذلك.

بعد انصراف النادل همست له:

-هل تعرف عمتي و..وفريدة بخروجنا؟؟

رمقها ببرود:

-وهل نحن صغاراً لنطلب الاذن ياوَردْ؟

-لم أعني هذا..

اعترضت بضعف ولكنه ابتسم لها:

-والدتي تعرف اننا لن نتناول الغداء معهم اليوم واننا لن نعود الليلة.

-ألـن نعود؟؟

تسائلت بذهول ليومئ مجيباً فتراجعت في مقعدها ونظرت للخارج وهي لاتتفهم..

-ليلة امس..

بدأت ترغب ان تسأل.. فقاطعها بحزم:

-ليلة أمس كانت تعويضاً لفريدة عن الليلة.. وغداً.

اتسعت عينيها بدهشة قبل ان تلمع بادراك وتتلعثم:

-انت..انت تعني انك..انت لم تسأم مني؟

عقد حاجبيه بشدة وقال بصوت مكتوم:

-مالذي جعلك تفك....

وبتر عبارته وهو يرى ترقرق عينيها بالدموع

ليتنهد بضيق اسم فريدة فخفضت وَردْ رأسها بذل.. ليقبض على كفها الموضوعة على المنضدة امامه ويهمس بحدة:
-لقد قلت لك من قبل ياوَردْ..أنت زوجتي مثلما هي كذلك.انت لست مؤقتة في حياتي فتوقفي عن الاستماع لماتقوله فريدة وثقي بي.
مسحت دموعها بطرف اصابعها باضطراب:
-انا اسفة..انا حقاً أسفة.
-لاتأسفي..كوني قوية ودافعي عن حقوقك.
قالها بثورة مكتومة وهو يكره النظر الى خضوعها واستسلامها بتلك الطريقة.. قطع حديثهما وصول الطعام والذي رتبه النادل بشكل مثير على الطاولة قبل أن ينصرف بابتسامة فنظر ذياب لوَردْ وهمس:
-كلي..سنناقش الأمر حين نصل الى وجهتنا.
تنشقت دموعها وتسائلت:
-أين؟؟
-ستعرفين حين نصل.
قال بابتسامة واسعة متسامحة لعينيها الباكيتين وهو يدرك أنها تسيطر على كل كيانه حين تنظر اليه بتلك الطريقة.
نظرت وَردْ للحم الحمل المشوي بغرابة ورأت الصلصة الشهية التي تسيل من عليه فقال لها ذياب بتكشيرة ذئبية:
-تناوليه كله..سيعجبك.
ابتسمت قليلاً فقط لتشرق عينيها في عينيه وتتجمد نظرته عليها للحظة وهي تلتقط بشوكتها قطعة صغيرة من اللحم الذي كان ناعماً كالزبد، غارقاً بصلصة شواء غنية مشهورة وراقبها كيف قضمت الطعام

بأسنانها بحذر وكأنها تخشى أن يعضها، وابتلع ريقه بصعوبة وهو يراقب كيف ضمت شفتيها النديتين معاً لتمنع تساقط قطرات الصلصة عليهما ولكنها لطخت شفتيها بالفعل وبابتسامة مرتبكة مدت يدها للمنديل جوارها ليقبض عليها بأصابعه باحكام.

نظرت له وَردٌ بصدمة تحولت لرجفة عميقة وهي ترى النظرة التي حكمت عينيه ويده الأخرى تمتد لتمسح ابهامه بقايا الصلصة عن شفتيها قبل أن يعيدها الى فمه ويلعقها بتلذذ..

لم تكن قد خرجت من صدمة لمسته لشفتيها حتى غرقت بذهول مافعله بعدها لترى ابتسامته العابثة وهو يهمس بصوت اجش:

-لذيـذة ولاتقاوم.

احمر وجهها بشدة وبات قرمزياً لامعاً وهي تخفضه عن عينيه الصاعقتين ثم خلصت يدها من قبضته بصعوبة لتلتقط منديلها وتمسح شفتيها بارتباك شديد بينما يهتز ذياب بضحكة خافتة لخجلها الفطري الذي يعشقه.

لم تعرف كيف أنهت الوجبة ولا كيف مر الوقت سريعاً وبدون محادثة حقيقية بينهما قبل ان يغادرا، ولم تستغرق الرحلة هذه المرة سوى اقل من عشر دقائق، حيث وصلا الى قصر ريفي بديع بأربع طوابق محاط بحديقة واسعة من الزهور والاشجار..

-انه فاتن..

همست باعجاب ليحيط كتفيها بذراعه ويسرع بها الى الداخل، اكتشفت هناك أن القصر هو نزل ريفي راقٍ معد لاستقبال الضيوف المهمين، كانَ بمعزل عن القرى

وبمنظر مطل على الريف الرائع.
-كان هذا قصر احد السلاطين قديماً، والان ورثة الرجل حولوه الى نزل، فكرة جيدة وخدمة ممتازة لمن يريد الهرب من صخب المدينة.
قال لها ذياب وهما يصعدان الدرج العتيق الى الطابق الثاني حيث غرفتهما، والتي اكتشفت انها جناح مميز يطل على الساحة الخلفية للنزل وبحيرة طبيعية تظهر من خلف الاشجار العالية.
-انظر الى تلك البحيرة، هل سنذهب لرؤيتها؟؟
هتفت بحماس وهي تخرج الى الشرفة وتشير للمكان ليتبعها ذياب قائلاً بابتسامة:
-ربما في وقت أخر.. زيارتنا هذه المرة قصيرة.
شعرت به خلفها تماماً فهمست:
-أود رسم المكان من هنا.
أحاطها بذراعه بينما الاخرى تفك حجابها بسهولة وتحرر خصلات شعرها الناعم ليتساقط على وجهه مرسلاً قشعريرة محببة الى أطراف جسده وهو يهمس:
-فيمابعد..لدينا ماهو أهم الأن..
اغمضت عينيها وهو ينزل بشفتيه على طول عنقها متلذذاً برائحته الزهرية وملمس بشرتها المخملي بينما يفتح سترتها الخمرية بتهور لتعترض:
-ذيااب..نحن على الشرفة..
-لا احد هنا سوانا ياوَردْ، لقد حرصت على هذا.
كان صوته أجشاً مثقل بالعاطفة جعلها تنتفض باستجابة غريزية وهو يديرها بين ذراعيه لتواجهه وتذوب في رقة عينيه التي احتوتها بجنون قبل أن يغيبها في عناق ناعم

مخدر جعلها خائرة القوة، تتشبث بيأس عاشقة بقميصه وتقترب منه بلهفة امرأة تائقة، أفقدته صوابه فلم يتردد بتعميق قبلته وجرها نحوه لتتعلق به كلياً..
كانت لذيذة مشعة ولاتقاوم، صغيرة وشغوفة بين ذراعيه.. يملكها في حين تسيطر على كل تفكيره..
ابعدها عنه لتشتعل انفاسهما معاً بينما تهمس وَردْ بحرج:
-احتاج للدخول الى الحمام..
رفع حاجبيه بتهكم واغاظها بخشونة:
-تحتاجين الى مساعدة؟!
تحول لونها الى قرمزي داكن وهي تدفعه عنها بصيحة معترضة ليقهقه وهو يشير لحقيبة صغيرة موضوعة على الفراش:
-وضعت لك بعض اغراض هنا..استخدميها.
التقطت الحقيبة وركضت لتغلق باب

الحمام خلفها في حين تقدم ذياب بروية ليغير ثيابه وليخرج صندوقاً صغيرة من الثلاجة، وبدأ بتجهيز مفاجأته بصمت.
توقفت وَردْ امام باب الحمام للحظات وهي تمسد ثوب النوم الحريري الرقيق الذي جاء به ذياب، ألم يجد سوى هذا؟ فكرت بحنق وهي تحاول رفع قبته المنخفضة بشتى الوسائل ولاتقدر، وتحاول شد قماشه الناعم ليستر ساقيها ولكنه ظل متشبثاً بمنحنياتها بثبات غريب رافضاً حتى التحرك..
"اووف..لم يكن هذا الثوب في جهازي مطلقاً"
فكرت بحنق قبل ان تقرر التسلل على اطراف اصابعها ثم القفز تحت اغطية الفراش قبل أي شيء. ولكن هيهات ماان فتحت الباب حتى وجدته أمامها!!
تيبست مكانها بخجل وهي ترى انه لم

يرتدي سوى بنطال بيجامته الحريري وتخلى عن القميص بينما عقد ذراعيه القويتين على صدره وهو يقول بتأنيب:
-تأخرتي؟؟
وقفت مكانها دون أن تتحرك، فتقدم هو...لم تنظر لعينيه، خجولة رغم الوقت الذي مر وهما معاً!! ابتسم بذكورية مشبعة بالغرور لتصرفها العذري الخفر، وقبض على معصميها الرقيقين بقوة متأملاً كيف انساب الثوب الحريري معانقاً تفاصيلها الانثوية اليانعة، وقربها منه ليغلفها الدفئ الرجولي المثير والذي سحب منها أنفاسها بشهقة خافتة قبل ان تشعر بأنفاسه قريبة من عنقها وصوته المثقل بالعاطفة يهمس لها:
-عيد ميلاد سعيد ياوَردتي.
رفعت عينين مذهولتين اليه لتجد ابتسامة خلابة بعثرت انفاسها سرعان ماعانقت شفتيها المذهولتين برقة بالغة لتدخل في نشوة عارمة دغدغت حواسها وجعلتها تقترب بجراة مطالبة بالمزيد.. ولكن ذياب تراجع بعينينِ شبه مغمضتين وبصوت اجش متألم تقريباً:
-اوه لا لا.. لدي سهرة طويلة وهذا..
فتح عينيه على وسعهما لترى مشاعر عاتية ليس أقلها الرغبة العميقة المجنونة والحنان العارم وهو يأخذ النفس العميق الواحد تلو الأخر، مضيفاً وهو يحاول السيطرة على مشاعره..أصابعه تلامس شفتيها المنفرجتين بتوق:
-هذا..عليه أن ينتظر..
-ماذا؟!
تسائلت بوهن بينما يجرها من معصميها للغرفة الخارجية حيث أجلسها على أريكة

لشخصين، وتراجع متجاهلاً عينيها المتسائلتين؟!
لقد تذكر عيد ميلادها؟
فكرت دون ان تصدق؟؟ كيف عرف عيد ميلادها من الأساس؟؟ هي ابداً لم تحتفل به؟؟ ابداً في حياتها؟؟ لم تكن والدتها تقدر على تكاليف شراء كعكة او صنع واحدة؟ ولذا اعتادت تجاهل الامر، لم تفكر يوماً بعيد ميلادها الا كتاريخ، تضعه في الوثائق الرسمية.
راقبته بافتتان مصدوم وهو يعود بحمله الصغير.. ويضعه أمامها على الطاولة الصغيرة..
-هل اعجبتك؟
همس وهو يرى عينيها تلمعان بطريقة غريبة، تلتهم الكعكة المغطاة بطبقة كثيفة من مثلجات الشوكولا التي تعشقها، ومزينة بقطع من الشوكولاتة الخام، وعجينة السكر.. وتشتعل عليها شمعة حمراء واحدة فقط.
-ألم تعجبك؟!
دمدم بشك.. يرى تجهم وجهها .. قبل أن تتسع عيناه بصدمة وهو يراقب اهتزاز كتفيها الصامت والذي تحول لنشيج عنيف ترافقه سيل من الدموع الحارة والتي بللت صدره حين ارتمت عليه شاهقة بصوت عالٍ..
للحظة توقف عن التفكير..
عقله لم يعمل للحظة فقط قبل أن يبدأ التخبط حول فكرة واحدة فقط..
"مالذي فعله خطأ؟"
لقد أعد لهذا اليوم منذ فترة لابأس بها، انه يعرف انها لابد لم تحتفل بعيدها منذ بعض الوقت، ولكن هذا الانفجار العاطفي لم.. لم يتوقعه..

"وَردْ.. وَردْ توقفي عن البكاء"
هدر بغضب خفي تحت عاطفة جياشة، وهزها بعصبية.. أراد أن يبعدها ولكنها كانت متشبثة بقوة بكتفيه حتى كادت أظافرها تجرح بشرته العارية..
-بحق الله يافتاة انظري الي.
صاح بغضب تجاوز كل العواطف وهو ويبعدها بقسوة تقريباً. كانت ملامح وجهها حزينة وناعمة كالملائكة، دموعها تنهمر بقوة انفها محمر ووجنتيها محتقنتين..
-أنا أسفة.. انا..لا اعرف..لاأعرف ما..ماحدث لي؟
اختفى الغضب من محياه وعينيه وهو يمسح دموعها بأصابعه بسرعة وقوة تكاد تكون مؤلمة:
-أوقفي هذه الدموع..
-لا أستطيع.
همست مخنوقة ودموعها لاتتوقف..
-لا اعرف ماحل بي..لم يحدث ابداً..انا..
-اشش..
همس دافئاً جسدها الضئيل بين ذراعيه مريحاً رأسها على كتفه..مخففاً من ارتجافتها بذراعيه الصلبتين:
-اهدئي فقط..أنت حساسة جداً هذا اليوم؟
كانت ذراعاه ملجئها الحصين، اصابعه تمسد ذراعيها وظهرها بحنان بالغ وصوته لايكف عن هدهدتها بكلمات رقيقة ناعمة، حتى هدأت تماماً وأصبحت شهقاتها صامتة لاتكاد تبين الا من انتفاضة جسدها بين اللحظة والأخرى فقط.
-ستذوب المثلجات.
قال بصوت مرح قدر استطاعته.. لتبتعد عن صدره وتهمس لعينيه:

-لم..لم احظى ابداً بعيد ميلاد من قبل.
ارتفع حاجباه بتأثر وهي تواصل مسيطرة على دموعها بقوة:
-لم احظى بكعكة ولا شموع..ابداً.
ابتسم لاوياً فمه:
-ولاحتى هدية؟
هزت رأسها نافية ليعمق ابتسامته ويخرج من وراء الاريكة علبة صغيرة ملفوفة بورق ذهبي وشريطة من الحرير قائلاً لعينيها المتسعتين:
-اطفئي شمعتك الاولى..ثم افتحي هديتك.
تراجعت وعينيها على العلبة ثم ابتسمت بصعوبة لعينيه الدافئتين ونظرت للشمعة التي واصلت احتراقها البطيئ، همس لها بصوت اجش أن تتمنى امنية.. فأغلقت عينيها وتمنت..

لأول مرة تمنت أمنية أنانية للغاية جعلتها تخجل من نفسها حتى أنها لم تكررها لنفسها وهي تميل لتطفئ شمعتها وتسمع تهنئته الخفيضة.. بينما يميل ليقبل كتفها بحميمية ويده ترفع لها هديته امام وجهها:
-افتحيها الان.
التقطت الهدية وفتحتها بيدين مرتجفتين قبل ان تشهق بصدمة وهي ترى قلادة من الذهب الخالص تحمل حروف اسمه مزينة بقطع الألماس الدقيقة..
-انها جميلة، للغاية ذياب.
ذابت حروف اسمه في لمسته المهيمنة على كفيها مزيحاً خصلات شعرها الطويل ببطء ليلبسها القلادة التي ارتاحت على جيدها واستقر اسمه على مقدمة صدرها وكأنما خلق ليكون هناك، لينخفض برأسه ويقبل عنقها من الخلف وهو يطريها:

-جميلة ومشعة كصاحبتها..
استدارت بين يديه ونظرت لعينيه بعينين دامعتين:
-لا أعرف كيف أشكرك.
ابتسم بحنو..أحاط وجهها الصغير بين كفيه وهمس:
-كوني سعيدة وواثقة فقط.
ابتسمت رغم تأثرها واقتربت تطالب بما حرمها منه سابقاً، مبادرة لتقبيله بخجل في البداية، قبل أن يغمرهما الشغف.
-الكعكة..ستذوب المثلجات.
همس بين أنفاسه اللاهثة لتضحك بخجل وتجيبه بصوت مخطوف:
-لا أرغب بشيئ.. سواك.
نظر اليها بدهشة للحظة قبل أن تتسع ابتسامته ويقفز من الأريكة بخفة حاملاً اياها بين ذراعيه قائلاً بضحكة:

-أعدك أنني سأشتري لك سواها في الغد.
احاطت عنقه بذراعيها وقبلت وجنته بهيام هامسة:
-لايهمني سوى أنك معي..
-رباااااه..
دمدم بخشونة وهو ينزلها على حافة سريرهما:
-أنت تتعلمين بسرعة ياوَردَتي.
اتسعت ابتسامتها وهي تجذبه اليها بخفر:
-أنا أحبك..
عم الصمت كئيباً بينهما كظلام ليلة بلاقمر، قبل أن تنتشر كهرباء مشحونة في الجو بسرعة مهولة كادت معه تضيئ ذرات الهواء حولهما وباقي كلماتها تختنق في صدرها بينما تشتعل عيناه ببطئ..
-اسفة..
همست برعب لماقلته وقد نزلت كلمتها

عليها هي نفسها كدلو ماء بارد.. ولكن ذياب اقترب منها وهمس بثقل:
-لاتأسفي وَردْ..
ثم طلب بابتسامة ناعمة:
-قوليها مجدداً.
ارتجفت وهو ينزل بشفتيه على عنقها ببطء متتبعاً عروقها الخضراء النافرة، لتميل برأسها للخلف متنهدة بخفوت وأنفاسها نخرج كلهاث مشتعل يقاتل حروف الكلمة المجنونة..
-قوليها وَردْ.
عاد يطالب وهو يمددها على الفراش الناعم بخفة مثيرة أسراً جسدها الصغير بين ذراعيه ودافناً فمه مداعباً نبضات قلبها لتهمس بشقاء:
-أحبك..
-اااه..

تنهد باستمتاع وابتسامته تلتهم وجهه الوسيم كله وهو يعود مشرفاً عليها متأملاً مافعله اعترافها الخجول بحمرة وجهها لتصبح قرمزية اللون، وعينيها تشع كالماس الخام قبل أن يهجم مغيباً مشاعرها الطاغية في قبلة كاسحة اختصرت كل مالديهما ليقولاه معاً.
*****
تسللت بقايا أشعة الشمس الغاربة خلف الجبل، وبدأت السماء الزرقاء البنفسجية تظلم حين دخلت السيارة التي يقودها ذياب الى ساحة القصر تحت أنظار فريدة المتصلبة، يوم كامل قضاه مع تلك الفتاة بعيداً عن القصر، هي لم تصدق في البداية حين جاءت عمتها لتخبرها أن ذياب ووَردْ لن يعودا للغداء ظهر الامس، وأنهما سيقضيان الليلة بكاملها في الخارج.. ولكنه فعل.

انقبضت أصابعها بقوة حتى شعرت بخاتم الزفير والالماس يقطع لحمها. عينيها تجمدتا على منظرهما وهما يغادران السيارة ولم تتحرك عضلة في وجهها حين اقترب ذياب من وَردْ وأحاط كتفيها الدقيقين بذراعه.

بل رسمت اللامبالاة على وجهها والبرود بداخل عينيها وهي تستدير لتستقبلهما..

-مساء الخير.

هتفت بابتسامة باردة حالما دخلا ليتوقفا معاً، عينا وَردْ خجلة ووجنتيها محمرتين بينما تشع السعادة من كل خلجاتها، بينما وقف ذياب بثبات وَردْ تحيتها بابتسامة:

-مساء الخير يافريدة.. كيف حالك وأين أمي؟

-انها في غرفتها، ستأتي على الفور.

ثم نظرت لوَردْ وسألتها بسخرية:

-ماذا هناك وَردْ ألا تريدين التحدث معي؟

خفضت عينيها وهمست:

-لا لا..مساء الخير لك سيدة فريدة.

رفعت فريدة ذقنها بتكبر وابتسمت بامتعاض بينما تتخلص وَردْ من ذراع ذياب حولها وهي تهمس:

-سأذهب لأرى ورودي..اعتقد ان براعمي قد ظهرت.

رأت فريدة الحماس يقفز من عيني وَردْ بينما تنتشي شفتيها بابتسامة،، ورأت ذياب يبادلها الابتسامة بطريقة جعلت كل احشائها تتقلب بداخلها برفض وكراهية، ظهرت بطريقة مرعبة في عينيها وهي تقول بحنق:

-لاترهقي نفسك عزيزتي حديقتك الصغيرة أمرت بازالتها بنفسي.

التفت ذياب لينظر لها بحدة بينما توسعت عينا وَردْ بصدمة قبل ان تركض ناحية

الحديقة الخلفية في حين اقترب ذياب من فريدة وقبض على معصمها بشدة:
-ماذا فعلتي؟؟
نظرت لعينيه بقوة وهتفت:
-هل نسيت انني اعاني من حساسية لحبوب اللقاح؟؟ ناهيك عن الحشرات التي جلبتها تلك الحديقة الصغيرة لشرفتي.
-حساسيتك خفيفة للغاية يافريدة وتلك الحشرات بالامكان القضاء عليها بسهولة ولكن...
-لماذا فعلتي هذا!!!؟؟
اخترقت صرخة وَردْ المتألمة نقاشهما ليلتفتا معاً وتتسع عينا ذياب من مشهد الدموع التي اغرقت وجنتيها وهي تصرخ بألم:
-لقد خربتي حديقتي، اقتلعتي كل الورود؟؟ لماذا!!!!!؟؟

احتدت فريدة بوقوفها بينما اقترب ذياب من وَردْ وهمس لها :
-لاتغضبي نفسك ياوَردْ.. سأحضرلك مع العم سيد حديقة اخرى في مكان بعيد عن شرفة فريدة.
نظرت له بعينين باكيتين:
-لقد اهتممت بتلك الحديقة لأيام طويلة..لقد انتظرتها بفروغ الصبر.
-توقفي عن النواح كالأطفال وتصرفي كامرأة ناضجة.
صاحت فريدة بسخرية لينهرها ذياب:
-توقفي فريدة.
بينما تنكمش وَردْ في مكانها وهي ترتجف بالبكاء:
-لماذا ؟؟لماذا؟
دمدمت وَردْ لتصيح فريدة بحنق:
-انت هنا لغرض محدد وَردْ ولست هنا للعب

دور سندريلا.. افهمي هذا جيداً.
-قلت لك توقفي.
صاح ذياب بحنق وهو يتجه نحو فريدة ويهزها من كتفها بقوة لتصرخ بهستيرية:
-انا لم اقل سوى الصدق، عليها ان تتوقف عن لعب دور الفتاة المسكينة وتدرك واجباتها.
-وَردْ ليس لها واجبات سوى ان تمارس حياتها بالطريقة التي تريد هي ولن اسمح لك بان تعارضي هذا.
هتف بعنف لتنظر له فريدة بصدمة، عروقه نافرة من الغضب وكل جسده يرتجف..
-هل تدافع عنها الان؟؟
هتفت بغضب ليرد بصرامة:
-انها زوجتـي..
ضحكت بسخرية ونفضت ذراعها منه هاتفة :
-زوجتك التي لم تردها والتي ارغمتك انا على الزواج بها.
ابيض وجه ذياب بينما صاحت وَردْ بشحوب:
-توقفاااااااااا..
التفتا اليها ليجداها تنافس صوتها شحوباً وهي تصرخ بصوت مبحوح:
-انا لست دمية تلهوان بها..
اقترب منها ذياب وهمس لها:
-لاتخافي وَردْ.. انا لست...
-لاتكذب علي..
هتفت بوجع.. وتراجعت وعينيها تذرفان الدموع.. بينما يتوقف ذياب مبهوتاً وهي تواصل:
-لقد استغللتماني بحقارة وانا سمحت بهذا..ولكن..
وخفضت وجهها شاهقة:

-لايحق لكما..لايحق لكما ..
-وَردْ...
صاح ذياب بغضب عارم وهو يتجاهل ابتعادها ويقترب ليمسكها بين ذراعيه:
-لاتستمعي لها، لاتخافي ولاتشكي بي.
نظرت له بحرقة وهمست:
-انت لم ترد حتى الزواج بي، لقد ارغمتك؟؟
-لا احد يرغمني على فعل شيء.
همس بحنق لتنتفض محاولة التخلص من ذراعيه بقوة دون ان تنجح..
-اتركني.
-توقفي..
هتف بعنف لتصرخ بهستيرية وهي تتخبط بين ذراعيه:
-اتركني..دعني اذهب .. دعني الان..
-ووَردْ توقفي.. وَردْ..

هتف بشراسه وهو يهزها بقوة اكبر لتشهق بالمفاجأة قبل ان تهمد كلياً وهي تتهالك بين قدميه كخرقة بالية..
تحت عينيه الذاهلة وصرخة فريدة المتفاجأة..
فقدت وَردْ وعيها وكأنها تريد ان تغيب عن كل ماحولها وماسمعته ولو بالقوة...
****

انتهى الفصل الثالث
روايات تصدر عن منتديات روايتي
قلوب أحلام زائرة
www.rewity.com

الفصل الرابع

"حامل"
صفعتها الكلمة بقسوة لتغرق في ظلام أحاط بها من الداخل قبل أن يغلفها من الخارج مشاركاً ظلام غرفتها التي لجأت اليها بعد سماعها الخبر الذي انتظرته لأيام.. بل لسنوات؟!
سنوات طويلة يائسة والأن تحقق الحلم أخيراً، ولكن..
تحقق للمرأة الخطأ في الوقت الخطأ.
نشجت بقوة وتساقطت دموعها بحرقة، شهقت تدفن وجهها بين كفيها وبدأ جسدها ينتفض بقوة ونشيجها يزداد، وهي تفكر..
أقل من شهـرين..! هذا مااحتاجته تلك الصغيرة لتكبر وتصبح امرأة كاملة بطريقة لم ولن تصل اليها هي ابداً. ألم يكن هذا حلمها هي؟ ألم يكن هذا ماخططت له طوال تلك الفترة، لقد تنازلت

عن كرامتها وشاركت زوجها رفيق فؤادها لأجل هذا..
فلم هذا الحزن؟ لم تلك الدموع التي لاتتوقف لم لا تشعر بالسعادة والفرح؟
لم تشعر بكل هذا القهر والألم، لم تريد أن تصرخ وتركض وتنزع قلب تلك المرأة وتسحقه بين يديها..!
تريد ن تأخذ طفلها وتزرعه بين احشائها هي، وتركض بحبيبها ذياب بعيداً..بعيداً جداً.
..
-فَريـــدة؟؟
تيبست مكانها بينما ارتفع حاجبا ذياب بتأثر وهو بالكاد يراها وسط الظلام الذي أغرقت نفسه فيه منذ أن أعلن الطبيب ان وَردْ حامل قبل قليل، فرحة والدته الهائلة لدرجة أنها ظلت تطلق الزغاريد بلا توقف،

أما هو فقط شعر بالذهول، للحظة لم يصدق.. هو بعد كل تلك السنوات من فقد الأمن، سيصبح أباً؟!
فـرحة هائلة بالكاد احتواها بوقاره وهدوءه..
سيصبح أباً بإذن الله؟! لايصدق ولايكاد يفهم.. ماحدث خلال الشهرين الماضيين،، أثار جنونه واعطاه عطية لايمكن لأحد أن يتخيل ماتعنيه الا من لم يذقها..
رغب أن يسجد لله فرحاً وشكراً وكاد يحني ركبتيه فعلاً.. ولكن..
بحث بعينيه عنها..من ستشاركه فرحته..
مخرجة المسرحية منذ البداية.. فريدة؟؟
رآها تنسحب بهدوء بعيداً.. وتصارعت نفسه بين اللحاق بها وبين الدخول لرؤية وَردْ والاطمئنان عليها..
رأى والدته تسرع لوَردْ ومعها فرحتها الهائلة

وشعر بالألم لحال فريدة.. وحدها ويعرف بالضبط ماتعانيه.. انها فريدة بعد كل شيء.

ولذا اتخذ قراره بأسرع من أن يفكر.. ومضى اليها خلف جدران حجرتهما المظلمة.

لم تنظر اليه..

كان الأمر أصعب عليها من اي وقت مضى..أن ينظر اليها ويعرف انها كانت تبكي وليس هذا فقط.. أن يرى عينيها ويدرك مدى ألمها وغيرتها الحارقة.

-فريدة انظري الي.

همس بصوت حازم محتد قليلاً.. لتشهق رغماً عنها بانفعال وتستدير عنه تشيح بوجهها بينما تتوسد فراشها وذراعيها، تعالت شهقاتها ولم تعد تبالي بمن يسمع.. شعرت به مباشرة الى جوارها كفيه تقبضان على ذراعيها بينما يرفعها اليه بسهولة اعتادها..

-لاتبكي..

همس بخشونة وهو يهزها برفق.. لتحاول الابتعاد عنه بعنف صارخة:

-اتركني وشأني.. اتركني واذهب اليها.

اغمض عينيه بصبر وهمس وهو يقربها منه بقوة:

-ألم يكن هذا ماانتظرته طوال ذلك الوقت يافريدة؟ ألم يكن هذا سبب زواجي بها منذ البداية؟

التفتت اليه بحدة وشعت عينيها الباكيتين بجنون وهي تصرخ:

-أهذا ماتحسبه الان فعلاً ياذياب؟ أهذا مايحدث حقاً بينك وبين تلك الصغيرة؟ ألازلت تعي انها مجرد وعاء سيحمل طفلنا؟

حاول السيطرة على غضبه من استخدامها لتلك الكلمة مجدداً وان يعوزه الى حالتها النفسية المحطمة كما يبدو وأخذ نفساً

عميقاً يهدئ به من روعه وهو يهمس من بين أسنانه:
-وَردٌ هي زوجتي يافريدة والأن هي تحمل طفلي، هي ليست صغيرة وليست وعاءاً كماتظلين تفكرين بها انها زوجتي، ودفن رأسك في رمال الادعاء بأنها شخص غير مرئي او اقل منك لن يساعدك أبداً في الخروج مما تضعين نفسك به.
-أنت تحاسبني على أفعالي وما اقول من أجل خاطرها هي؟
صاحت باستنكار لينهض ببطئ وقد بدا يتجلى غضبه وقلة صبره:
-ماقول هو انك تبالغين في غيرتك منها.
-انا لا اغاااااار من تلك المخلوقة.
صرخت بجنون جعله يناظرها بغضب حاد:
-توقفي عن الصراخ، منذ متى تصرخين في وجهي يافريدة؟
نهضت تصيح بألم:
-منذ أن بدأت تفضل تلك الفتاة عني ذياب، منذ أن بدأت تغريك وتجعلك خاتماً في اصبعها.. ربما يجب أن تذهب وترقد تحت قدميها وتنسى حتى وجودي.
اتسعت عيناه بصدمة غاضبة وغير معقولة جعلته يفقد اعصابه للحظات رفع فيها يده عالياً ينوي ان ينزل بها على وجهها صافعاً تلك الوقاحة منها وللابد.. حين توقفت ذراعه معلقة في الهواء..
هو لم يضرب اي امرأة في حياته.. لا شقيقاته ولا فريدة في اي يوم من قبل..
مالذي حدث لك ذياب؟ فكر مذعوراً، بينما عينيها هي تعلقت بذراعه بصدمة، يضربها؟؟!!
هو لم يفكر ابداً..لم يضربها قط ولو على سبيل المزاح، لطالما كان احترامه لها فوق

كل الحدود، والان هو سيضربها لأجل تلك؟؟
نظرت له بذهول ينزل يده الى جواره.. وجهه احمر انفعالاً، وقد انتفخت اوداجه بفعل الغضب قبل ان يقول بصوت مكتوم:
-فكري جيداً قبل ان تتكلمي معي في المرة المقبلة يافريدة.. فأنا لن أسمح بتكرار هذا الخطأ اتفهمين.. لقد فقدتي اعصابك ولابد أن تفكري وتقرري ماسيكون عليه الوضع في الايام المقبلة، انا سأبقى مع وَردْ حتى الحين.
-ذيااااااااااب..
صرخت لظهره المبتعد دون ان يعيرها أي اهتمام.. تهالكت على الارض باكية بعنف، مدركة انها مخطئة، وليس فقط بسبب ماقالته، وانما بالطريقة الغريبة التي أظهرتها اليه. غبية غبية..

فكرت بمرارة وهي تعاود البكاء بحرقة ودون توقف.
***
مدت كفيها الصغيرين وضغطت برفق أسفل بطنها، لايزال الذهول لم يبارحها منذ أعلن الطبيب ان سبب اغماءها هو التوتر العصبي المصاحب لاضطراب الهرومانت نتيجة للحمل؟!
حامل؟!
لم تعرف هل يجب عليها أن تفرح كماهو متوقع أم تنشج في بكاء هستيري..
لاتدرك سببه ولاحتى نتائجه، الفرح سيكون مسبباً.. ستصبح أماً حقاً.
أما البكاء؟؟
فلمَ؟ لما يجب عليها أن تشعر بالحزن والرغبة بالبكاء بهذه الطريقة المؤسفة؟
ألأنها أدت مهمتها كماهو متوقع وكما أرادت

فريدة ؟
أم لأنه لم يكن هنا!! ولم يأتي بعدها حتى؟
ماان غادر الطبيب حتى دخلت والدته تطلق زغاريد الفرح وتحتضن جسدها المرتخي بفعل الصدمة باكية تبتهل لله الذي أمد بعمرها فقط لترى احفادها.. ذرية بكرها وسندها..
ولكن ذياب لم يأتي..
احتقن وجهها وهي تعد الدقائق البطيئة التي تمر دون ان يوقفها شيء.. ارادت ان تترك نفسها للبكاء بعد ان تركتها امه ومربية المنزل بحجة تركها لترتاح وتحضير وجبة لائقة لعشائها.
ولكنها لم تبكي..لم تستطع ذرف دموعها ابداً..
كانت عينيها جاحظتين نحو باب الغرفة بانتظار دخوله..حين سمعت صوت خفيض يشير الى انغلاق الباب الخارجي للجناح..
استقامت في رقودها وعينيها لاتطرفان تراقب بلهفة ممتزجة بالألم لحظة دخوله..
كماتتذكره تماما بقميصه النيلي القطني، وبنطال الجينز الذي وصلا بهمن رحلتهما..
راقبت وجهه بحذر، نظراته غامضة، سوداء..
لاتشي بفرحة أو اي شي أخر.
تقدم بصمت حتى جاور فراشها.. وقبل ان تتنفس كان يختفي عن أنظارها خاراً على ركبتيه، شهقت بانفعال ومالت تنظر مايفعل لتصمت مشدوهة لرؤيته ساجداً بين يدي الله..!!
زفرت نفساً عميقاً قبل ان تراه يستقيم وعيناه تلمعان بطريقة مذهلة.. وكأنها سماء رمادية ملئى بالنجوم... لتتسارع انفاسها بصورة مفاجئة وهي تراقب انفراج

شفتيه عن ابتسامة شاكرة.. مقدرة ..
ابتسامة رجل .. لامرأته..
نهض يقترب منها يفاجئها بابتسامة عريضة
التهمت وجهه كله يطبعها على جبينها
كقبلة مدوية جعلتها تنظر له بذهول
بينما يهمس لها بحماس يندفع كالشرر من
بين أنفاسه:
-مبارك علينا ياوَردْ.
لم تقدر على التكلم حتى بقيت تفتح
فاهها باتجاهه بصدمة.. لم ترى ردة الفعل
هذه؟ لم تتوقعها ولم تعرف كيف تستجيب
لها..
-لماذا تنظرين لي هكذا ياوَردَتي؟
همس مميلاً رأسها جانباً لتستمر بصمتها
المذهول فرفع حاجبه بانزعاج طفيف قبل
ان يزيد من اقترابه نحوها ليهمس امام فمها
المفتوح:

-انت لاتغلقين فمك ياوَردْ وهذه دعوة
لاتقاوم ياجميلتي.
انتفضت حقاً حين احاطها بذراعيها بقوة
ساحقاً جسدها الرقيق على صدره كاتماً
صيحتها المندهشة بشفتيه بانفعال جارف
قاس بعض الشيء.. سرعان ماتحول الى رقة
ذائبة وهو يضغط ظهرها بذراعيه حتى
يغمرها تماماً حين استسلمت لقوته بتنهيدة
رضا وهو يسحقها على صدره مميلاً رأسها
ليتحكم بقبلته بشكل أكبر.
ابتعد عنها بعد لحظات لتغرق رأسها على
صدره الواسع مبتسمة بخجل..
-ستكونين اماً رائعة ياوَردْ.
رفعت عينين لامعتين نحوه وهمست مترددة:
-أنت سعيد؟!
ابتسم بحنان جارف واقترب يقبل جبينها
بعمق قبل ان يهمس على جلدها:

-رباااه ياوَردْ..لقد عشت لسنوات وأنا قانع بعدم رغبتي بالأطفال، تجاهلت كل ماتؤزني به نفسي كي لا أجرح فريدة او اسبب لها الاسى، حتى ماتت كل رغباتي بأن أصبح اباً..

احتقن جوفها وباتت تغمرها غصة مؤذية وهي تحاول عدم النظر اليه الا أنه أمسك ذقنها بين اصابعه وشدها نحوه:

-أنت أعدت لي تلك المشاعر وَردْ..كمايعود الميت للحياة، أنت ستجعلينني أباً..وهذا..هذا..

ضاعت كلماته وسط غصة غريبة ملأته من الداخل والتمعت عيناه بدموع أبت رجولته أن يذرفها بينما يحوط وجهها بكفيه بقوة ويهمس لها بتأثر:

-سجدت شكراً لله أولاً لأنه صاحب الفضل والمنة ياوَردْ، والأن دورك ياعزيزتي..

اتسعت عيناها بتأثر وهي ترى دمعة وحيدة عنيدة انسابت على وجنته بالكاد واختفت على شعيرات ذقنه النامية وهو يهمس:

-شكراً لك ياوَردْ..شكراً لأنك أعدتي لي مشاعر فقدتها منذ سنوات..شكراً لأنك تجعلينني رجلاً جديداً غريباً عني، رجل بقلب راجف وعقل مضطرب..

عقدت حاجبيها بقلق ليبتسم برقة ويطمئنها:

-ولكنه رجلٌ سعيدٌ ، سعيدٌ للغاية يازوجتي الجميلة.

ابتسمت حينها..بكل سعادة ابتسمت والقت نفسها بين ذراعيه وكل مشاعرها السلبية السابقة تغادرها محلقة بسرعة، انه سعيد بخبر حملها واكثر.

عانقته بشغف واستسلمت لذراعيه المسيطرة بينما يحادثها بصوت منخفض عما سيفعله

للطفل حين يولد، ماسيقدمه له وماسيشعر به تجاهه.. كيف سيختاران معاً أثاث غرفته الملحقة بالجناح، كيف سيختاران معاً ملابسه حالما يعرفان جنسه.. ناقش حتى الاسم الذي يود أن يسميه..

-الطفل الاول هو لي.. ان كان ذكراً فهو شريف.. اسم جدي الاكبر رحمه الله.. وان كانت فتاة فهي جورية.

-جورية؟!

تسائلت باستغراب الاسم الغير مألوف فابتسم هامساً:

-والدتها تدعى وَردّ.. فهي بالتأكيد جورية..

ضحكت بصفاء واستدار في حضنه لتستند على صدره بمرفقيها:

-وماذا عن زهرة؟ ربما فلة؟ مم اقحوان..ياسمين..

انفجر ضاحكاً وهز رأسه باصرار:

-جورية.. انه قراري..

-انها ابنتي..

-انها ابنتي أنـا..

همس بعجرفة وان حمل صوته الفخر الكبير وعينيه تلمعان بمحبة خالصة جعلتها تغرق باحساس لذيذ قبل أن تذعن خافضة جفنيها بطريقة موحية جعلته يبتسم ابتسامة عريضة.. ابتسامة رضا.

***

انقضى اليوم بطريقة غير عادية، جئن شقيقات ذياب وأمرت أمه بذبح رأس ثور احتفالاً بالمناسبة تلقت التهنئات من الجميع حتى انها تلقت الهدايا، معظمها تمحورت حول الطفل القادم.. شقيقة ذياب الكبرى جائت بطقم حمام فاخر، والصغيرة أتت بطقم جوارب صوفية رائعة الجمال باللونين

الوَردْي والأزرق.. وهمست لها باثارة:
-لانعرف جنس المولود بعد ولكنني لم اقدر على مقاومتها..
لامستها وَردْ بفرح وهتفت:
-انها جميلة..
الصغيرة أمل استلقت وأذنها على بطن وَردْ وحاجبيها معقودين بانزعاج للفوضى حولها لتنهض هاتفة بحنق:
-اصمتوا جميعاً..اريد ان أسمع الصغير.
صمت الجميع بدهشة قبل ان ينفجروا بالضحك دون توقف بينما أمها تتقدم لتحملها بصعوبة هاتفة:
-توقفي عن شقاوتك هذه الصغير لم يكبر بعد لتسمعيه..
-ولكنه ابن خالي..اريده لي..
هتفت باعتراض لتضحك جدتها بصخب ثم تشدها من ظفيرتها وتهمس:

-توقفي عن شقاوتك والا ابلغت خالك وسيصفعك على مؤخرتك.
-لاااااااااااا..
صرخت باعتراض وركضت تفتح الباب لغرفة الجلوس حيث اجتمعت النسوة وتسمرت للحظة قبل أن تهتف وهي تتقفز:
-خالتي فريدة..خالتي فريدة..سيكون لدينا بيبي..سيكون لدينا بيبي جديد..
ارتفعت الانظار كلها للباب حيث وقفت فريدة بطلتها الفاتنة وقد انسدل شعرها الناعم على كتفيها وفاحت رائحة عطرها الباذخ بينما تتهادى الى الداخل بابتسامة ناعمة وهي ترد:
-نعم ياأمل..سيكون لدينا بيبي..اليس هذا مفرحاً ياعزيزتي؟
وافقتها أمل بقفزات متتالية ومضت تركض خارجاً بينما انضمت فريدة للجمع وهي

تقترب من وَردْ بخطى ثابتة حتى وقفت قبالتها.. رفعت وَردْ اليها عينين لائمتين..لم تنسى بعد مافعلت بحديقتها.. وبها هي نفسها.

-مبارك ياوَردْ.. مبارك لنا جميعاً.

كان هناك شيء مابصوتها..نبرتها الناعمة أخفت ظلالاً خلفها..جعل وَردْ تحيط بطنها بكفيها دون أن تعي وهي تهمس بشحوب:

-شكراً لك فريدة.

انحنت نظرة فريدة لحركتها العفوية فمالت شفتيها بابتسامة لم تعجب وَردْ قط، قبل أن تجلس جوارها وتهمشها تماماً وهي تلتقي بعيون النساء الحذرة حولها هاتفة بمرح:

-مابالكن؟؟ انه الخبر الذي انتظرناه كلنا منذ زواج ذياب.. أليس كذلك؟ أتذكر سارة قد وعدت بالرقص حين نعلن أن

العروس حامل؟؟

ونظرت لشقيقة زوجها بترقب مرح والتي ضحكت بخجل وشوحت بيدها:

-كان مجرد حديث..

-اوه لاااا..

نهضت فريدة وانطلقت الى جهاز تسجيل حديث وادارت اغنية راقصة قبل ان تنظر لسارة التي راقبتها بدهشة وقد فاجأهم جميعاً تصرفها المبالغ به بعد اعتكافها منذ سماع الخبر حتى اللحظة.

ولكن سارة بديبلوماسيتها المحببة نهضت بابتسامة وبدأت ترقص لحناً شرقياً مميزاً يرافقها تشجيع والدتها وشقيقتها الصغرى وضحكات فريدة العالية..وابتسامة وَردْ الخجول..

-مالذي يحدث هنا؟

تعالى الصوت المرح من على الباب لتركض

سارة وتجلس وقد تخضب وجهها بالخجل لرؤية شقيقها البكر يقف مراقباً وقد رفع حاجبه بتعجب:

-يالهي ذياب الا تطرق الباب؟

-صدقيني لم اتوقع هذا المشهد الصادم..

قال بمرح وهو يدخل قبل ان يتجهم وجهه لرؤية فريدة الواقفة امام جهاز التسجيل وقد علت الابتسامة الجامدة وجهها..

-فريدة!!

همس بتحية متعجبة لتتسع ابتسامتها ولاتصل لعينيها حتى،اقتربت منه وقبلت وجنته ببطئ متعمد ملامسة جانب وجهه قائلة بصوت ناعم:

-مبارك حبيبي..

عقد حاجبيه بتوتر وهو يراقبها بصمت تحيط بذراعه وتشد عليها أمام شقيقاته ووالدته..وامامها..أمام وَردْ التي خفضت عينيها وشدت من احاطتها ببطنها بحماية غريزية للصغير الذي ينمو بداخلها..

وشاهدها ذياب.. وشعر بجسده يتصلب وهو يفهم بلحظة ماتهدف له فريدة.

تحرك ببطء وتحركت معه ليجلس بالقرب من وَردْ وعلى يساره فريده، مد يده ليحيط بكفيها بقوة جاذباً نظرتها اليه.. شاردة ومهتزة غير واثقة من شيء حولها، لتقابلها نظرته القوية..ثابتة ومطمئنة، تبتسم في عينيها وتبشرها بأنها في حماه فقط..

ابتسمت له..ابتسامة صغيرة خجولة ابتسامة محبة للغاية، جعلت ابتسامته تتسع وتنهيدة ارتياح تغادر صدره قبل أن يجذب كفها نحو شفتيه ويقبل باطنها ببطئ.

-أخبريني وَردْ عن دراستك صغيرتي؟

قالتها سارة بحنان مقاطعة سيل الأفكار التي كانت تدور في رأسها وجعلتها تبتسم

لها باشراق وهي تهتف:
-انها رائعة..لقد كان حلم حياتي أن أدرس قواعد الرسم وأصقل موهبتي..والحمدلله.
كان الفرح يشع من عينيها وهي تحيلها في وجوه الجميع حتى استقرت على عينيه الحانيتين قبل أن تسمع فريدة تقول بحنق:
-ولكن كيف يمكن أن تعاودي دراستك؟ انت حامل الان يجب أن تلازمي الفراش.
جميع الانظار اتجهت اليها متسائلة ومتوترة، بينما اتسعت عينا وَردْ بذعر.. وذياب قال بحيرة:
-مالذي تقولينه يافريدة؟
-مايجب ان تعيه جيداً.. الحمل في شهوره الاولى ويجب ان تلازم الفراش وألا تقوم بأي مجهود.
-الطبيب..الطبيب لم يقل.
تلعثمت وَردْ لتبتسم فريدة بسماجة:
-ومالذي ستعرفينه أنت وَردْ.. أنت لازلت طفلة..
شعر بالغضب يسيطر عليه وهو يراقب فريدة تعتدل في مقعدها وتبدأ باصدار الاوامر، والقاء التحذيرات هنا وهناك، كان يرى امتقاع وجه وَردْ.. ونظرات والدته لشقيقاته المستغربة.. كان يريد ان يسأل فريدة سؤالاً واحداً فقط.. سيعيدها في مكانها الصحيح تماماً.. ولكنه سيطر على نفسه بقوة ونظر لأصابعه المتشابكة مع اصابع وَردْ وهمس من تحت ضروسه:
-غداً سنحدد موعداً مع طبيبة النسائية وهي من ستخبر وَردْ بكل الممنوعات.
نظرت له فريدة بحنق وصدمة، بينما يواصل بجمود:
-وانا بصراحة لاأرى أي داع لتركها لدراستها، انها بصحة جيدة وبنية قوية..وَردْ

قادرة على الاعتناء بنفسها.. والاعتناء بطفلنا.
أضاف كلمتيه الاخيرتين بنبرة خاصة، يقصد فريدة بتحذيره، وينظر لعيني وَردْ دون حراك.
سمع شهقة فريدة المتفاجئة.. ورأى اتساع عيني وَردْ ليغمز لها بخفة قبل ان ينهض متنحنحاً:
-سنذهب لصلاة العشاء انا والشباب لم لاتجهزون العشاء في هذا الوقت؟
ثم مال ليقبل وجنة فريدة المتصلبة، وبعدها اقترب من وَردْ ليبتسم ومال يقبل جبينها بعمق قبل ان يهمس:
-لاترهقي نفسك حبيبتي.
أشرق وجهها بابتسامة خجولة وهي تومئ له باستجابة قبل أن يقبل رأس والدته بحنان ويوصيها بوَردْ ثم يغادر..لم يكن يعي ان

الجو خلفه اشتعل ببطئ وان ناراً شبت بداخل فريدة، وهي تتراجع لتغوص في مقعدها صامتة بوجه احمر من الحقد والغيظ، بينما تسارع شقيقات ذياب للتحدث معها ومناقشة امور الحمل واعطاءها بضع من خبراتهن ويقصصن عليها قصص حملهن وولاداتهن.
***
لم تكن الأيام التالية التي مرت بسرعة مختلفة، بالنسبة لوَردْ كانت تعيش أجمل ايام حياتها الجميع يدللها.. ابتداءاً بحماتها وشقيقات ذياب.. وانتهاءاً بالخدم والعاملين بالمنزل.. ومن الناحية الاخرى كان ذياب. لم يكن يتركها قط .. حتى ذهابها الى معهد الرسم وعودتها كان عن طريقه، طعامها كله تحت اشرافه وخصوصاً بعد ان أصرت الطبيبة النسائية على انها يجب أن تحسن نظامها الغذائي..

ومنذ الليلة الاولى دون أن تعرف السبب، كان ينام معها، دون أن يقترب من غرف فريدة قط، لم تكن فريدة تتذمر رغم صمتها الغريب وابتعادها عن طريق وَردْ وعدم تدخلها فيما لايعنيها، ولم يكن لوَردْ أن تتذمر..على العكس.
كانت تشعر بأنها سعيدة للغاية..أكثر مماتستحق.
.....
بعد أربعة أشهر..
.....
مسدت وَردْ ظهرها بتعب ووضعت قطعة الفحم من يدها على الطاولة المجاورة، وجلست مرهقة على كرسي قريب ويدها على بطنها بحذر، لقد أرهقت نفسها اليوم.. انها واقفة على ساقيها منذ ساعة ونصف، وليلة أمس هي لم تنم قط، واحمرت

وجنتيها، ذياب لم يترك لها المجال لتنام لوقت طويل.. ابتلعت ريقها وألم مباغت يهاجم ظهرها، لتغمض عينيها بشدة..
-هل أنت بخير ياوَردْ؟
سمعت صوت استاذها بالقرب منها لتفتح عينيها وتناظره مذعورة:
-أريد زوجي..
عقد الاستاذ حاجبيه وقال بقلق:
-هل تشعرين بألم ما؟
نظرت اليه متسعة العينين كلها يرتجف وخوف غريب يجتاحها وشفتيها ترددان اسم زوجها بلاتوقف بينما الاستاذ يعقد حاجبيه بتوتر ويسارع باخبار بعض زميلاتها ليتحلقن حولها بقلق، لم تعرف مالذي حدث ولكنها في غضون الدقائق القليلة اللاحقة كان يُسرع بها الى مستشفى قريب بسيارة الاستاذ..

...
بعد وقت طويل كانت ترقد على سرير المستشفى الأبيض، وحيدة ترتجف وعينيها تذرفان الدموع بلاتوقف بينما تحيط كفيها ببطنها بذعر..
حينها فتح الباب ودخلت عمتها، والدة ذياب ترافقها فريدة، الأولى قلقة ومذعورة والاخرى بوجه شاحب..
-بنيتي ماذا بك؟ مالذي حدث؟
-عمتي..
نادتها بشحوب وهي ترتمي بين ذراعيها وتنشج بلاتوقف..بينما تمسد عمتها ظهرها بحنان.. وفريدة تهتف بتوتر:
-هل ارتحتي الان؟!
-كفى يافريدة.
هتفت عمتها بحدة.. بينما اشتد نحيب وَردْ وهي تشهق:
-أين ذيااااب؟؟ لم لم يأتي؟؟
-حاولنا الاتصال به بنيتي..انه في اجتماع مغلق ولايستجيب لاي اتصال.
زاد بكاءها بينما تهتف فريدة بعصبية:
-أين هو الطبيب المتابع لحالتك اريد أن اعرف ماحدث؟
اغمضت وَردْ عينيها بقوة ودفنت وجهها اكثر بين ذراعي عمتها الحنون التي ضمتها بقوة لبعض الوقت وفريدة تروح وتجيء بتوتر ودون توقف.. حين سمعتها تدعوا اياً ماكان للدخول ثم تسمع صوت استاذها يلقي السلام ويستأذن للدخول..
رفعت عينيها بتشوش لترى فريدة تعقد ذراعيها على صدرها متسائلة بخشونة:
-ومن تكون حضرتك؟
اقترب الرجل بعينين قلقتين تسترقان النظر لوَردْ التي كانت عمتها تغطي شعرها

كيفما اتفق:
-انا ماجد رشيد..أستاذ وَردْ في معهد الرسم، أردت أن أطمئن عليها.
رفعت فريدة حاجبيها بتعجب وهي ترمق الرجل الطويل اشيب الفوذين الذي اقترب من سرير وَردْ وهمس بحنان:
-كيف حالك ياوَردْ؟ هل تشعرين بالألم؟
تحركت وَردْ بعدم راحة ومسحت دموعها بظهر يدها هامسة بخفوت وضيق:
-انا بخير شكراً لك استاذ.
عقد الرجل حاجبيه وتراجع بحرج وهو يستشعر عدم الترحيب في صوتها بينما تقترب فريدة هاتفة بسخرية:
-تفضل استاذ ماجد، يالهي وَردْ الرجل أتعب نفسه بالسؤال عنك، لم لاترحبين به كمايجب؟
-لاداعي لهذا انا فقط اردت الاطمئنان عليها وسأنصرف في الحال..
ثم نظر اليها وهمس:
-حمداً لله على سلامتك..
اومأت له بحرج بينما تقول عمتها:
-شكراً لمجيئك بني..وشكراً لأنك جئت بوَردْ الى المشفى أخبرتنا صديقتها بأنك من فعل.
-انه واجبي سيدتي..
قال باحراج.. وعينيه بالكاد تحيدان للمرأة الصغيرة بين ذراعيها بطريقة لم تفت فريدة التي اتسعت ابتسامة سخريتها وهي تجول بعينيها بينهما حين فتح الباب بعاصفة قوية من الغضب والقلق والخوف..
توقف ذياب للحظة وهو لايستوعب رؤية الرجل الغريب الواقف في الغرفة التي أخبروه ان زوجته فيها!!
للحظة فقط عاد لينظر لرقم الغرفة، وحين

تأكد من أنها المقصودة عادت ملامحه تعصف من جديد..
-من أنت؟؟
هتف بعنف ليتراجع الاستاذ ماجد بحذر وهو يعي تماماً مقدار مشاعر الرجل امامه، ولم يرد بل تدخلت والدته لتهتف بارتياح:
-تعال بني، زوجتك هنا..
نظر ذياب لوَردّ بلمحة خاطفة ورقت عيناه لمنظر دموعها وانكماشها الواضح بين يدي والدته ولكنه عاد للرجل الاخر بحدة واعاد سؤاله بخشونة اكبر ليشد الرجل من وقفته ويتغلب على حذره وهو يرد بحزم:
-أنا ماجد رشيد استاذ وَردّ، لقد التقينا قبلاً سيد ذياب.
احمر وجه ذياب بشدة وانتفخت اوداجه وبدا كذئب شرس وهو يقترب من الرجل الذي تذكره فجأة، بنظراته اللزجة واعجابه الواضح بوَردّته الصغيرة، والذي كاد يطير بصوابه.
-ذياب، الاستاذ ماجد هو من أحضر وَردّ للمستشفى وعليك أن تكون شاكراً له..لولاه..
قالتها امه بحدة ووجهها يشحب فجأة للتفكير بالاسوأ وليتوقف ابنها بلحظة عن رغبته في ضرب انفه ويتراجع هامساً من بين أسنانه:
-كان عليهم الاتصال بي.
-حاولنا الاتصال بك بني، مساعدتك رفضت تحويل اية مكالمة وقالت بأنك في اجتماع.
-كان عليكي اخبارها ان الامر طارئ امي.
زفر بعنف ثم استغفر وهو يشيح بوجهه عنها ليجد فريدة تقف في الخلف ووجهها متجمد قبل ان يعيد بصره للاستاذ ويقول ببرود

مقتضب:
-شكرا لمساعدتك.
تنحنح الرجل وهز كتفيه:
-لاشكر على واجب ..وَردْ تلميذتي وهذا واجبي لاأكثر.
تقلص وجه ذياب وهو يسمع اسم زوجته مجرداً من فم هذا الوقح للمرة الثانية قبل ان يحيهم بتوتر متلافياً النظر لوَردْ ويسارع بالخروج..
رآن الصمت بعدها لتتقدم فريدة من مكانها مقتربة من ذياب قائلة بقسوة:
-أخبرتك أن دراستها ستتسبب بفقدانها للجنين، أخبرتك أن عليها أن ترتاح.
زفر ذياب واشاح عن فريدة متجهاً لوَردْ..
نظر لأمه للحظة ثم ابتسم لها ابتسامة قصيرة:
-اتركونا للحظة أمي.

اومأت والدته بتفهم ونهضت تلحقها فريدة الساخطة للخارج..
وقف ذياب مشرفاً على وَردْ..عينيه مسلطة على رأسها المنكس وكتفيها اللذين يهتزان بفعل نحيبها الصامت.. وابتلع ريقه بصعوبة..
لقد عاش اسوأ ساعة في عمره..
بعد ان انتهى اجتماعه بمجلس شركائه وتلقيه رسالة والدته الصوتية المليئة بالدموع والشهقات والذي لم يفهم منها سوى أن وَردْ في المستشفى، اسرع لخارج الشركة يقود كالمجانين وصولاً للمشفى حيث اندفع يبحث عن غرفتها لتقابله الطبيبة التي عاينتها.. وتحمل بصبر المحاضرة الطويلة التي اعطته اياها..دون أن يفتح فمه دون حتى ان يعبر عن رغبته بترك كل شيء والذهاب اليها..
كان يشعر بالقلق العارم الذي يتآكله

بلارحمة..
ولكنه اراد ان يعرف بالتفصيل ماحدث، وكيف؟
والان..وهو يقف أمامها لايعرف حتى مايشعر به..
الخوف والرغبة العارمة في ضمها اليه دون أن يفلتها قط..
كونها كانت بعيدة عنه ووحيدة وهي تعاني جعل قلبه ينقبض يقسوة اذته قبل ان تؤذيها، ورؤية ذلك الرجل هنا معها وانه هو من أنقذهما معاً جعله يشعر بغيرة عنيفة..
جلس الى جوارها وقبض على كتفيها بحزم هامساً:
-انظري الي.
هزت رأسها برفض..ليتنهد ويسارع بسحبها اليه بقوة.. دافناً دموعها الغزيرة على صدره وكاتماً شهقاتها بقوة حضنه وهو يأمرها بصبر:
-لاتبكي..
كتمت صرخاتها، وبالمقابل كان جسدها كله ينتفضِ بلاتوقف بينما يمسد ظهرها بحنان هامساً:
-توقفي وَردْ.. لم يحدث الا كل خير ياصغيرتي.
-أنا..أنا أسفة..
هتفت بصوت متقطع ليتنهد:
-لم يكن الأمر خطئك..أنا السبب.
هزت رأسها بعنف ولاتزال تدفنه في صدره ليهمس لها متوتراً:
-بلى هو أنا، لقد أعطتني طبيبتك محاضرة طويلة عن التعقل والسيطرة على النفس في الشهورِ الاولى للحمل، رباه كم كنت احمقاً، وعنيفاً معكي ليلة امس.
-أنت لم تكن..

اعترضت بضعف ليقبل قمة رأسها:
-بلى ياوَردْ، لقد سيطرت رغباتي علي بطريقة متوحشة ولم أكن اعي ان بظرفك الحالي قد لاتتحملين..وأنا..
واحمر وجهه وهو يرفع وجهها اليه.. وجنتيها غارقتين بالدموع بينما عينيها متسعتين ببراءة لتقابل عيناه المذنبتين:
-أنا تصرفت بطيش وقلة اهتمام.
-انا لا ألومك ذياب..
همست متلعثمة ليغمض عينيه قليلاً ويعاود دفنها بين ذراعيه هامساً:
-أنا ألوم نفسي..حبيبتي، وهذا لن يتكرر.
-ماذا تعني؟
همست بخوف وهي تقترب من صدره أكثر ليبتسم بحنان ويقبل جانب رأسها بخفة:
-هذ يعني انني سأعتني بكي الان بشكل أكبر، وانك ستضطرين لتحمل مالم يتحمله احد من قبل.
-كيف؟
همست بتردد بينما يحيط وجهها بكفيه وينظر لعينيها بتركيز:
-أنت ستتبعين نصائح الطبيبة حتى لايحدث لك أي سوء حبيبتي، وهذا معناه أن تبقي في المنزل وعلى سريرك لبعض الوقت، وانا سأهتم بنفسي بهذا الامر كي لايحدث لك أو لطفلنا مكروه.
-هل قالت انني قد أفقده؟
همست مذعورة ليطمئنها:
-انها فقط حذرة.. الألم الذي فاجئك اليوم كان بسبب ارهاق البارحة وعدم الراحة، وانا لن اسمح بتكراره، وبقاءك قريبة مني وتحت عيني هو مطلبي الوحيد.
-وماذا عن المعهد؟
تسائلت بخشية ليحتد وجهه ويقول بجفاء:

-سنتطر الى تأجيل دراستك لبعض الوقت حبيبتي، حتى تخرجين من مرحلة الخطر.. هل تفهمين؟

ارادت الاعتراض والقول انها تستطيع الاعتناء بنفسها جيداً ولكنها تذكرت الألم الذي فاجأها وكم كانت مذعورة وخائفة من فكرة فقدان الطفل، وماقد يحدث لها في المقابل. لذا وباستسلام كامل اومأت برأسها موافقة وهمست له:

-حاضر.

ابتسم لها وهمس:

-فتاة طيبـــة..

عادت تسند رأسها على كتفه تنشد منه الامان ولم يبخل عليها بل سرعان ماكان يطوقها بذراعيه بقوة، ثم مددها على الفراش ولامس بطنها المتكورة برقة جعلتها تبتسم حين رأته يقترب ليقبلها

برفق ثم أسند رأسه عليها هامساً لها بكلمات حنونة وكأنها تهويدة جعلتها تسبل جفنيها جسدها يرتخي تحت تأثير كلماته الناعمة ويرسل جفنيها مسبلة على عينيها غارقة في نوم لذيذ.

***

-ماما ألن يتناول ذياب عشاؤه معنا؟ لقد اجتمعنا لرؤيته وزوجتيه!

-لا يابنيتي.. وَردْ لاتشعر بخير وهو سيبقى معها.

رفعت سارة حاجبيها قبل ان تعقدهما بعدم رضا وتهمس:

-اماه الا تظنين ان ذياب يبالغ قليلاً..

عقدت امها حاجبيها وتركت اطباق الطعام بيدها وتسائلت:

-ماذا تعنين؟

تلفتت سارة حولها تتأكد من ان شقيقتها

الصغرى وابنتها لم تكونا بالجوار قبل ان تجذب أمها وتجلس معها حول طاولة الطعام التي يعددنها:

-ذياب ومنذ حمل وَردْ وهو بالكاد يفارقها، انا اعرف ان حملها كان هبة من السماء امي، وبالذات لأخي، وادرك جيداً مدى فرحته بها.. ولكنه يهمل فريدة هو لايحدثها حتى..كما انها أخبرتني انه ومنذ شهور لايبيت معها.

تنهدت امها وهمست:

-تعرفين انني لا احب التدخل في حياة اي منكم وبالذات ذياب، لم أتدخل أبداً حينَ قرر عدم الزواج حين عرف بعقمها، ولم اتدخل كذلك حين قررا معاً أن يتزوج بوَردْ، ولن اتدخل الان.

-ولكن أمي..فريدة زوجته كذلك وعدم حملها هو ارادة الله وحده.

-شقيقك لم يعترض على هذا من قبل، ابداً لم يعترض..وفرحته الان لايمكن لومه بنيتي.

هتفت والدته بدفاع عن ولدها الوحيد لتهتف سارة بحنق:

-ومن لم يفرح امي؟! انا سعيدة للغاية لحمل وَردْ.. واحب تلك الفتاة كثيراً ولكن هذا لايعني ان يهمل فريدة.

-سارة توقفي عن التدخل، شقيقك لن يسمح لأحد بهذا.

-أنت تعرفين شيئاً ماما؟!

هتفت سارة بفضول لتحدجها امها بنظرة حازمة وتنهرها بشدة واقفة:

-انا لا اعرف شيئاً عن مشاكل شقيقك مع زوجتيه، وحتى لو عرفت فلن اخبرك بشيء.

-ماما!!!!!!..

هتفت بحنق الا أن امها لم تعرها اي اهتمام

وهي تحضر صينية واسعة بها الكثير من أصناف الطعام وتأمر احدى الخادمات بأخذها لذياب في جناح وَردْ، ولم تفقه لعيني فريدة المسلطة عليها بألم وغضب..
لقد فاض بها الكيل شهور من الاهمال وكل هذا بسبب زلة لسانها حين عرفت بحمل وَردْ.. مالذي يريده منها؟ أيريد منها ان تعتذر؟! هي تعرفه بشكل كبير.. هو لن يعود اليها حتى يسمع اعتذاراتها..
ولكنها لم تعد تحتمل مايحدث.. هذا كثير جداً، دخلت غرفتها تجلس على طرف سريرها، عينيها تنظران للفراغ وتبحثان عن طريقة .. أي طريقة للخروج من هذه الدوامة.
في اليوم التالي كانت الفرصة تنتظرها على طبق من ذهب..
خرج ذياب كعادته الى عمله في الصباح،

وكانت والدته قد غادرت للذهاب لزيارة قريبة لها في المستشفى، وَردْ نائمة في جناحها كعادتها منذ غادرت المستشفى قبل اسبوعين وبقيت فريدة متكاسلة امام التلفاز تبحث عن طريقة لارجاع زوجها اليها دون أن تمرغ كرامتها على الارض أكثر..
حي رن جرس الهاتف وبعد لحظات سمعت صوت الخادمة تسألها:
-سيدتي هناك من يطلب التحدث للسيدة وَردْ؟
لوحت لها فريدة بلامبالاة:
-اذهبي اليها.. وماشأني أنا؟
-ولكن السيد طلب عدم ازعاجها حتى تستيقظ وحدها.
-خذي رسالة اذاً..
زفرت فريدة بضيق لتهز الفتاة كتفيها وتعاود الحديث مع من على الهاتف وسجلت

رسالته في ورقة قريبة واعادتها اليه بصوت واضح قبل ان تقول انها ستوصلها للسيدة باسرع وقت..ولكن فريدة لم تتركها تكمل..سمعت مصادفة خادمتها تكرر اسم الرجل على الهاتف وفتحت عينيها باتساع وهي تتعرفه"ماجد رشيد؟؟"
قفزت تخطف السماعة من يدها وتشير لها بأن تنصرف وعقلها يموج بأفكار شيطانية..
-صباح الخير استاذ.
لم يجبها احد لوهلة قبل ان تسمع نحنحة الرجل وهو يعيد عليها التحية ويتسائل بحذر:
-وَردْ؟!
لوت فمها بسخرية وهمست:
-لا لست وَردْ استاذ.. انا فريدة زوجة ذياب الشريف الأولى..

-اوه سيدتي المعذرة لم اتعرف صوتك.
قالها بتردد وهو يبحث عن سبب تكلمها معه لترد فريدة:
-على العكس.. انا من يود الاعتذار، فزوجي لم يتصرف معك بكياسة مطلقاً.. هو حتى لم يشكرك بطريقة لائقة على مافعلته.
-لم أقم سوى بواجبي.. وهو ماجعلني اتصل الان لأطمئن عليها..هي لم تعد تواصل دروسها وأردت فقط...
-نعم بالطبع اعرف .. انت تعتني بها.
قالتها بخبث جعل الرجل يتوقف لبعض الوقت قبل ان يهمس بصوت متحشرج:
-وَردْ هي تلميذتي وانا..انا قلق عليها فقط.
تنهدت فريدة وهي تجلس باسترخاء:
-كلنا قلقون على وَردْ..انها تحمل طفل ذياب الغالي ولذا عليك ان تعذر زوجي فقد انتظر الطفل على احر من الجمر.

رآن الصمت عليهما للحظة قبل ان يواصل الرجل:
-هل يمكنك اخبار وَردْ أنني فقط اردت الاطمئنان عليها؟
-بكل تأكيد..
هتفت بابتسامة خبيثة والقت السلام باقتضاب رداً عليه قبل ان تغلق الخط وعقلها يرسم الخطط بسرعة وجنون.. ولم تتأخر..
حين نزلت وَردْ لتجالسها وعمتها التي عادت من زيارتها كانت تتعامل معهما بكل اعتيادية وخفة، وَردْ من الناحية الاخرى كانت تشع بانقباض قوي جعلها تخالف اوامر زوجها وتنزل الى البهو وقد كرهت سريرها والبقاء فيه طيلة الوقت، وحين عاد ذياب ذلك اليوم لتناول الغداء زمجر في وجهها بعد القاءه السلام على ثلاثتهن:

-ماذا تفعلين هنا؟ لم لست في الفراش؟؟
زمت شفتيها بدلال وهمست:
-لقد مللت ..اردت ان أحرك ساقي.
تغضن وجهه بعدم اقتناع ولكنه لم يعارض وهو يرى انفراج وجهها وتقربها من والدته التي أحاطت كتفيها بذراعها وهتفت:
-دعها بني.. ان الحركة بركة كما كانت تقول جدتك.
-ليس ان كان هناك خطر ماعليها امي.
-ليس هناك خطر، انا لم أعد اشعر بالألم.
-الحمدلله.
قال بحزم لتبتسم في وجهه باتساع جعله يبلع باقي تذمره ويلتفت لفريدة التي اختارت ذاك الوقت بالذات لتنهض قائلة بمرح مستطنع:
-توقف ذياب عن انتقاد الفتاة دون توقف انها فتاة شابة وحيوية، وحبسها في قمقم بعيداً

عن الجميع لن يحفظها لك.
لم يرد ذياب بل حدجها بنظرة قاسية واشاح بوجهه ليحمر وجهها هي ولكنها لم تيأس بل عادت تقول بخفة:
-اووه لقد نسيت.. وَردْ..لقد اتصلوا بك اليوم ..
رفعت وَردْ لها وجهاً حائراً فلم يكن هناك من سيتصل بها على الاطلاق، حتى خالتها أم اسعد يبدو أنها نسيتها كلياً ولكن فريدة واصلت بعد توقف قصير تجمع فيه انظار وفضول الجميع:
-انه ذلك الاستاذ الرائع من معهد الرسم.. اااه لقد نسيت اسمه..
قالتها ببطئ وعينيها على زوجها الذي اسود وجهه ونهض بغضب وهي تواصل وكأنها لم تره:
-لقد سأل عنكي مطولاً.. وكان اسفه شديداً انه لم يقدر على التحدث معكي، اراد أن يفهم مصابك بشكل مستفيض...
"ماهذا الهرااااء"
هدر صوت ذياب بعنف جذب له عيون النسوة الثلاث المتسعات بذعر.. حتى فريدة والتي يبدو انها تكتشف جانباً مظلماً من زوجها لم تكن تعرفه من قبل او تراه حتى. ذياب الغيور.. بشكل جنوني..
"كيف حصل على رقمها؟ كيف أتته الجرأة لأن يتصل بها الى هنا؟"
عاد يصرخ لتنتفض فريدة وتتراجع هامسة بقلق حقيقي:
-وماشأني أنا ذياب.. انا استلمت الرسالة فقط.
التفت ذياب لوَردْ التي كانت منكمشة في مكانها وصرخ بغضب حقيقي:
-كيف حصل على رقمك؟ تكلمي الان؟؟
ابتلعت ريقها بصعوبة وهزت رأسها بذعر:

-لا..لااعرف..انا..
-من اعطاه رقمك ولماذا يتصل بك من الأساس؟!
صرخ بعنف وهو يقترب منها ليشرف عليها، عيناه حمراوتان تلمعان ويده تشد ذراعها بقسوة لتنهض مرتجفة أمامه:
-أخبريني وَردْ، تكلمي ولاتفقديني أعصابي.
التمعت عيونها بدموعها قبل أن تنساب على وجنتيها هامسة بصوت مخنوق:
-صدقني..انا لا اعرف.
اسود وجهه بعنف وشعر بكل الشياطين تتقافز أمام وجهه، لايستطيع أن يسيطر على غضبه، لايستطيع أن يوقف تدفق الدم الحار المشتعل، في عروقه، نار تلك التي تتدفق في شراييينه..
عينيه جمرتين من نار تحرقان ملامح وجهها البريئة والتي تعلقتا بعينيه.. تنشدان بعضاً من حنان كان يغمرها به بلاتوقف، الان فقط.. تناشده بحبها الذي اعطته اياه بلاحساب.. ولكنه لم يكن يرى سوى غيرته!!!
غيرة عنيفة مزقت قلبه بلارحمة، لم يشعر بها من قبل ابداً لم يشعر بها.
انفاسه تسارعت بقوة وقطرات العرق تندي جبينه وهو يقترب منها هامساً من بين اسنانه:
-اصعدي الى فوق.
انتفضت بقوة ثم خفضت رأسها شاهقة بخفوت، تخفي دموعها المنهمرة والتي بللت وجنتيها قبل ان تهمس بوجع:
-انا.. لم افعل شيئاً..
-اصعدي في الحال.
هدر بخشونة لتشهق مجدداً ثم سارعت الى

جناحها تحت نظرات عمتها الدامعة وفريدة المتصلبة ..
اغمض عينيه يريد ان يسيطر على مشاعره التي فاضت من عينيه، واشتعلت في مسامه قبل ان يلتفت لفريدة ويقترب منها لتتراجع بحذر:
-يجب ان تفهمي ان أسلوبك هذا لايفوت علي.
اتسعت عينا فريدة للحظة وذياب يواصل:
-توقفي عماتفعلينه فريدة، توقفي عن زرع هذه الافكار في رأسي.. أنا أثق بها.
قالها بحزم وهو يصر على اخر جملة..
مماجعلها ترفع له عينين حاقدتين هامسة:
-ولم كنت على وشك قتلها قبل قليل اذاً؟!
التمعت عيناه بعاطفة عميقة، وَردّ عليها بصوت اجش مليئ بمشاعر لم ترها يوماً تصدر منه:
-لأنني أغار عليها..
وقعت عليها الكلمة كحد سيف جعلها تتسمر ناظرة اليه ووجهه يتقلص بعاطفة عنيفة هادراً بصوت خفيض:
-أغار عليها كمالم أشعر قط في حياتي، اغار عليها من كل من حولها.. مشاعري هي الغيرة فريدة..الغيرة وليس الغضب أتفهمين؟!
قالها وأسرع يغادر خلف تلك..تاركاً فريدة مصدومة ولاتكاد تتحرك.. لاتستطيع حتى هضم الكلمة التي قالها..
غيرة؟؟!!
منذ متى ذياب يغار؟ منذ متى يسلم عقله لمشاعر عنيفة وغير عقلانية ولامجدية كالغيرة وسوادها؟؟ ماهذا الجنون الذي يحدث معها؟ بل ماهذا الجنون الذي يحدث معه؟! ماذا فعلت له تلك الصغيرة؟؟ كيف لها أن تغير تفكيره وتسيطر عليه بتلك

الطريقة.. كيف استطاعت ان تقلب موازينه كمالم تفعل هي ابداً طيلة فترة زواجهما..
جلست على طرف المقعد بوجه شاحب..
لم يعد الأمر يتعلق بالطفل بعد الان.. الامر تجاوز الطفل لأكثر المشاعر بدائية وجنوناً..
تجاوزه ليصل الى الغيرة.. الغيرة التي كانت تطالبه بها فريدة في الاسابيع الاولى من زواجهما وتتسائل لم زوجها العاشق لايشعر بالغيرة عليها.. وكيف له ان يتصرف بكل عقلانية حين يصل الامر لنظرات باقي الرجال اليها ومحادثتهم لها .. لطالما كانت تريد ان تشعر بغيرته.. بحنقه وارغبته بالاستحواذ عليها دون أن يتدخل احد ويقف في طريقهما، ولكنها سرعان ماتعلمت ان هذا لم يكن ينفع مع ذياب، ليس بالطريقة التي كانت تنشدها وتريدها.
تعلمت أن تصبر عليه، ان تترك له مساحة خاصة ليحبها بها ويعتني بها دون أن تتجاوز حدودها برغبتها بالمزيد.. وقنعت بالأمر.. رضيت ألا تطلب المزيد..
طالما يكون معها دون أن يتركها ولايفكر حتى بذلك.. رضيت أن تصبر وتعود نفسها على زوج يملكها ولايشعر بالتملك..
ولكن الان..
اكتشفت ان الخلل لم يكن بزوجها..
لم يكن الخلل بقلة اهتمامه او عدم تملكه.. الخلل كان بها هي..
هاهو يغار..بل يستشيط غضباً من الغيرة..
يتملك لدرجة الألم.. ولدرجة أن يتركها تتلوى بغيرتها هي واهماله لها..
رأتها في عينيه حين تكلم عن غيرته وعن احساسه بها.. رأتها في عينيه واضحة

ولاتحتاج لترجمة كما لم ترها في من قبل، ذياب.. ذياب زوجها كان يحب.. يحب وَردَ.. وحبه لها كان حباً جارفاً بلا اي مواربة ولم يكن ينوي ان يخفيه عن احد. وهذا ماجعل دماءها تتجمد في عروقها.. تسري كجليد تثير قشعريرة باردة من اعماقها حتى أطرافها، كصعقة كهربية جعلتها متخشبة في مكانها لاتقوى حتى على رمش عينيها..
خوفها الهائل يعود ليقفز أمام وجهها.. انها تفقد زوجها..تفقده والى الأبد.
***

فتح باب جناحه ببطء وتوقف ينظر لها!! متكومة على اريكة وجهها بين ذراعيها وكتفيها يهتزان بلاتوقف، كانت تبكي بعنف وكله بسببه هو وغيرته العمياء. تنهد واسند رأسه الى حافة الباب مغلقاً عينيه بألم..يده تكاد تحطم مقبض الباب والاخرى تتحسس جانب صدره بذهول.. مالذي يحدث له؟؟ هل جن؟! ماذا تعني كل هذه المشاعر التي تنهشه بلارحمه؟ ماذا تعني سوى انه يحب..
أنه عاشق ميئوس منه؟!
فتح عينيه ببطء ليرى انها لم تتحرك من مكانها رغم تأكده من انها قد سمعت دخوله، وكل مايدل على هذا هو توقف اهتزازها وهي تحاول كتم شهقاتها بوسادة منفوخة..
زفر بنفاذ صبر.. ودخل مغلقاً الباب خلفه واقترب ليجلس الى جوارها، قبضتيه تشدانها اليه من كتفيها متحدياً مقاومتها الهشة ليلصق ظهرها الى صدره الصلب ويدفن وجهه في جانب عنقها متنشقاً عبق رائحة شعرها الناعم.. ذراع تحيط بصدرها تقربها منه

باحكام.. والأخرى تحيط بأسفل بطنها المتكور بحنان:
-سامحيـني..
همس بصوت مبحوح.. لتغلق عينيها بألم..
بينما يستمر:
-أعرف ان اتصال ذلك الرجل لايعني لك شيئاً ورد.. اعرف انه لايعني لكي أي شيء..
انسابت دموعها بحرقة وهي تسأله:
-لم اذن صرخت بوجهي؟
-أنا أسـف..
اعتذر بصدق جعلها تتيبس مذهولة بين ذراعيه بينما يغلق عينيه بشدة محاولا تجميع شجاعته وهو يواصل:
-لم يكن لدي أي حق في الانفجار بكي بتلك الطريقة وأمام الجميع ياورد، ولكنني رجل..
وازدادت خشونة صوته وهو يدفن شفتيه في التجويف تحت أذنها هامساً:
-رجل يغار.. يغار بجنون على المرأة التي يحب.
اتسعت عينيها بذهول كلها ترتجف، تخاذلت ذراعيها لتسقط على جانبيها، لاتصدق ماسمعته لاتتجرأ وتصدق ماقاله للتو؟!
ذياب.. ذياب يحبها؟!
انسابت دموعها على خديها بهدوء..دون أدنى صوت دون حتى أن تشهق لم يحدث سوى أن تسارعت أنفاسها ليشد من ضغط ذراعه حول صدرها يقربها منه، عناق دب جعلها تتسمر بين ذراعيه وهو يهمس بصوت اختلطت خشونته بالنعومة:
-لم اعرف يوماً مشاعر كالتي عرفتها معك، كل شيء بعدك تغير ياورد..لم أعد انا لم أعد أعرف نفسي ولم يعد أحد

يعرفني.. أنت أخرجتي مني رجلاً يهتم.. يغار ويحب..بجنون.
-ذيااااب..!!
همست بالكاد يُسمع صوتها ليتأوه:
-حين تناديني هكذا..أشعر بقلبي ينتفض بين ضلوعي لأجيبك، أقترب منكي..أجعلك ملكي وحدي.
-وماذا عنها؟؟
لم تكن تستطيع ألاتسأل..الحب..عاطفة أنانية..
لقد حلمت..تمنت يوم أطفأت شموعها أن يسخر الله قلبه لها وحدها..
عرفت انها حمقاء لتتمنى..عرفت أنها مجنونة ولايمكن ان يحدث..
ولكن الأن..
استدارت بين ذراعيه تطالب بأنانيتها برغبتها وحدها.. ستكون طماعة وتطالب بحق وحيد من حقوقها..
-أتحبها هي الأخرى؟!
سألت بارتجافة وهي تقابل عينيه ليرتبك للحظة.. لايعرف ماهية مشاعره نحو فريدة الأن؟؟ هل نسي حبها؟ هل انتهت من حياته؟ كيف يقدر أن يفعل؟ كيف يمكن ان يكون بهذه القسوة كمايظهر الأن؟!
تنهد واغلق عينيه استندت على صدره ترفع وجهها لتلامس شفتيها التجويف اسفل عنقه، وتتردد همستها عبر عروقه لتجري مجرى الدم:
-أتحبها كماتحبني؟
-لاأعرف..
أجاب بصدق.. مفسراً الحيرة التي تتآكله بشكل غير اعتيادي وكأنها نار..
-لا استطيع أن افسر مااشعره نحوها الان، ولكنها زوجتي ياورد..

أحاط وجهها بكفه واسند ذقنها عل ابهامه يرفعها نحوه هامساً لعينيها الحائرتين:
-أنا أحببتها مرة..مشاعري كانت قوية ولكنها يوماً لم تصل لماأشعره نحوك، أهتممت بها واعتنيت بها مطولاً.. واردت دوماً أن أسعدها، أردت جعلها سعيدة..ضميري لم يكن مستعداً لتركها بعد اكتشاف عقرها.. ليست هذه أخلاقي ولا ماتربيت عليه.
-أنا لاأفهم..
همست بألم ليهز رأسه بعذاب هو الأخر:
-انا الاخر لا أفهم..أنا أحبك وردتي..أحبك كثيراً ولا اعرف ماافعل وماشعر نحو فريدة.
اغمضت عينيها بتعب..كل هذا كثير كثير جداً عليها..ياربي لم هي يجب أن تعاني بهذا الشكل، لم يجب أن تقع في غرام رجل بكل هذا التعقيد في حياته؟ لم يجب ان تعاني وان تكره نفسها لهذا..
-ورد..
فتحت عينيها استجابة لندائه الخافت:
-أحبكي ..
التمعت عينيها بحب وهي تستجيب له وتقترب لتطبق على فمه بشفتيها، أنّ بنفاذ صبر، بصوت خرج من عمق حنجرته وهو يحيط عنقها بكفيه ويعمق قبلته برغبة عنيفة لم يجد سواها ليعبر عن مشاعره الثائرة بجنون والتي عصفت بأعصابه بلارحمة، لتقترب وتحيط عنقه بذراعيها، بقوة بينما اصابعها تنغرس في خصلات شعره الناعمة وتخدش هامة رأسه بأظافرها بخشونة.
يدركان مشاعرهما نحو بعضهما بحذافيرها، يفهمان الحب بينهما ويثقان به.. ولكن.. هي

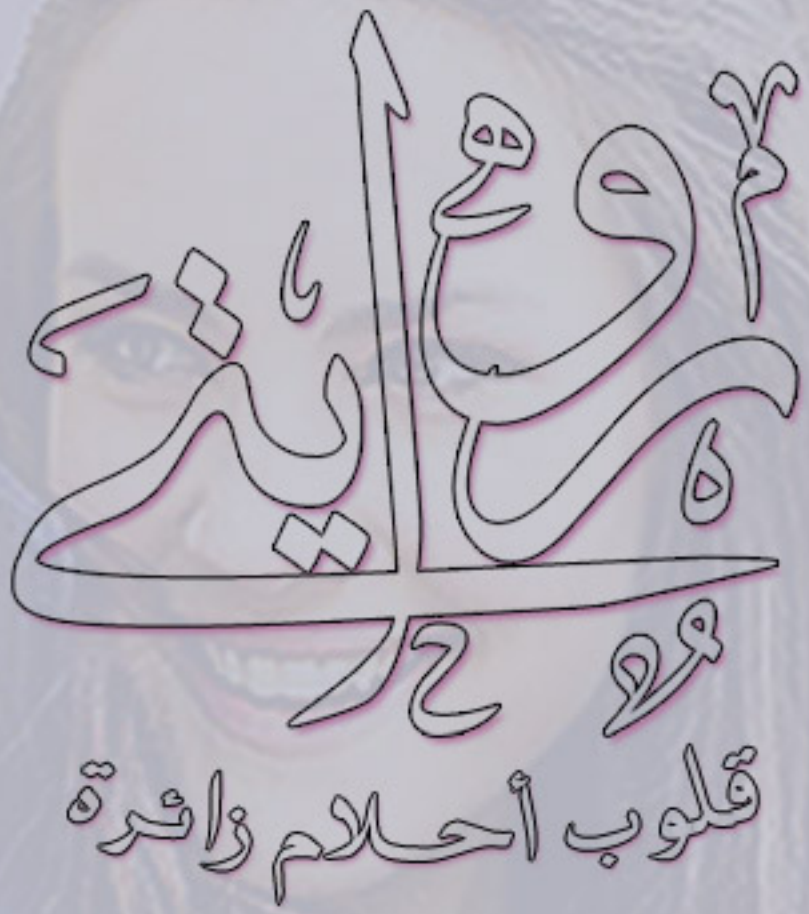

مشاعر الغير وماتعنيه لهما هي
المؤثرة..مماقد تسببه لهما ومماقد تعنيه
في المستقبل.
...

نهاية الفصل الرابع
عبير محمد قائد

انتهى الفصل الرابع
روايات تصدر عن منتديات روايتي
قلوب أحلام زائرة
www.rewity.com

الفصل الخامس
الجزء الأول

أصعب مراحل الحلم، حينٍ تستيقظ
وتكتشف أنه كان حلماً..
أما الكوابيس.. فتلك أمرٌ أخـر...
***

صباحِ اليوم التالي كان اكثر
هدوءاً..وكأن اعترافه بالحب لنفسه ولورد
كان مايحتاجه ليمتلئ بكل ذلك
الاستقرار النفسي والراحة. حين وصل الى
مكتبه كانت ابتسامته تملأ وجهه وهو
يتذكر صباح اليوم واستيقاظه على عينيها
الشقيتين وقد اخفت نصف وجهها خلف دفتر
الرسم خاصتها!!
-ماذا تفعلين؟!
-صباح الخير..
همست بنعومة عينيها تتراقصان ليبتسم لها
مكشراً بصبيانية:
-صباح النور..مالذي تفعلينه؟!

عانقت دفترها وتراجعت هامسة:
-لاشيء..
-دعيني أنظر..
طالب بفضول لتتراجع اكثر هازة رأسها برفض وضحكة تتلاعب على شفتيها فيما وجنتيها تتوردان ليتحرك بسرعة ويقبض على معصمها ليجذبها اليه بحزم..
-لاتحاولي معاندتي ورد..
-ذيااااب..
احتجت بخجل بينما يخلص الدفتر من بين يديها لتتسع عيناه وهو ينظر الى الرسم..كانت خطوط عريضة بالقلم الرصاص لملامح وجهه.. ملامح مسترخية بعينين ملقتين وشفتين تحملان شبه ابتسامة..
احتقنت أنفاسه في صدره ونظر له بنظرة خاطفة هامساً:
-هل ابتسم وأنا نائم؟!
احمر وجهها وهي تومئ بالايجاب ليعبس وجهه:
-ابدو أحمقاً..
-انت تبدو رائعاً..
سارعت تدافع ليبتسم بتلقائية ثم يجذبها اليه ويقبلها بنعومة هامساً شكره امام شفتيها:
-أنت تجعلينني أبتسم..فقط رؤيتك..تجعلني اشعر بالسعادة تحوطني من كل جانب..أنا أحبك ياورد.
-وأنا..
ردت بهيام..ليعقد حاجبيه ويتسائل بمرح:
-أنت ماذا؟
-أحبك..أحبك ذياب..
اتسعت ابتسامته وهو يستقبل مساعدته الشخصية والتي بادلته اياها بمهنية وهي

ترص بريده امامه قائلة:
-لديك مواعيد كثيرة هذا الصباح.. وعلى الغداء لدي..
-لا لا يامها.. على الغداء انا سأذهب الى منزلي..واتناول الطعام مع عائلتي.
قالها بحزم لتعقد حاجبيها:
-ولكن المواعيد..
-الغي مواعيد الغداء كلها.. وقت الغداء والعشاء منذ الأن فصاعداً هو لي مع عائلتي..أتفهمين؟
-حاضر سيدي.
تمتمت بعدم رضا وهي تفكر كيف سيمكنها ان تعصر تلك المواعيد بحيث تحافظ على تسلسلهاوعدم ارتباكها التام.
بينما انشغل ذياب بمواعيده وعمله الورقي كان يعد الساعات لعودته لمنزله والبقاء مع ورد، لايستطيع الابتعاد عنها لوقت طويل ..
هذا ماكتشفه وبكل وضوح.
بعد ساعات كان يرتب مواعيد بعد الظهر مع مساعدته حين فتح الباب فجأة بعد طرقة خفيفة لفتت انظارهما معاً لتنعقد حاجباه بحدة وعدم ارتياح بينما تهب مساعدته بابتسامة لتحية فريدة!!
راقبها للحظات وهي تبادل مها التحية وتنصرف الاولى متعللة ببعض العمل بينما تغلق فريدة الباب خلفها وتقف بانتظار ان يبدأ بالكلام...
وقف ذياب ينتظرها بفروغ صبر..كانت عينيها مرتبكة تبحث عن مكان لتختبئ من عينيه النافذة.. لم يرها هذا الصباح، ولم يهتم حتى بالسؤال عنها، ليس بعد مافعلته

أمس.
-أردت رؤيتك.
همست ليعقد ذراعيه حول صدره قائلاً بغضب:
-لدينا منزل لنتكلم فيه، وقتي هنا ضيق.
ابتلعت ريقها وهزت رأسها:
-انا لن أعود للمنزل.
عقد حاجبيه بشدة لتسارع:
-على الاقل..لبعض الوقت.
أخذ ذياب نفساً عميقاً وهو يغمض عينيه وفريدة تواصل بألم:
-أحتاج لبعض الوقت ياذياب..انا لم اعد أعرف مايجب فعله، لم اعد اعرف مايجب أن افعل..أنت..أنت تغيرت.
-نعم..لقد تغيرت يافريدة.
همس مؤكداً..لم يكن يريد هذا، أن يخرج فريدة من بيتها..لم تكن هذه النتيجة التي ارادها، ولكن؟!
مالذي أراده على كل حال؟؟
ورد أم فريدة؟؟
أم أرادهما معاً..
-نحن بحاجة لبعض الوقت انا بحاجة للوقت لأفهم مايحدث..ولأقرر.
-انت لن تخرجي من بيتك فريدة.
قرر بزمجرة لتغمض عينيها بأسى وتهمس:
-يجب على احدنا الابتعاد، انا لااقدر على التحمل.
واجهشت بالبكاء.. رباااااااااااااه..
اقترب منها فدفعت بذراعيها امامه تمنع اقترابه وهي تشهق بالبكاء:
-لا ذيااب..لاااا.. علي أن اقرر مايجب فعله مااستطيع تحمله ومالايمكنني العيش معه.
رفع حاجبيه بتأثر وهي تواصل بألم:
-رؤيتك معها بتلك الطريقة..تقتلني

ذيااب..أنا وأنت اعتدنا ان نكون هكذا..زوجين بكل مافي الكلمة من معنى.. والان بعد شهور من ابتعادك عني انا فقط لا احتمل.

-لقد حذرتك فريدة..قلت لك بأني مجرد بشر..وأن مشاعري ليست ملكي.

دمدم بخشونة لتشهق بانفعال وتحاول السيطرة على دموعها:

-أنت تلقي اللوم علي؟!

اشاح ذياب عنها لتستمر:

-انا اخطأت بعدم سماع تحذيرات الجميع.. هذا صحيح ولكنني فعلتها من اجلك.. من اجلنا أنا وأنت كي نحصل على الطفل الذي حلمنا به على الدوام، أنا ابدا لم أخطط لأن تقع لأجلها والان..أنت وكأنك تعاقبني.

-انا لااعاقبك..

هتف بحنق ثم اضاف:

-ولكنني لن أنكر ابدا.. القلب..بيد الله وحده يافريدة..يقلبه كيفمايشاء..لاسلطان لنا عليه.

التمعت عينيها بالألم وهمست:

-أنت لم تحبني قبلاً أليس كذلك؟! هل كان كل مابيننا مجرد كذبة؟!

-لم اقل ابداً انني لاأحبك..

هتف بحدة.. ورأى الأمل يتصاعد في عينيها ليتنهد مقتربا منها:

-أنت زوجتي يافريدة، مشاعري نحوك لم تتغير..صحيح انني احـ... أحمل مشاعرعميقة لورد..ولكنك زوجتي أيضاً.

-أنت تحبـها؟!

سألت بصوت مهتز ليطرف بعينه قبل ان يقول:

-مشاعري نحوك لم تتغير، انت من ابتعد،

أنت من يريد الابتعاد الان.
تأملته طويلاً..
مشاعرها تتخبط كاعصار لايستقر جلست على مقعد قريب وهمست:
-انا لاأعرف ماافعل.
اقترب ليجلس جارها وقال بصوت متعب:
-عليكي ان تقرري ماتريدين يافريدة، هل تريدين العودة كماكنا أم تريدين الابتعاد وتوسعين الهوة بيننا؟
نظرت له بحزن وهمست:
-هل ستعود معي كماكنت؟!
تنهد مطولاً قبل ان يقول بحذر:
-بعد أن تعودي أنت.
تأملته بأمل.. ثم مدت ذراعها لتحيط بكفيه:
-أنا احتاج اليك ذياب، أحتاج لأن تبقى معي وألا تقف ضدي.

-فرييدة..
شدد على كفها بين يديه وقال بحزم:
-لا أحد يقف ضدك هذا مايجب أن تفهميه.
اغمضت عينيها لتسيل دموعها بصمت..
شعرت به يمسح دموعها بحنان ثم يهمس:
-توقفي عن البكاء الأن..ودعينا نعد الى البيت معاً، وانسي أمر خروجك منه، انه بيتك على كل حال.
تسللت ابتسامة صغيرة لوجهها وهي تومئ برأسها وتنهض معه.. وامل عظيم يتصاعد بداخلها.. أمل يتخطى كل الحدود.
***
انها تشعر بالضجر..
تنقلت بخطوات بطيئة في الحديقة المحيطة بالقصر، منذ أن غادر ذياب وهي تشعر بالشوق، ولاتكاد تطيق صبراً لرؤيته من جديد بعد اعترافه المذهل ليلة أمس.

ابتسمت للذكرى وجلست تراقب حديقة الورود التي زرعها لأجلها.. الورود كانت في طريقها للتفتح وهي..هي أيضاً ..لامست بطنها.. بطريقة أو أخرى.. ورد كانت تتفتح..!!

سمعت صوت انفتاح بوابة القصر لتسارع على قدميها راكضة لاستقبال زوجها، البشر يعلو وجهها وفيه تخبي سرها الصغير.. لن تقوله لسواه ابداً..

رأت السيارة تدور حول الموقف المخصص لها وعقدت حاجبيها وهي تلاحظ انفتاح بابي السيارة وترجل فريدة منها بعد ذياب!! ماذا تفعل فريدة معه؟؟ عقدت حاجبيها بعد ماقالته لها امس وهي.. لاتطيقها.

تقدم ذياب منها وعلى وجهه ابتسامة متألقة التمعت بعينيه قبل شفتيه لتنتقل لها كالعدوى، اقترب منها بسرعة متخطياً فريدة ليقبض على كفها بين يديه هامساً بحرارة:

-مساء الخير..كيف حالك؟

-بخيـر..

همست بصوت متهدج وهي تستجيب لحرارة نظراته بقوة، لتتسع ابتسامته ويحيط كتفيها بذراعه ليقربها منه مشيراً لفريدة:

-فريدة ستتناول الغداء معنا انا وانت وأمي هذا اليوم..

نقلت بصرها بينه وبين وجه فريدة المتورد رأت كفه الأخرى تضغط بخفة على كفها وجعل هذا معدتها تتقلب بألم، ابتلعت ريقها بصعوبة وهمست:

-فريدة مرحب بها على الدوام..انه منزلها.

شعرت بضغطة ذياب الشاكرة على كتفها وسمعت تنهيدة الارتياح الخافتة من بين شفتيه، قبل أن يدفعها أمامه بخفة ورقة

ويجذب فريدة خلفه من ذراعها..
راقبتهم والدته بعينين متسعتين وهو يدخل الى البهو محاط بزوجتيه.. ثم ابتسمت:
-مرحباً بعائلة ولدي الصغيرة..
واقتربت تلامس بطن ورد بحنان:
-وحفيدي الغالي..
ضحكت ورد بخجل بينما اتسعت ابتسامة ذياب العريضة ولم يلحظ احد بريق الألم في عيني فريدة والذي أخفته بمهارة وهي تهمس:
-انه الطفل المنتظر والغالي علينا جميعاً.
نظر لها الجميع للحظة قبل ان يبتسم ذياب ويشد من ذراعها قائلاً:
-بالتأكيد.. والان لم لانتغدى معاً.
اومأ الجميع وتحركوا نحو غرفة الطعام حين تذكرت ورد سرها المفاجئ وتوقفت لينظر لها ذياب وفريدة بقلق وذياب يهمس:
-أانت بخير؟
نظرت لفريدة بتردد ثم عادت بعينيها لذياب:
-أريد.. اريد..ان..انا..
تلعثمت ليعقد حاجبيه، وبتردد افلت فريدة ونظر لها معتذراً ليتجهم وجهها وتلقي لمحة سريعة على ورد قبل أن تهز كتفها وتهمس:
-سننتظركما على الغداء لاتتأخرا.
جذبت ورد ذياب الى داخل غرفة المكتب واغلقت الباب خلفها ثم التفتت اليه:
-مالأمر ياورد لقد أقلقتني؟
ابتسمت بخجل واقتربت منه، امسكت بكفيه ثم استدارت لتلصق ظهرها بصدره وبكل هدوء وضعت كفيه على بطنها المكورة وضغطت بخفة ليهمس بتوتر:
-رباه ورد لاتقلقيني.. هل تشعرين بألم؟
-لا لا.. حبيبي فقط اصمت وأنصت.

همست ضاحكة ليزفر بضيق ثم يضغط على بطنها بحذر وينحني عليها ليجاور وجهه وجهها هامسا:
-مالذي أنصت اليه بالضبط؟
ابتسمت لقلة صبره وتركت أحد كفيه لتلامس جانب وجهه هامسة:
-ابنـــك..
شهق بخفوت واغمض عينيه وضغط بيديه اكثر على بطنها ليشعر بشيء ما.. حركة خفيفة فقط كرفرفة جناح طائر يمسكه بين يديه شيء اقرب للخيال.. جعله يأخذ النفس بعمق ويتمهل بزفره..
-ربااااااه..انه يتحرك.. ورد انه يتحرك حقاً.
هتف بتعجب لتضحك بفرح ويديرها اليه.. نظر في عينيها وهمس:
-متى حدث هذا؟

-صباح اليوم..استيقظت وشعرت به.. توقف قلبي من الخوف، ظننت أن شيء ماحدث واتصلت بطبيبتي وحينها قالت لي..انه يتحرك.
ارتفع حاجبيه بتأثر وهو يراقب ملامحها السعيدة ليبتسم بحنان ويقترب مستنداً الى جبينها بجبينه هامساً:
-سنكون أبوين حقاً ياورد.. سيكون لنا طفل..روح هي جزء منا يعيش بيننا.
اختنقت العبرة بداخلها وهمست:
-نعم..جزء مني ومنك.
قبلها على جبينها بعمق.. وضغط على بطنها برفق قبل أن يقول:
-حمدا لله.. حمدالله.
ثم أبعدها بطول ذراعيه وقال:
-انها نعمة الله لنا ياورد، نعمة لايمكن لنا أن نقدرها او نشكره عليها.

-الحمدلله حبيبي.
همهمت ليرفع عينيه نحوها، ثم همس:
-تعالي لنعد للبقية..
-ذياب..انه أمر لنا فقط.
ترجته بعينين متسعتين لتتسع ابتسامته وهو يداعب انفها بأنفه بألفة:
-انه سرنا الصغير ضمن الكثير والكثير من الأسرار..
اتسعت ابتسامتها واومئت له ثم جذبت يده ليخرجا ولكنه أخرها قليلاً.. رأت في عينيه بعض ارتباك فعقدت حاجبيها بتساؤل صامت ليحسم تردده ويقول بحزم:
-الليلة سأقضيها عند فريدة.
شعرت بقبضة باردة تعتصر قلبها، ارتجفت حتى عروقها وهي تسحب يدها من بين يديه برد فعل لم تستطع التحكم به وعينيها تحترقان بألم، الغيرة.. شعور لايمكن السيطرة عليه أو حتى كبحه كي لايطفو..
ولكنه فعل..
طفح الى السطح وشوه ملامحها الرقيقة لتتراجع بوجع هامسة:
-انها زوجتك.. حقك.
اراد أن يعترض..أن ينفجر بالرفض الذي تفجر بداخله أنها ليست كذلك، ليست بعد الأن ..
ليتوقف بذهول..ماهذا الذي يفكر به..
فريدة زوجته، زوجته منذ سنوات!!
وبكل قسوة لجم ماكانت تصرخ به اعماقه وهمس بشحوب:
-نعم هي كذلك..
واغلق الموضوع..
***
في اليوم التالي كانت تعود ولأول مرة الى المعهد، لم تخبر أحد لم تطلب حتى الإذن،

شعرت أنها تريد الخروج والهروب من ذلك المنزل، ليلة كاملة قضتها بأرق تتخيل كل مايمكن أنهيحدث في الجناح الأخر، تعذب نفسها وبالكاد تكبت دموعها..
لم تشعر سوى بنفسها تغرق في النوم بعد صلاة الفجر مباشرة.. وحين استيقظت ونزلت الى البهو كانت فريدة هناك، ضحكتها تشق حلقها وهي تتحدث مع عمتها وتعلن انها ذاهبة للتسوق، عندها صممت ورد على الخروج ايضاً ولأن ليس لديها مكان أخر فذهبت الى المعهد.
-صباح الخير.
التفتت الى استاذها بحدة.. كان هو نفسه، كانت تريد الغضب او الانزعاج ولكنها لم تقدر كل ماارادته هو شكره لتسببه باعتراف ذياب بحبها، ولكنها لم تجد بداً من الحذر.. والذي ارتسم على وجهها وهي ترد له تحيته فيقول لها بابتسامة:
-أرى انك قد أصبحتي بخير؟ هل سمحوا لك الاطباء بمعاودة الدراسة؟
كانت طبيبتها قد سمحت لها بمزاولة حياتها الطبيعية منذ أكثر من شهر كامل ولكن حرص ذياب البالغ منعها ولكنها لم تعد تهتم، ليس الان على كل حال.
-نعم استاذ سأعاود دروسي لو لم يكن هناك مانع.. اعرف انني تخلفت عن زملائي ولكنني مجدة حقاً ولن اتعبكم.
تألقت عينا الرجل باعجاب صرف سرعان مااخفاه وهو يتمتم:
-بالطبع ياورد.. انت مميزة حقاً.
انقبض قلبها وشعرت بالضيق ثم همست بحدة:
-اردت شكرك على اتصالك بي قبل فترة.. انها لفتة لطيفة حقاً..

ابتسم بانشراح وبدأ يريد التعليق ولكنها لم تعطه الفرصة بل اضافت بحزم:
-ولكنني لاأحبذ اتصالك بي او سؤالك عني بمالايمت بدراستي بصلة.
رأت وجهه يتجهم فاستمرت بثقة:
-زوجي رجل غيور للغاية استاذ.. وانا لاأريد أي شيء يثير غيرته او يكدر تفكيره.
احتقن وجه الرجل وتراجع عنها قائلاً بارتباك:
-اسف ان سببت لك اي مشكلة؟
-على العكس..
بابتسامة واسعة وهي تتذكر اعتراف ذياب اللذيذ بحبه لها وغيرته المجنونة :
-انا من يجب عليها ان تشكرك.. والان سأذهب.
توردت وجنتيها وتنحنحت بحرج مشيرة لساعتها:
-لدي درس الان اعذرني.
ودون كلمة اضافية كانت تسرع نحو فصلها تتابعها عيني استاذها المتحسرة..
قضت باقي اليوم في حضور فصولها والاستراحات بمحاولة اللحاق بزملائها فيما سبق أن أخذوه، لم تشعر بالوقت حتى سمعت رنين هاتفها ورأت اسم ذياب الغاضب يزينه..
رأت ساعتها وامتعضت لقد تأخرت كثيراً..
-مرحباً حبيبي..
-أين أنت؟!
هدر بعصبية لتغمض عينيها وتهمس:
-انا عائدة الان لاتقلق.
-أين أنت ياورد؟
هتف بعنف لترد بضعف:
-معهد الرسم.
اغلق عينيه بغضب أعمى، لايستطيع رؤية أحد سوى ذلك الاستاذ السمج الذي يحاول

التقرب من زوجته..
-سآتي اليكي في الحال.
غمغم بتجهم لتعترض:
-سأعود بسيارة اجرة كما أتيت.
-سأتي لأعود بك ورد لاتختبري صبري.
كانت نبرته حاسمة غاضبة وغير قابلة للنقاش.. لذا تمتمت بحاضر وسمعت صوت انغلاق الخط لتعود وتنظر لزميلاتها ذوي الاعين الفضولية فتبتسم بحرج وتبدأ تجهيز اغراضها.
لم تمضي خمسة عشر دقيقة حتى رأت زميلاتها ينظرن خلفها بصمت.. عرفت حينها أنه أتى.. استدارت اليه وانتفض قلبها لرؤية الغضب العاصف في عينيه الرماديتين، نهضت بصمت ولملمت اغراضها قبل أن تنضم اليه..
-رأت عينيه تلتهمانها قبل ان يسأل بعاطفة:
-أأنت بخير؟ هل تشعرين بألم او بالإنهاك؟
ارتفع حاجبيها بحنو ثم مستح عرقاً ندى جبينها وعدلت حجابها قبل ان تهمس:
-لا أنا بخير..لاتقلق علي.
انتفضت عضلة الى جوار فكه ونظر حوله..الحديقة المفتوحة المزدحمة، وعاد لينظر اليها ويرى التعب والارهاق في عينيها ليهسهس من تحت اسنانه:
-حسابي أصفيه معكي في البيت وسأخبرك بالضبط مدى القلق الذي عصف بي حين اعرف من الخادمة أنك غير موجودة ولم يعرف أحد أين تكونين.
عضت شفتيها باحساس بالذنب واستسلمت لقبضته القوية وهو يدفعها امامه الى موقف السيارات حيث ربضت سيارته، وشعرت بالضيق لعدم وجود سائقه الذي على الاقل سيعطيها فرصة حتى الوصول الى منزلهم

وحتى يهدأ قليلاً..
ولكن ذياب لم ينطق بكلمة طيلة الطريق ومن منظره الجانبي كانت تستطيع رؤية ملامحه الغاضبة والمتجهمة بشكل مغلق، ارادت فتح حديث واخباره لم غادرت ولم لم تقل لأحد على الاطلاق، ولكنها أثرت الصمت كذلك.
حين وصلا الى القصر كان خلفها مباشرة قابلا عمتها في البهو والتي تنهدت بارتياح لرؤية ورد صاغ سليم كمايقولون..
-حمدالله بنيتي لقد أثرتي قلقنا ولم تردي حتى على هاتفك؟
-كنت في الدرس عمتي لم أسمع رنين الهاتف.
-اذهبي الى مكتبي ورد.
قالها ذياب بجمود لترتجف بينما عمتها تهمس بقلق:
-بني انها تبدو متعبة لم لاتؤجلان الحديث قليلاً.. خذها الى غرفتها ودعها تستلقي لبعض الوقت.
ارتجفت عيناه بالقلق والاهتمام ليرى كلام والدته فعلاً على وجهها.. ورد كانت فعلاً متعبة، متعرقة ومنهكة.. شفتيها جافتين للغاية.
لامسهما بظهر اصبعه وسأل باهتمام:
-جائعة؟!
-وعطشى للغاية..
أجابت بصوت رقيق أذاب فؤاده ليتنهد ويشير لها لتصعد الى فوق وهو يطلب من امه:
-أرسلي لها العصير والماء امي.. بعد استحمامها سنتناول الغداء كلنا معاً.
أسرعت ورد بالهروب منه وهي تشكر حسن حظها، تعرف انه لن يتركها وانه لابد سيعطيها الكثير لتفكر به لاحقاً، فتحت

باب جناحها ثم توقفت مدهوشة..
كان الجناح كله في حالة فوضى..
الغرفة الصغيرة المجاورة لغرفة نومها والتي كانت ستعدها لطفلها القادم مفتوحة الباب وكل الاغراض القديمة التي بداخلها قد أخرجت..!! مجموعة من العمال كانو بالداخل ووسطهم .. فريـدة؟!!
تقدمت بذهول لتراقب ..
فريدة كانت تلقي الاوامر بتسلط لعاملين يقومان بطلاء الجدران بلون السماء الأزرق..
الاوراق غطت الأرضية.. وبعض العلب تكومت خارج الباب..
-ماذا تفعلين؟!!
سألت بصوت مرتجف لتلتفت لها فريدة باستغراب قبل أن تقول ساخرة:
-اذاً فقد ظهرتي أخيراً.. كماترين على احدانا ان تستغل الوقت وتبدأ بالتجهيز للطفل القادم.
شعرت بدمها يغلي.. الطفل القادم؟ تجهز للطفل القادم والذي يكون طفلها هي؟!!
نظرت لفريدة بعصبية وصاحت:
-انا لم اكن ارغب بالطلاء، انا كنت أنتوي وضع ورق حائط.
هزت فريدة رأسها وقالت بثقة:
-ورق الحائط موضة قديمة وغير مجدية.. الطلاء هو أفضل الحلول، ثم انه يعطيك الفرصة لوضع الكثير من الملصقات على الجدار والألعاب وغيرها..
-انا لاأريد هذا.
صرخت ورد بتوتر.. لتنظر لها فريدة بحيرة...
-مالذي يحدث هنا؟!!
تعالى صوت ذياب من المدخل لتلتفتا له معاً وقبل ان تتحرك ورد كنت فريدة تسرع

نحوه وتحيط بذراعه قائلة بحماس:
-حبيـبي.. تعال وانظر..
"حبيبيييي؟"
صرخت الغيرة حانقة في رأسها وهي تراقب متسعة العينين كيف جرت ذياب الى الغرفة وبدأت تشرح له عن الألوان وعن ترتيب الغرفة.. ويالللغرابة فذياب بدأ يبتسم حقاً.. ويحاورها بحماس عن وضع المهد قريب من النافذة أم في الطرف الاخر؟ طاولة تغيير الملابس مقابلة له أم مجاورة؟؟ دولاب الحاجيات؟؟ لون السجاد.. أنواع الالعاب المعلقة.. و..و..
-توقفاااااااااا..
صرخت بحنق.. التفتا اليها بدهشة فهتفت بغضب:
-انه ابني انا..أنا فقط من يقرر ماذا يصلح له ومالا يصلح.

عقد ذياب حاجبيه واسترق نظرة خاطفة لفريدة التي تركت ذراعه بسرعة وتراجعت وعلى وجهها ملامح ألم..
-أنا من سيقرر لون الطلاء ومكان المهد ونوع الألعاب.. انا هي أمه.
عادت ورد تصرخ بحنق أكبر ليتقدم منها ذياب ويقول ببرود:
-ربما عليكي التفرغ لدراستك وترك أمر الطفل لتعتني به فريدة.. فكمايبدو هي تفكر به اكثر مماتفعلين؟
اتسعت عينا ورد بذهول بينما تقدمت فريدة هامسة:
-انا ..انا لااعرف ان تعديت حدودي ولكن..انا انا لا اردت فقط ان اقدم خبرتي.
تسارعت انفاس ورد ونظرت لها لاهثة..
لاتقدر على بلع فريدة المتعاونة..هناك شيء ما لاتقدر على وضع يدها عليه..

-انت كماهو واضح..لاتفهمين بمثا هذه الأمور.. كيف يمكنك؟؟ انت بالكاد كان لديك غرفة لنفسك ياعزيزتي.
تسخر منها؟!!
فريدة كانت تسخر منها..
رأت لمعان السخرية في عمق عينيها ولكنها وصلت..وورد شعرت بها تحرقها..
-أنا رسامة..الألوان والتنسيق بينها هو عملي وموهبتي..
شعرت بالاختناق.. كيف لها أن تفهم انها ارادت أن تعرف جنس المولود قبل أن تقوم باختياراتها.. أرادت ان ترسم على الحائط بيديها، ترسم لطفلها الغالي بأصابعها، وتترك له مساحة واسعة كي يرسم هو كذلك.
ولكن الان..
تدخل فريدة السافر بهذه الطريقة جعلها تختنق، نظرت لذياب فوجدته ينظر لها بعدم تصديق ولسانه يقول بتأنيب:
-كيف لك ان ترفضي مساعدة فريدة انها تفهم بهذه الامور جيدا اتركيها تساعدك.
-انا لاأريد مساعدة أحد.
صرخت بعيون لامعة جعلت وجهه ينغلق وينظر لفوق كتفه امراً بحزم:
-فريدة أصرفي العمال وانتظرينا في الاسفل.
-حاضر حبيبي.
تمتمت بهدوء وسارعت بالتنفيذ بينما قبض ذياب على ذراع ورد وجرها خلفه الى غرفة نومهما واغلق الباب وهناك صاح:
-ماذا دهاكي؟ من الواجب أن تشكريها لقد قضت طيلة فترة الصباح باختيار افضل الاشياء، وقامت بالبدء بتنفيذ الطلاء والترتيبات دون ان تزعجك حرصاً منها على راحتك؟ وانت تعاملينها بهذه الوقاحة؟!

-وقاااااااحة؟؟
صاحت بعدم تصديق..ثم هتفت:
-انها تتعدى على غرفتي، تخترق خصوصيات طفلي وانت تعد رغبتي بوقاحة؟؟
شعر ذياب بالضياع حقاً.. بالتعب والارهاق لهذا النزاع الذي بدأ يحتدم الأن أكثر من اي وقت أخر، هو لايرى ان ماقامت به فريدة خاطئ، بينما ترى ورد العكس..
-لطالما كانت فريدة مسيطرة قليلاً وربما تتحكم بالامور أكثر ممايجب ولكنها قط ليست وقحة، أنت ببساطة لم تكوني هنا، وهي فعلت اللازم.
انهار كل شيء حولها..
جلست على حافة فراشها وغطت وجهها بكفيها انفاسها لاهثة ، كيف يفعل بها هذا؟ كيف يقف ضدها بهذه الطريقة؟ بل ويحملها الذنب على مافعلته فريدة ؟؟
-ورد..لاتحملي الموضوع أكثر مماهو عليه.
قالها بعجرفة فرفعت عينيها ليضيف بحسم:
-فريدة تفهم أكثر منك بهذه الأمور.
-اه طبعاً.. فأنا ابنة الحي الفقير الذي لم تكن تملك ثمن ثوب لائق او ماتسدد به ايجارها؟
هتفت بسخط قبل أن تقفز على قدميها وتسرع الى الحمام متجاهلة نداءه الهادر باسمها، اغلقت الباب وراءها واستندت عليه منفجرة بالبكاء.. سمعته يطرق الباب بقبضته ويأمرها بفتحه ولكنها لم تبتعد، لم يكن للباب مزلاج داخلي، ولكنها لم تتحرك.. شعرت به يدفعه ليدخل ولكنها صرخت:
-اتركني وحدي ذياب..اريد البقاء وحدي أرجوك.

جاوبها الصمت لبضع لحظات قبل ان تسمع صوته المكتوم:
-كماتشائين.
وسارعت خطواته بالابتعاد.
بكت بمرارة وهي تنزع ثيابها وتندس تحت شلال المياه وتتركه يغرقها، كفيها تضغطان على بطنها برفق وتشعر بركلة خفيفة جعلتها تشهق.. انزعاجها يؤثر على جنينها.. جلست على حافة حوض الاستحمام واغلقت رشاش المياه وتركت الماء يجري ليملاءه.. ثم اغرقت جسدها المنهك فيه.. تسند رأسها للخلف وتحاول السيطرة على جريان دموعها بينما تحادث جنينها بكلمات مخنوقة بالدموع..
تشعر بالألم ليس فقط لتدخل فريدة ومحاولتها السيطرة على حياة طفلها حتى ولو بأبسط الأمور، ولكن.. بوقوف ذياب ضدها، وقوفه مع ضرتها مع المرأة التي أذتها وحاولت الايقاع بينهما هو شيء لم يقتلها غيرة فحسب.. وانما خنقها خنقاً.
شهقت بالدموع..وغصت بها، اغلقت عينيها بقوة وحاولت السيطرة على ارتجاف جسدها باحاطته بذراعيها، حاولت الاسترخاء ولكن.. ظلت الدموع تجري.. والشهقات تتصاعد بلاتوقف..
ثم شعرت بلمسته..
خفيفة وناعمة، تحمل خشونة كفه ودفئه وقوته وتنقلها اليها..
ارتجفت ولكنها لم تفتح عينيها.. اصابعه مسحت وجنتها الدامعة وامتدت لتلامس مؤخرة عنقها وكتفها لتجذبها اليه..
-لاااا.
اعترضت بخفوت ولكنه تجاهل اعتراضها الكامل ورفعها بسهولة..

كان يجلس على حافة الحوض، قد نزع سترته وربطة عنقه، بقي فقط بالقميص الابيض والبنطال الرمادي الانيق.. ولكن الان، كان يرفع ورد المبللة كلياً من حوض الاستحمام ليضعها على ركبتيه، تحركت تقاوم ولكن.. لم يعيرها ادنى اعتبار.. ذراعه تحيط بظهرها والأخرى تمسك عنقها بقوة وترفعه الى وجهه..
لقد كانت عارية بالكامل.. مبللة حتى النخاع..
ضعيفة لأبعد مدى.. وهو يسيطر عليها بجسده القوي..
وفي الحقيقة كانت هي من تحكم قبضتها .. هي من سيطرت على قلبه المتعقل وتحكمت بذرات عقله الحكيمة، بطريقة لايمكن الا لساحرة ان تفعلها.. أحاطها بين ذراعيه ككنز ثمين، متجاهلا تخبطها المذعور الخجول بين يديه وقابضاً على اعتراضها بشفتيه بقسوة لتسكن كهرة مطيعة وذراعيها تلتفان حول عنقه مغرقة قميصه وباقي ثيابه بالماء..
-مالذي تفعلينه بي؟
همس بعذاب بعد أن افلت شفتيها بآهة عميقة جعلتها تتلوى بالتوق بينما تغرق بين ذراعيه المحكمة حولها:
-ماذا تريد مني.. اذهب اليها.
همهمت بألم ليتنهد هامسا:
-أريد أن أضربك لكل مافعلتيه اليوم ياورد.. كطفلة مشاغبة اريد أن أصفعك على مؤخرتك حتى تتعلمين ألاتعصي أوامري وأن تخبريني بكل مالديك قبل أن تفكري به حتي.
-أنا لم افعل شيئاً خاطئاً.
هتفت باستنكار وهي تبتعد بمقدار عنه

ليدمدم بخشونة:
-خروجك من المنزل دون أن تبلغي أي أحد بوجهتك، دون الاستئذان مني؟ دون اخذ سائقك؟ دون الاجابة على هاتفك؟ كل هذا في كفة ياورد وحقيقة انك ذهبتي لمعهد الرسم حيث ذاك الرجل..
وتوقف ليأخذ نفساً لاهثاً أخر كان غاضباً.. حقاً غاضب..
-أنت غيور؟؟
هتفت بحنق ليصرخ:
-بحق الله انا غيور.. سأحطم رأسك ان خطت قدميكي ذلك المعهد مرة أخرى أتسمعين؟!
بقدر احساسها العارم بالسعادة والذي كبتته بداخلها بصعوبة كان احساس اخر بالحنق..
-لقد كان وعدك لي ياذياب، المعهد الدراسة وكل شيء، كيف تحنث بوعدك؟
-سأجد لك معهداً غيره منذ الغد ان أردتي.. ولكن ذلك المكان أنت لن تخطيه ولو على جثتي.
-بعيد الشر!!
هتفت باستهجان لتتألق عيناه بمكر فتزفر بحنق وتلكمه على كتفه ثم تعود وتغرق وجهها على صدره، فوق قماش قميصه المبلل تسمع دقات قلبه الصارخة، أصابعها تتسلل لتفتح أزرار قميصه متعثرة بحماقة، ابتسم وهو يقبض على معصمها:
-ماذا تفعلين؟
-انضم الي..
دعته بصوت مرتجف لينظر لوجهها المحتقن .. عينيها متسعتين ترمشان ببراءة، ولم يقدر أن يرفض دعوتهما، اعادها الى الحوض ثم نزع ثيابه لينضم لها.. الماء الفاتر ارتفع

ليغطي ثلثي الحوض بسبب ثقله.. استند على جداره وقربها ليسند ظهرها لصدره بينما يسترخي رأسها على كتفه..مالت لتضع شفتيها على بروز حنجرته مغمضة عينيها بينما يهمس بخشونة وهو يضغطها اليه أكثر:

-سأطلب منك شيئاً ورد..

-هممممم..

-انه بشأن فريدة.

فتحت عينيها وتحركت بانزعاج ليثبتها بذراعيه هامساً:

-اصبري فقط.. فريدة تحتاج أن تتصرف بهذه الطريقة، لقد انتظرت خبر حملك باللهفة التي انتظرتها انا حبيبتي..

-ذيااااب..

حاولت ولكنه اسكتها بحزم:

-فريدة تريد الطفل كثيراً، لقد قدمت الكثير فقط لأحصل انا على ابن، انها عاقر ياورد.. امرأة تدرك أنها ابداً لن تحظى بطفل لها يناديها بأمي، لن تشعر بهذا الاحساس ابداً، هل سيكون من السيئ جداً تركها تشاركك تلك الاشياء البسيطة.

شعرت بالاختناق وهو يصف الامر هكذا.. احساس بقبضة حارة تمزق روحها بينما تفكر.. بها..

-أنت ستكونين اماً.. وهي تعرف هذا جيداً..ولكنها تريد أن تكون جزءاً على الاقل.. فقط اتركيها تساعدك لتكوني كذلك، دعيها تفعل ماترغب بالغرفة اللعينة، هذا لايهمك بالقدر الذي يهمها.

انسابت دموعها من جديد وشعرت بالاختناق يزداد..

-انا اااسفة.. انا لم أكن اعرف..

-اشش حبيبتي اشش..

ضمها اليه بقوة بينما تنشج ببطئ، هي لم ترى الامور هكذا لم تعرف سوى غيرتها ورغبتها أن تستولي على كل التحكم في حياتها وحياة زوجها.. وطفلها كذلك.
-فريدة ستكون سعيدة جداً بتواجدها حول الطفل..فكري بانها ستساعدك في وقت احتياجك..حين تريدين النوم لوقت طويل، حين تريدين المذاكرة الرسم..
ورفع وجهها اليه وهمس بابتسامة:
-حين تكونين معي.
ضحكت وسط دموعها ليغمغم بحاجبين معقودين:
-لن اسمح لكتلة اللحم القادمة تلك ان تأخذ مكاني او ترقد بيني وبينك ابداً اتفهمين؟!
اومأت بدموعها ليقبلها بنعومة هامساً بين انفاسها:
-أنت طيبة للغاية ياورد، طيبتك هذه هي سبب وقوعي في حبك من الاساس.
عانقته بقوة وشغف تركته لاهثاً وراغباً بالمزيد:
-ألهذا فقط؟؟
هتفت بأنفاس مأخوذة ليديرها بسرعة:
-واحد من ضمن عدة اشياء، والأن اصمتي.
شهقت بانفعال واستسلمت لعاطفته المتفجرة دون شروط.. مغمضة عينيها بنشوة قبل أن يجرفهما الحب معاً.
***
تلك الليلة ذهبت ورد لفريدة..
بعد عشاء صامت وانعزال ذياب في مكتبه لمراجعة بعض الاعمال، استئذنت ورد من عمتها التي تجالسها وصعدت لفريدة.. وقفت أمام الباب تبتلع ريقها بتوتر ثم طرقت الباب للحظة قبل ان تسمع صوت فريدة يدعوها

للدخول، أخذت نفساً وفتحت الباب..
رأت دهشة فريدة وصمتها في عينيها قبل ان تسيطر عليهما وتهمس بتوتر:
-ماذا تريدين؟!
تقدمت ورد ونظرت حولها، الغرفة التي لم تدخلها قط من قبل، جناح أصغر بقليل من جناحها هي نفسها ولكنه يماثله فخامة وبهاءاً، تنهدت وهمست وهي تعيد عينيها لمنافستها:
-يجب ان أتكلم معكي.
-هل الأمر ضروري؟ أنا أشعر بالنعاس.
خفضت ورد عينيها ودخلت في الموضوع مباشرة:
-انا اسفة..
اتسعت عينا فريدة لوهلة قبل أن تواصل ورد:
-لقد كنت متهورة وغير عقلانية.. لقد كنت غاضبة من نفسي ومن ذياب وقد نفست غضبي فيكي أنت، وكل ماقمتي به هو المساعدة فقط.
أخذت فريدة نفساً متسرعاً وورد تتقدم نحوها هاتفة بحرارة:
-أنا لم أنسى أبداً أنك السبب في تعرفي به.. مجيئي الى هنا.. كوني زوجته من الأساس كان بسببك أنت فريدة، ربما انجرفت قليلاً.. لا بل كثيراً جدا بمشاعري..
ولكنني لا اريد أن أكون ناكرة للجميل، حاقدة وغير مبالية.
التمعت عيني فريدة بالألم وورد تهمس بشحوب:
-هذه ليست أنا.. أنا ادين لك بكل ماحدث لي.. لولاكي..لولا مافعلتيه وماعرضته علي لكنت الأن..
وتعلقت جملتها في الهواء وهي تتخيل مصيراً

أسوأ من الموت، الزواج بذلك العجوز المتصابي على سبيل المثال.. انسابت دمعتها على وجنتها وهي تدرك بالضبط كم تدين لفريدة..

-أنا مدينة لك بالكثير.. ذيااب..

وانتابتها غصة وهي تنطق باسمه وصمتت لتهمس فريدة بشحوب:

-أنت واقعة بحبه؟!!

شهقت ورد بالدموع وهتفت باكية:

-وهل أستطيع غير ذلك؟؟

هزت كتفيها مبتسمة رغم دموعها وهمست بحب:

-انه ذياب.. لم تكن لدي فرصة حتى لأقاوم.

اومأت فريدة هي الاخرى لتتناثر دموعها وسحبت نفساً مخنوقاً:

-أنا..أنا لا ألومك.أنا لم تكن لدي الفرصة كذلك.

تقدمت ورد أكثر ومست ذراعها:

-أنا اعرف انك تريدين مساعدتي، تريدين أن يكون لك دور مهم وفعال في حياة طفلي..

اومأت فريدة لتمسك ورد ذراعها وتجذبها لتضع كفها على بطنها هامسة :

-لقد تحرك قبل بضعة أيام.. لأول مرة..

-اوه ياالهي..

هتفت فريدة باكية لتضحك ورد رغم الدموع.. جلسا معاً على اريكة منخفضة وورد تصف لها شعورها بالضبط.. وماتعانيه وفريدة تقابلها بالتخطيط.. لماسيفعلانه لماسيقوما به لأجل الطفل..والغرفة ..

لم تكن ورد تتغاضى عن مشاعرها الطبيعية بالغيرة نحو فريدة.. كانت فقط تنحيها جانباً وتزنها بعقل ومقدار..

ورد عبير قائد

كانت تتعلم أن تسيطر عليها، ولاتتركها تقودها في علاقتهما الجديدة.

انتهى الجزء الأول من الفصل الخامس
روايات تصدر عن منتديات روايتي
قلوب أحلام زائرة
www.rewity.com

توالت الايام بعدها.. لتمسك فريدة زمام التحضيرات للمولود القادم وتتفرغ ورد جزئياً لدراستها في المعهد الجديد، تذهب بين الحين والأخر مع فريدة لانتقاء الحاجيات.. او تترك لها المسألة برمتها.
كانت في منتصف شهرها السابع حين قررت مع ذياب أن تعرف جنس المولود..
كانت ترتدي ثيابها استعداداً للخروج وملاقاة ذياب عن عيادة الاختصاصية، ارتدت عبائتها ووقفت تلاحظ ازدياد حجمها وكبر بطنها لتفاجئها ركلة غير متوقعة من جنينها لتصرخ مجفلة ويرافق صرختها صوت رنين هاتفها فصاحت بحنق:
-أنت تشعر ببابا أليس كذلك أيها الشقي؟؟
رفعت الهاتف وغمغمت بتحية معسولة لذياب الذي همس بتوتر:
-مرحبا حبيبتي..اسمعي لن استطيع المجيئ

ومرافقتك لدي طارئ في أحد المصانع واصيب أحد العمال وعلي الذهاب.
اصابتها خيبة أمل قوية وهتفت بخفوت:
-أترغب بتأجيل الموعد؟!
-لا لا بالطبع.. تكلمت مع فريدة وستكون جاهزة لمرافقتك ورد.
زفرت بضيق ثم همست:
-أردتك أنت أن تكون معي.
-اسف حبيبتي أنا حقاً أسف.
همس بحرارة لتغمغم له بأنه لابأس..
-اذهبي الان حبي.. وابلغيني بالنتيجة حالما تحصلين عليها سأبقي هاتفي في متناول يدي.
-حاضر .. صحبتك السلامة حبيبي.
-وأنت أيضاً ورد.
همسها بخشونة محببة لتبتسم وتغلق الخط قبل ان تذهب لالتقاط حجابها وتحكمه حولها ثم تلتقط حقيبتها وتسرع الى البهو.
كانت فريدة بانتظارها وقد اخذتا السيارة تقودها هي الى العيادة.
-متوترة؟!
-قليلاً..
همست ورد وهي تنتظر دورها والذي سرعان ماأتى لتدخل الى طبيبتها التي حيتها بمرح وحيت فريدة بفضول فهمست لها ورد:
-هذه فريدة زوجة ذياب الاولى.
اتسعت عينا الطبيبة للحظة ثم ابتسمت بحيرة واشارت لها بالجلوس وطلبت من ورد:
-اذهبي الى غرفة الفحص سيدة ورد سأوافيكي حالما تجهزين.
-فريدة سترافقني.
قالتها ورد بتوتر فاومئت لها المرأة بالموافقة لترافقها فريدة بقلق..
حين استلقت على سرير الفحص جلست

فريدة الى جوارها وأمسكت يدها، نظرت لها ورد بتوتر لتبتسم فريدة وتهمس:
-سيكون الامر على مايرام.. لاتقلقي.
-باذن الله..
تمتمت ورد بينما الطبيبة تجلس الى جوارها وتكشف عن بطنها لتضع لها بعض السائل:
-انه بارد بعض الشيء سيدة ورد..
اومأت لها ورد:
-اعرف.
قالتها وعينيها تنطلقا للشاشة القريبة منها وهي تهمس لفريدة:
-ستظهر صورة الصغير على الشاشة الان.
كانت ملامح وجهها تنطق بالحماسة وشعرت فريدة بالتوتر وغصة تحتكم حلقها، تتذكر كل تلك المرات التي استلقت بها على سرير مشابه لتواجه الواقع المرعب المرة تلو الأخرى،، لن تنجب، لن تحصل أبداً على نعمة كالتي حصلت عليها ورد.. ابداً.
ابتلعت حسرتها وابتسمت بتصنع حالما بدأت الشاشة تظهر صورة بيضاء وسوداء مشوشة قليلاً..
كانت الطبيبة تطمئنها على وضع الطفل وعمره الذي تجاوز ال 31 اسبوعاً بيوم واحد فقط.. ثم ابتسمت:
-انها صورة واضحة جداً للجنين..أنت تنتظرين مولودة أنثى سيدتي، مبارك.
شهقت ورد بفرح بينما اغلقت فريدة عينيها ودمعتها تسيل على وجنتها بصدمة، وكأنها لاتصدق مايحدث، حمدت الله بصمت ثم قبضت على كف ورد وضغطت عليه بقوة لتهمس ورد شاهقة بالدموع:
-أين ذيااااب؟؟ ليته كاان هنااااا؟!!
-أنا هنـا.
جاءها الصوت من عند الباب لتجد زوجها

يقف بعينين متسعتين لتضحك من بين دموعها وتصرخ:
-سيكون لنا طفلة.. ستأتي جورية ذياب.
اقترب بذهول، حاول جهده أن يأتي ان يسبق المستحيل ليكون معها كما ترجته ان يفعل ليلة أمس.. واستطاع، وحمدالله ان الممرضة تذكرت كونه زوج ورد ويجب عليه أن يتواجد معها. وحين دخل لم يصدق ابداً ماسمعته اذناه.. طفلة..
قطعة منه تنمو أمامه وتلهو وتلعب وتثير اعصابهوجنونه،، وسيحبها بكل قوة ولن يتذمر..
جلس جوار ورد وقبض على كفيها وهمس:
-لقد سمعت.. باذن الله ستكون جميلة كأمها.
كانت اقرب للدعاء منها للاقرار لتبتسم ورد أكثر وتمسح دموعها وهي تتشبث بذراعه وتشير للشاشة هاتفة:
-انظر اليها..
التفت للشاشة بكله وقبض على يد ورد مقرباً اياها من شفتيه.. لتتراجع فريدة منكمشة، عينيها واسعتين تنظران للمشهد أمامها بدون تصديق.. هذا ذياب؟!
هذا زوجها الذي عاشت معه لسنوات دون أن ترى منه سوى جانبه العقلاني المتفرد..
الحنون المتفهم نعم .. ولكن.!!
ذياب الذي كان يقف أمامها هو رجل مختلف..
رأت ابتسامته.. لمعان عينيه.. ابتهاجه الواضح.. همساته الناعمة للمرأة التي يحتضنها بذراعه..
رأت رجلاً عاشقاً.. يعلم ذلك أولا.. كان رجلاً يقع بغرام المرأة التي ينظر لعينيها..
تراجعت بصدمة وصمت.. تشعر انها لايجب

أن تكون هنا!
لم يكن هذا مكانها لم تكن هذه لحظتها،، تشعر أنها متطفلة، دخيلة.. غير مرحب بها ابداً.
لذاتراجعت للخلف.. حتى كاد يرتطم ظهرها بالحائط وناظرتهما بذهول.
بعد زيارة الطبيبة توجه ذياب عائداً للمصنع وترك ورد مع فريدة والتي كانت قد وعدتها بمرافقتها للسوق حتى تتسوقا للمولودة الجديدة..
اشترتا العديد من الملابس، أشياء لابد انها تناسب طفلة وصلت لعامها الاول ولكنهما لم تأبها.. وبالذات فريدة، كانت تدور في متاجر الاطفال كالمجنونة لم تترك شيئاً الا قامت بشراءه، الملابس.. الجوارب اللحافات ، الألعاب.. وغيرها الكثير والكثير، كانت ورد قد جلست متعبة

بينما تطوف فريدة اخر المحلات لتعود اليها محملة المزيد والمزيد من الاكياس..
-انظري لهذا..
كان ثوباً ناعماً من الحرير والتول.. ثوب عروس رقيق بحجم اليد بلون وردي ناعم وذو تاج قماشي لامع جعل ورد تغرق بالضحك وهي تهتف:
-يالهي..لم هذا؟؟
-انه لحفل الاربعين؟؟ سنقيم حفلاً ضخماً تلك هي عوائدنا.
احمرت ورد بخجل وهي تتذكر مايعنيه الحفل التقليدي من اقامة المآدب وذبح الذبائح والغناء والرقص حتى منتصف الليل، احتفاءاً بانتها فترة نفاس المرأة، وهتفت بحنق:
-الاربعين لي وليس للطفلة.
ضحكت فريدة بعينين متألقتين بالفرح

وقد نسيت كل أفكارها المتعلقة بذياب:
-احتفلي انت كماتريدين ودعي الصغيرة معي انا.. انا سأعتني بها.
نظرت لها ورد بابتسامة حانية.. كانت تلامس ملابس الصغيرة المصنوعة من القطن والصوف بجشع.. عينيها متسعتين لامعتين مترقرقتين بالدموع، ارتجافة شفتيها وأصابعها جعلتها في غاية الهشاشة.. وكأنها طفلة !!
-أنت سعيدة للغاية أليس كذلك؟
رفعت لها فريدة رأسها بذهول وهمست:
-سعيـــدة؟!!
رأت ورد دمعتها تنساب على وجنتيها قبل أن تسحب نفساً مضطرباً وتهمس:
-انها كل ماتمنيته في عمري كله، لم ارجو شيئاً ابداً من قبل كمارجوت أن احصل على طفل.. طفل يناديني بأمي.

احتكمت الغصة حلقها فخفضت رأسها تخفي دموعها بينما ورد تنظر لها دامعة العينين.. وفريدة تواصل:
-انت لن تفهمي.. حتى تحملينها بين يديكي وتدركين النعمة التي انعمها عليكي الله.. والتي حُرمت منها أنا.
أخذت ورد نفساً عميقاً ولم تقدر على الرد، ليس الان، ليس وهي تقف أمامها ببطنها المنفوخة وتذكرها بكل مالن تحصل عليه.
-علينا العودة.. لقد تاخر الوقت وأنت يجب أن ترتاحي.
قالت فريدة وهي تنهض بارتباك لتسرع ورد معها.. قلبها مثقل بماسمعته ولاتكاد تتخيل ماقد تكون النتيجة، تنهدت واتبعت فريدة التي اشارت لسيارتهما المتوقفة على الرصيف المقابل:

-تلك هي السيارة اتمنى الا يكون السائق قد غادرها.
-سأتصل به اذا لم نجده لاتقلقي.
ردت ورد بهمس..
كانتا تقطعان الشارع العريض بسرعة شبه راكضة لتفادي السيارات المسرعة، حين وقع احد أكياس الملابس من يد ورد..
شهقت وتوقفت لالتقاطه لتنهرها فريدة:
-اذهبي انت انا سأحضره..
-السيارات!!
اعترضت ورد لتشير لها فريدة بالتقدم ففعلت وعينيها على فريدة..
كانت لحظة واحدة فقط..
لحظة ازدحم فيها الشارع فجأة وتسارعت السيارات وكأنها تنزلق عبر مجرى ماءٍ منخفض مجنون انطلقت صرير المكابح وتصاعدت رائحة الاطارات المحترقة،
وتعالى صوت صرخات ملتاعة.. قبل أن يحدث الارتطام بثوانٍ قليلة..
همد الشارع كله على حين غرة والانظار كلها على المرأة الملقاة وسط الشارع والدماء تسيل منها بينما تتناثر حولها اكياس مشترواتها وتتعالى من قريب صرخات المرأة الاخرى التي كانت ترافقها.
***
اهتزت يداه بقوة على المقود.. قدمه تدوس على مبدل الوقود لتنطلق السيارة اسرع، لايزال عقله يعيد تلك المكالمة اللعينة التي وصلته قبل دقائق.. أخرجته من عالمه الحالم السعيد وألقته في هذه الدوامة المجنونة الصاعقة..
"زوجتك تعرضت لحادث سيارة وهي الان في المستشفى الريفي في غرفة العمليات، عليك أن تحضر على الفور"

اغمض عينيه لثانية وهو بالكاد يستوعب الامر وحين خرج السؤال المرتجف من شفتيه كان الخط قد انقطع..
"أيهما؟؟"
فتح عينيه بتركيز وهو يقود للمستشفى الاقرب لمنطقته.. من اتصل لم يحدد ايهما، قال فقط زوجتك؟ كيف له هو أن يسأل عن أيهما؟ كيف له أن يفسر حاجته لأن يعرف.. وعقله يتخبط وقلبه يتوسل بدموع دامية ألاتكـــون هي...
وصل الى المشفى ولم ينتظر حتى ليركن سيارته.. قفز منها غير مهتم بترك محركها يعمل ، هو حتى لم يقدر على الاتصال بأي منهما، كلتاهما لاتجيب.
"ربااااااااااااااه"
تمتم بسكون وهو يقتحم مركز الاستقبال ليسأل عن عائلة ذياب الشريف.. كان

يرتجف فأثار شفقة الممرضة التي نظرت لشاشة امامها قبل ان تشير لرواق منعزل:
-عبر الرواق لغرف العمليات الطارئة.
تفجر القلق براكين بداخله، أسرع نحو المكان وقلبه يتخبط بجنون..
ثم رأاها..
فريـدة..؟؟!!
كانت تقف امامه تحمل ذراع مضمدة بشاش كثيف وتنشد بدموع غزيرة.. كانت مغطاة بالدماء؟؟
"أيـن ورد؟؟!!"
هدر قلبه بعنف جعله يلجمه بقسوة وهو ينتفض اليها:
-فريدة؟! أأنت بخير؟
التفتت اليه عينيها متسعتين بذهول قبل ان تشهق وترتمي بين ذراعيه.. أحاطها بقوة وهو يلامس رأسها.. ظهرها محاذراً ذراعها المصابة

وهو يهمس:
-حمدالله حبيبتي.. حمدالله.
-اوه يالهي ذيااااب.. ذيااااااااااااب .. لقد وقع شيء فظيع.
كانت هستيرية.. جذبها لتجلس على مقعد قريب وتجاهل ضربات قلبه المتسارعة وهو يهمس بابتسامة:
-لابأس فريدة.. انظري اليكي انت بخير.. لم تصابي بأذى الحادث...
-انهاا ورد..
تصلب وهو ينظر لدموعها المنهمرة بلاتوقف، قلبه ينتفض بلاهوادة بين ضلوعه وانفاسه تتسابق بجنون.. نهض مفلتاً ذراعيها وهو يهمس بشحوب:
-ماذا.. ماذاعنها؟
انتحبت فريدة بألم ليصرخ ذياب بجنون:
-أين هي ورد؟

لم تجبه.. بل استدارت بوجه مذعور لتنظر لغرفة العمليات ليتهالك ذياب الى جوارها ويهمس بشحوب:
-ماذا حدث؟
-كنا وسط الطريق.. كنا فقط نعبره للجهة الاخرى، السيارات كانت تسير بسرعة..انا..انا..
تحشرج صوتها وانتحبت ليصرخ ذياب:
-أكملي.
كان قلبه يغلي من العمق، كل جسده يرتجف، كل عرق فيه ينبض وقسوة.. خوفاً.. لا لم يكن خائفاً..
كان مذعوراً
-وقعت بعض الحاجيات..طلبت منها ان تذهب الى السيارة الا تنتظرني، قلت لها اذهبي وسألحق بكي ولكنها عادت.. لم ترى السيارة ولم أرها انا..

-هذا يكفي..
هتف بخشونة مزقت حنجرته مع البقية من قلبه فيما بكت فريدة بمرارة، دموعها تغرقها وفهم هو الباقي، عينيه متسمرتين للنظر امامه لايقدر على رمشهما حتى، المشهد يرتسم في مخيلته ويتركه عاجزاً سوى عن الاسى والألم، غصة محكمة خنقته ولم تترك حتى الدم يسري في عروقه.. كله يغلي من الداخل، ويشتعل واطرافه باردة كالثلج، وكأنه مريض بالحمى وليس لديه مايشفيه.
نظر لفريدة وحاول ان يجلب لنفسه الهدوء.. كانت مصابة هي الاخرى، والدماء تغرقها..
-هل أنت بخير؟
سألها مجدداً لتصرخ باكية:
-مجرد خدوش.. كل هذه الدماء لها.
غادرت الدماء وجهه هو، شعر بالغثيان وهو ينظر لملابس فريدة والدماء المتجمدة عليها.. كلها لورد..
أسند رأسه للجدار خلفه واغمض عينيه، شعر بممرضة ما تطلب من فريدة ان تلحق بها لتعطيها رداءاً نظيفاً.. وفتح عينيه يشجعها:
-اذهبي..
لم يعد يطيق رائحة الدم..كانت خانقة.
بعد ذهاب فريدة مع الممرضة بدقائق خرج أحد الاطباء من غرفة العمليات، لينهض له ذياب بلهفة، عينيه لجتان من قلق قابلتا عيني الطبيب المتوتر:
-انت قريب الضحية؟
-أنا زوجها.
همس ذياب بشحوب وقلبه يغور بين ضلوعه لمنظر الطبيب والذي جذبه من ذراعه ليجلسه الى مقعد قريب وهو يقول بسرعة ومهنية:

-السيدة زوجتك تعرضت لضربة متوسطة من السيارة، لقد اصيبت بكسر بسيط في ذراعها الايسر وكدمات متفرقة.
-يالهي.. هل ستكون بخير؟
تسائل بضعف ليتنهد الطبيب قائلاً:
-تلك كانت الاخبار الجيدة سيدي.
رفع له ذياب عينين مرتجفتين ليواصل الرجل:
-لقد اصيبت بانفصال المشيمة.. زوجتك تنزف بغزارة الان وهناك خطر يتهدد حياتها وحياة الطفل الذي تحمله.
كان الامر الان وكأنهم يمزقونه بسكاكين حادة ينخرون عظامه ويتركونه ملقى على الارض دون رحمة..
-المشكلة الان كلها بين يديك.. بالطبع اتجاهنا الاوحد ان ننقذ حياة الام، ولكن من الناحية المهنية والاخلاقية كان علي المجيئ واطلاعك على كل الاحتمالات.
-وماهي تلك؟
همهم بشرود ليرد الطبيب:
-هناك طريقتين يمكننا اتباعهما.. الاولى وهي التي من المفروض اجراءها.. عملية قيصرية لاستخراج الجنين وانهاء الحمل للسيطرة على النزيف.
-ولكنها.. صغيرة..الطفل..
غمغم ذياب متلعثماً.. وكأنه فقد حتى القدرة على الرد والتفكير ليواصل الطبيب بحزم:
-اعرف ان الطفلة غير مكتملة العدة، وادرك انها مخاطرة كبيرة قد لاتعيش بعدها.
اغمض عينيه ذياب بألم ليصدح صوت شاحب من خلفه:
-ماهو الخيار الاخر؟؟

التفتا معاً ليجدا فريدة الملتاعة ترتدي ثوباً للمرضى وتقف بمساعدة ممرضة..
ليتنهد الطبيب:
-الخيار الاخر ان نحاول السيطرة على النزيف دون اجراء جراحة، وهذا سينقذ الطفلة او بالاحرى يعطيها فرصة أكبر للنجاة.
-اذاً هذا بالضبط ماعليكم فعله.
هتفت بحنق ثم اقتربت لتجلس جوار ذياب وتمسك بيده بقوة..
-تلك الطفلة هي مانريد من هذه الدنيا كلها.. أتفهم دكتور..
-نهض الطبيب وهتف بتوتر:
-سيكون على زوجها أن يوقع اوراقاً لاخلاء مسؤوليتنا..
-سنوقع على اي شيء.
هتفت باصرار.. ليتحرك الطبيب بعدها ليعود لداخل الغرفة حين ناداه ذياب بأن ينتظر..
أفلت يد فريدة ونهض يواجه الطبيب:
-أنت لم تخبرني ماسيحدث لزوجتي لو لم تجروا العملية؟
-ذياب لن يحدث لها شيء لاتخف.
همست فريدة بتوتر ليتجاهلها تماماً وهو ينظر للطبيب باصرار ينتظر اجابته والتي لم تتأخر:
-النزيف سيستمر، وبصراحة لااعتقد ان السيدة تستطيع المقاومة أكثر، سيكون من الخطر على حياتها أن نحاول الابقاء على الطفلة.
شهقت فريدة فيما ارتجف ذياب وتراجع خطوة..
مالذي يحدث له، يالله يارحيم، فكر بضياع..

ورد.. يالهي.. زوجته الجميلة الصغيرة جداً.. مكسورة ومحطمة على طاولة العمليات.. تنزف روحها بالداخل وهو .. هو هنا لايقدر على فعل شيء.. لاشيء على الاطلاق..

-انا أريد زوجتـي.

همس بشحوب متهالكاً على المقعد لتسرع فريدة نحوه وتصرخ بوجع:

-ذيااااب انت لاتفكر بوضوح.. ماذا عن الصغيرة؟؟

نظر لها ذياب بوجع.. عينيه تبكيان دون القدرة على ذرفها:

-انها .. انها ورد.

اتسعت عينيها بذهول بينما يشيح هو لينظر للطبيب ويهمس بصلابة أكبر قليلاً:

-قم باجراء اللازم.. زوجتي تهمني أكثر من أي أحد أخر.

ابتسم الطبيب للحظة قبل أن يومئ ويسرع لداخل العمليات لتهتف فريدة بألم:

-ماذا عن الطفلة؟!

لم ينظر اليها بل نهض يعتزم الوضوء والصلاة لله حتى ينقذ حبيبته:

-سيأتي غيرها.

تابعته بعينيها مذهولة ليختفي خلف احد الابواب وتظل هي مسمرة مكانها بلاحراك، لقد اختارها هي!!

اختار المرأة التي لايمكن أن تكون ..

اختار ورد

اختار المرأة التي يحب ويعشق..!!

***

في صباح اليوم التالي..

لم تكن النوافذ في غرفة العناية المركزة تسمح بمرور الضوء..فقط اضاءة منخفضة وباردة تلقي بظلال شاحبة على كل ماحولها، الاجهزة ذوات الاصوات

الرتيبة والبرودة القارصة..
ورجل منهك يجلس جوار فراش حمل جسد صغير بشرته شاحبة وكأنما غادرتها كل الدماء..كان ينظر لوجهها الشاحب دون أن تطرف عيناه، تحيط ربرأسها قبعة شفافة زرقاء تزيد من رهبة منظرها، لقد رفض كل محاولات الاطباء وطاقم المشفى بمغادرته، رحيله ليرتاح وتأكيدهم له أنها لن تستيقظ حتى الصباح ولكنه لم ينصت لم يتحرك حتى، كل ماكان يفعله هو الجلوس والنظر اليها ومراقبة كل نفس يدخل او يخرج من صدرها.
ينتظر افاقتها بأي وقت الان.. وحين رأى عينيها ترمشان انتصب في مقعده واقترب منها..
-ورد؟!
همس بقلق.. اصابعه تلامس جانب وجهها البريئ المغطى بالخدوش، وشفتيها الجافتين.. سمع أنينها وهي تفتح عينيها بصعوبة..تتأوه وتهذي باسمه !!
تناديه بعذاب ليقبض على كفها اليمنى ويضغط عليها برفق بينما تجاور شفتيه اذنها هامساً:
-انا هنا الى جوارك حبيبتي. لن اتركك ابداً..
فتحت عينيها لتنساب دموعها مباشرة وهي تصرخ:
-السيارة.. السيارة..
حاول ان يحيطها بذراعيه ولكن الضمادات التي تحيط بذراعها المجبرة، وبطنها المشقوق حديثاً وتلك الكدمات التي تغطيها جعلته يتقلب في مكانه لايقوى على فعل شيء:
-لاتخافي حبيبتي كل شيء سيكون على

مايرام لاتخشي شيئاً..
نظرت له بتشوش.. كل مابها يرتجف وتريده ان يضمها اليه اقوى واقوى، ولكنه ابقى مسافة بينهما.. مسافة تعذبها لذا همست له باكية:
-لاتتركني ذيااااب ارجووك.
-لن افعل حبيبتي..ابداً لن اتركك.
قالها بانفعال وهو يقبل جبينها بعمق جعلها تستكين للحظات قبل ان تهمس وهي تتذكر:
-طفلتي؟؟ كيف هي طفلتي؟
بالوقت ذاته كانت يدها تتملص من قبضته لتتحسس بطنها، أجفلها الالم للوهلة الاولى، ثم طعنها الادراك فجأة لتتسع عينيها برعب وتصرخ:
-ماذا فعلتم بطفلتي؟ ماذا حدث لها؟
كانت تحاول النهوض حين امسكها من كتفها مثبتاً اياها وهمس بحزم:
-لاتتحركي انت لاتزالين ضعيفة.
-ماذا حدث لابنتي؟
صاحت بألم ليهمس بثبات:
-لله ماعطى وماأخذ.
جحظت عينيها وتيبست قبل ان تصرخ بألم كحيوان جريح مماجعله يتجاهل كل ماكان يفكر به قبلاً ليضمها اليه بقوة يقول بحزم لايشي بتمزقه من الداخل:
-لقد كانت صغيرة جداً ياوردتي، لم يستطيعوا انقاذها، كنت تنزفين بشدة وكان حتماً عليهم انقاذك.
-لمااااذاااااا..؟؟!! انا اريد ان اكون مع طفلتيييي؟!
صرخ بها بجنون وهو يمسك جانبي رأسها:
-واناا ورد؟؟ لمن تتركينني انا؟!!
حركت رأسها بعناد على الوسادة وبكت

بعنف ليحاول الاقتراب منها والهمس امام شفتيها:
-الاتريدينني بعد الان ياوردتي؟ هل تريدين تركي والرحيل بعيدا؟! اهذا ماتريدين؟
شهقت منتحبة بلاا!!.. ليحاول الابتسام:
-الطبيب قال بأننا في مقتبل العمر، انت تستطيعين انجاب العشرات غيرها وردتي؟ لاتزال الحياة أمامنا حبيبتي.
-انا..انا اسفة.. اسفة لانني لم احتفظ بها او أحميها.
-اااه ياحبيبتي لاتلومي نفسك.. انه قدر من الله فتوقفي عن هذه السخافات.
همهم لعنقها وهو يطبع قبلة حانيةعليه قبل ان يبتعد ويقبل اصابع يدها المصابة برقة جعلتها تتأوه، مسح دموعها بأصابعه وهمس لها:

-ستكونين بخير، ستغادرين المشفى حالما تتحسن صحتك ونعود لبيتنا.
-ماذا عن فريدة؟! هل أصيبت بمكروه؟
تسائلت ورد مرتجفة ليبتسم ذياب ويطمئنها:
-لم تصب سوى بخدوش.. لاتقلقي.
-حمدالله.. أين هي؟
هتفت بارتياح ليعبس وجه ذياب وهو يتذكر انهيار فريدة حال علمها بخبر وفاة الطفلة التي لم تعش سوى سااعات قليلة بعد خروجها من بطن أمها وأجاب:
-انها لم تتقبل الامر بشكل حسن.
توقفت دموع ورد وحاولت النهوض:
-خذني اليها..
-أنت لن تتحركي من مكانك.ليس قبل أن يعاينك الطبيب.
قالها ذياب بحزم.. لتعود الى سريرها زافرة بضيق بينما ذهب هو لجلب الطبيب...

بعد ساعة كاملة كان يدفعها على مقعد متحرك، همست له باضطراب:
-أين هي فريدة ياذياب؟
-هي لم تغادر المكان بعد.
قالها بصوت أجش مخنوق ورفعت ورد عينيها لترى اللافتة التي تحمل اسم عنبر المواليد الخدج بحروف زاهية.. شعرت بقلبها يخنقها وانسابت دموعها بشكل متواصل والابواب تفتح لتجد فريدة تجلس هناك.. عينيها متسمرتين على الزجاج، وتحتضن خرقة قذرة بين يديها بينما عينيها لجتين من الدموع، سحبت ورد نفساً عميقاً وطلبت من ذياب ان يتركهما قليلاً.
-سأكون خلف الباب.
قال بألم ثم انصرف..
عم الصمت بينهما للحظة، فريدة تشيح بظهرها لورد بينما الأخرى تناظرها باكية بصمت، قطعته ورد بعدها بلحظات:
-هل رأيتها؟!
ظنت انها لم تسمعها.. ولكن بعد دقائق تحركت فريدة لتنظر لورد.. وجهها شاحب وكأنما كبرت مائة عام عن عمرها الحقيقي.. شعرها الاشقر الناعم يتهدل على جانبي وجهها فاقداً لحيويته.. لقد كانت فريدة اخرى.. فريدة مكلومة ومحطمة.
-هل حملتها بين ذراعيك؟!
تسائلت ورد بصوت مخنوق بالدموع لتشهق حينها فريدة بألم وتنهمر دموعها بلاتوقف..
-انا..انا لم..لم افعل.
شهقتها ورد بانفعال لتنهض فريدة نحوها وتضمها اليها بقوة وتنشجان بالدموع..
-كانت صغيرة جداً جداً ..فتحت عينيها ياورد.. كانتا دخانيتين كعيني والدها تماماً.. ولكنها كانت ضعيفة..

انتحبت ورد بألم:
-لم لم يتركوني اراها، لم اخذوها عني بتلك الطريقة.
ابتعدت فريدة عنها وهمست:
-كنت في حالة سيئة للغاية، لم يرد ذياب أن يصعب الامر عليكي أكثر، هو لم يتركك أبداً حتى.. حتى دفن الصغيرة تكفل به زوج سارة.
شهقت ورد ثم أجهشت بالبكاء لتشعر بذراعي ذياب القوية حولها من العدم وهو يدمدم بكلمات مطمئنة وخافتة جعلتها تهدأ.
تراجعت فريدة تناظرهما بذهول، تضم الخرقة التي اخرجوا بها الطفلة اليها، لاتزال تحمل رائحتها، ولاتزال تؤثر بها بطريقة كبيرة وكأنها تملكها. هذا ماأرادته هي على طول الخط،الطفلة التي ستعيد لها الحياة ولكنها فقدتها وبكل قسوة قبل الاوان.
كانت وكأنها تغني خارج سربها لاتعي ماحدث حولها سوى انها فقدت كل شيء الان.
***
بعد اسبوع كامل غادرت ورد المشفى.. تستطيع السير بشكل افضل ولكن ظلت ذراعها في الجبيرة. حالما عادت الى جناحها توجهت الى غرفة الطفل بأقدام من المطاط لتحاول فتح الباب دون فائدة.
-لقد اغلقته أنا.
هتف ذياب من خلفها بحزم فتنهدت بحزن ليتقدم ويحيطها بحنان هامساً:
-مابكي الان ياجميلتي؟ لقد اتفقنا معاً ان ننسى الماضي كلياً ونركز على المستقبل فقط؟

-الطبيبة قالت انني لااستطيع التفكير بالحمل الا بعد سنتين على الاقل، قالت ان جدار رحمي ضعيف للغاية.
-ومالمؤسف في الانتظار؟؟
همهم بابتسامة وهو يديرها بين ذراعيه ويقربها منه ليدفنها في طيات صدره بقوة حانية:
-لقد انتظرت لسنوات ياورد.. انتظار اكثر لن يقتلني، هذا يعطيكي الفرصة لتهتمي بدراستك بشكل جيد..
والتمعت عيناه بمكر وهو يضيف مداعباً وجنتها بأنفه:
-ويعطيني الفرصة للانفراد بك وبشكل كاامل.. قبل ان يتوزع اهتمامك بيني وبين طفل لجوج.
ابتسمت رغماً عنها واسندت رأسها على صدره تنعشها رائحته النظيفة والعطرة، بعد ايام طويلة من رائحة منظفات المستشفى، وتذكرت حينها كيف بقي الى جوارها رافضاً حتى المغادرة للراحة، كانت والدته وشقيقتاه تزورانها باستمرار، خالتها ام أسعد زارتها مرتين، وكذلك رفيقات من المعهد.. ولكنها قط لم ترى فريدة.
-أين هي فريدة؟
سألت بخشية ليتنهد ذياب مطولاً ويبعد ورد عن ذراعيه ويسير بها نحو غرفة نومها قائلاً بجفاء:
-لقد رفضت البقاء هنا، ذهبت للشمال للبقاء مع شقيقتها لبعض الوقت.
رفعت له وجهها وهمست بقلق وهي تتأمل ملامحه:
-هل أغضبتها ياذياب؟ انت تعرف انها كانت حساسة ومتأثرة جداً لفقدان الصغيرة.
-لا ورد..أنا لم اغضبها ولم ازعجها أنا حتى

لم أرها..لقد كنت معكي طوال الوقت حبيبتي.
تنهدت ورد وتركته يقودها الى سريرها قائلاً؛
-ارتاحي الان.. وسنتصل بها معاً فيمابعد لنطمئن عليها مارأيك؟
-حاضر..
ابتسم لها ورفع ساقيها لتستلقي على الفراش لتعترض؛
-انا لست مقعدة.
-لا حبي..أنت ستكونين مدللتي لفترة طويلة حتى يأتي او تأتي ابنك أو ابنتك ويسرق مقعد الدلال منكي.
شهقت ليضجك بمرح، قبلها على قمة رأسها وطلب منها بخفوت أن تخلد للراحة.
...

بعد ثلاثة أسابيع..
اوقفت سيارتها امام بوابة القصر وترجلت منها بعد أن أخذت نفساً عميقاً، لقد مضى وقت ليس بالقصير منذ رحلت.. وليس لها الان سوى ان تنفذ بحزم ماقررته.
دخلت الى البهو وحيتها الخادمة بابتسامة وحماس وحين سألتها عن مكان سيدها قالت انه مع السيدة في الاستوديو؟!
حين رات حيرتها قادتها الى غرفة خلفية تقابل الحديقة والتي كانت مزدهرة الان هامسة ان هذه الغرفة القديمة قد حولها السيد ذياب لاستوديو خاص بالرسم للسيدة ورد..
رمشت عينيها بتوتر وابتلعت ريقها وهي تخفي ارتجاف اصابعها في تمريرة ناعمة لخصلات شعرها الذي اصبح بلون نحاسي لامع، وأخذت نفساً عميقاً قبل ان تقرر عدم

طرق الباب والدخول مباشرة.
توقفت حالما فعلت..
كان المنظر امامها يستحق ان تتوقف وتذهل به..
كانت الغرفة واسعة بجدران بيضاء ناصعة ونوافذ واسعة للجهات الثلاث تدخلها الشمس بوفرة.. الضوء كان مشعاً أكثر ممايجب جعلها تقلص عينيها قليلاً..
ولكن ليس هذا ماجعلها تصعق، بل هو مشهد الاثنين معاً.
كان ذياب يقف مواجهاً لوح رسم عملاق وبيده فرشاة الالوان يرتدي قميصاً ابيض ملطخ بمزيج منها، وبنطال قصير بالكاد يصل لركبتيه بينما تهدل شعره امام عينيه وقد طال بعض الشيء، وكانت ورد معه.. مثله ترتدي قميصاً ابيض امتزجت فيه الألوان كلوحة سريالية، وسروال قصير لمنتصف فخذيها بينما انتشر شعرها الاسود لامعاً حتى اسفل ظهرها..
كانت معلقة على ظهر ذياب تحاول منعه من تلطيخ لوحتها بيأس..
هي تصرخ بلاتوقف وهو يضحك من اعماق قلبه لمحاولاتها العقيمة جداً..
-صباح الخير.
قاطعتهما بنبرة حادة جعلتهما يلتفتا معاً بدهشة.
تسمرا ينظران لفريدة بذهول لبعض الوقت، ورد تستوعب منظر المرأة الاخرى الكامل، بالبدلة الزرقاء، والتصفيفة الناعمة بينما هي تبدو كقرد بهلوان معلق على ذراع سيده،،
-فريـدة؟!
كان ذياب من كسر الصمت بنبرة متفاجئة، مماجعلها تخرج من ذهولها وتنزل

عن ظهره بحرج بالغ، تتمنى لو تنشق الارض وتبتلعها، لم ترى المرأة منذ شهر كامل وحين تفعل هي تقابلها بهكذا منظر..
كانت وذياب قد استيقظا للتو..وانتقلت هي الى الاستوديو لتلحق اشعة الشمس ولم تكن تفكر بان يلحق بها ذياب بهذا الشكل ويمارس تسلطه حتى في انتقاد لوحتها، بل هو عرض بمشاغبة ان يعدلها لها وهذا ماكانت تحاول ايقافه قبل دخول فريدة الصاعق عليهما.
-اسفة على المقاطعة.
همست فريدة بثبات فتنحنح ذياب ورد بارتباك":
-انت لم تقاطعي شيئاً..لقد كنا نلهو فقط.
طعنة غيرة مزقت قلبها.. لهو..!! كما لم تعرفه معه قط؟؟
حاولت الابتسام ونظرت لورد المنكمشة خلف كتف ذياب تخفي خجلها:
-كيف حالك ياورد؟!
ابتلعت ورد ريقها وهمست أنها بخير بشحوب..
لتتسع ابتسامة فريدة وتنظر لذياب:
-نحن بحاجة للكلام ذياب.
تنهد ذياب واومأ لفريدة مشيراً لها ان تتقدمه قبل أن ينظر لورد:
-لم لاتطلبين لنا القهوة.
اومأت له بينما تبع فريدة بخطوات سريعة.
كان من المضحك جلوسهما هكذا حول مكتبه..هي بكامل اناقتها وهو بقميصه الملطخ.. نظرت له باستغراب "قميص اللهو؟!".
-أنت تغيرت.
قالت مقررة.. ليتوقف للحظة ثم يقول بحذر:
-كلنا نتغير فريدة..

-ليس كمافعلت انت؟ انت..وقعت في الحب..
ويؤلمني ان اعرف انها كانت المرة الاولى.
قالت بمرارة ليعبس دون ان يرد فتواصل:
-انا ظننت أنه كان بيننا شيء مميز..
ولكن..ماكان بيننا فقط هو..زواج..
-ماذا تعنين؟!
تسائل بعدم فهم فرفعت عينيهالتلتقي عيناه وتفسر:
-انت تزوجتني زواجاً تقليدياً..امك انتقتني بين العشرات من الفتيات لظنها انني المناسبة لك.
-وقد كنت.
قال بثقة لتبتسم ساخرة:
-ولم أعد..
تصلب فكه.. لتهمس هس:
-اثناء زواجنا أنت لم تفعل سوى ان تكون نعم الزوج لامحب والرقيق والحامي بشكل كبير، لقد تحملتني رغم كوني عاقر ورغم كل شيء أخر..انت تصرفت بطبيعتك ذياب، كرجل يعرف قيمة نفسه جيداً. يحمي ممتلكاته ويحافظ عليها.
-هل أسأت لكي بكوني كذلك؟
تسائل بخشونة لتنفي بسرعة:
-ابداً..
أنت فقط لم تحبني كما ظننت أنك تفعل..
انت تصرفت بشهامة، ورجولة ندر وجودها حولك، انت كنت ذياب الشريف بكل مافي الاسم من معان.
نهضت حينها فريدة ووقفت امام النافذة وكانها لم تعد تطيق الجلوس:
-انا تصرفت بالغباء المعتاد..أخذتك كأمر مسلم به، حبك لي وشهامتك وايماني انك ابداً لن تتركني.
-وانا لن افعل.

هتف بحزم لتبتسم وتواصل متجاهلة مقاطعته:
-اخترت لك فتاة أقل مايقال عنها انها معدمة، متوسطة الجمال.. صغيرة وساذجة.. واقنعتك بل لنقل انني ارغمتك للزواج منها.
توقفت حينها.. وكأنها بانتظار تعليقه ولكنه صمت هو الاخر لتأخذ نفساً عميقاً وتهمس بشحوب:
-ولكنك وقعت بحبها..
ابتلع ذياب ريقه وتملكه هاجس قوي لأن ينفي.. لان يحاول الا يظلمها ولم يقدر..
-أنا أعشقـها.
اجاب بصوت مبحوح.. وغصة احتكمت فؤاده لتغمض عينيها بألم وتهمس:
-أعرف..رأيتك معها مراراً وكنت أنكر هذه الحقيقة..المرة تلو الأخرى..

ولكن..ذلك اليوم في المشفى حين فقدت الطفلة، كنت اريد منك دليلاً واحداً فقط ان الطفل هو كل ماارادته منها..كل ماأحببته فيها كانت ماتحمله في حشاها ومع ذلك..أنت..
تحشرجت كلماتها ليواصل هو بشحوب:
-ورد..هي كل ماأردته.
-اعرف.
همست بوجع.. ثم خفضت رأسها للحظات طويلة.. قبل أن يقطع ذياب الصمت ويهمس:
-ماذا الأن؟
رفعت وجهها اليه وأخذت نفساً عميقاً:
-الأن..أنا أبتعد.
-لا.
اجابته كانت فورية وحادة لتواصل هي بثبات أكبر:
-بقائي هنا لن يسبب لي سوى الأذى ولكما

الارتباك، انتما عاشقان ذياب لقد آمنت ان الانسان يجد نصفه الاخر ، بل توأم روحه ولو بعد حين.. وأنت..أنت فعلت.
-أنت لاتزالين زوجتي.
قالها بخشونة لتهمس:
-انا لا استطيع العيش هكذا. شهامتك وطيبتك لم تعد تكفيني.. لن أقدر على البقاء برفقة رجل وأنا اعرف ان جُلّ مايتمناه هو أن يكون مع سواي.. لذا..
-أنت لن ترحلي.
قاطعها لتصيح بنفاذ صبر:
-بلى سأفعل.. انا لن ابقى هنا معك.. انا سأذهب لأي مكان أخر، سأحاول بناء حياتي من جديد.. لاتجعل طبيعتك المتحكمة تفرض أنانيتها عليك ذياب..احتاج لأن أبتعد وأنت وورد تحتاجان للبقاء معاً.
نهض من مقعده بعصبية لايجد مايقوله..

قبضتيه مضمومتان بشدة وعروقه كلها تنبض بالغضب من نفسه.. من فريدة.. من قلبه المتوله بورد.. لايريد أن يظلمها أبداً.
-أنا سأكون بخير.
قالت بحزم.. متخلصة من مظاهر بؤسها وعاقدة العزم:
-أنا سأذهب لمن يحتاجني فعلاً.
-ماذا تعنين؟
اقتربت منه وأمسكت بيده:
-منذ معرفتي بأني عاقر كان الحلم الوحيد الذي سكنني هو انجاب طفل يناديني بأمي، كان هاجساً مرضياً ربما ولكنني تفهمته، أنا لم أقف بتاتاً مكتوفة الايدي تجاه شيء ينقصني، لطالما حاولت بجنون الحصول على كل شيء أريده، وجاء امر الطفل ليضربني في مقتل.

نظر لها بتعجب لتواصل بابتسامة:
-انا احببتك دوماً ذياب ولكنني احببت كوني اماً أكثر وأكثر.
-ماذا ستفعلين؟
تسائل باهتمام لتتنهد وهي تدرك انها تصل لشيء معه:
-اكتشفت ملجئاً للاطفال بالقرب من منزل شقيقتي.. وانا..انا اعمل هناك منذ اسبوع.
ابتلع ريقه وهو يلاحظ لاتوهج الصافي لعينيها:
-ماذا؟ مالذي تفعلينه هناك؟!
رفعت كتفيها ودمعة غريبة تتسلل من بين جفنيها هامسة:
-أم..
كلمة من حرفين جعلته يتنهد زافراً بقوة لتفسر بانفعال:
-هناك أنا أم لثلاثة أطفال، اكبرهم بعمر الثالثة وهو يناديني بأمي،..
اضافت عبارتها الاخير بصوت مخنوق ليجذبها ذياب اليه ويغرق دموعها على صدره فتنتحب بصمت لعدة لحظات.. لم يتركها بل تركها تفرغ دموعها كماتشاء حتى تململت وابتعدت وحدها هامسة :
-انه كل ماأردته..انا اشعر بالاكتفاء هناك ذياب، وكأنني أملك العالم.
-هل أنت متاكدة؟! تلك الاماكن..الاطفال يغادرون باستمرار..
قال بتردد لتهمس بثقة:
-لليس أطفالي.. لقد علمت مابوسعي للتأكد انني سأكفلهم وساكفل تعليمهم حتى الجامعي.. أطفالي الثلاثة سيبقون معي لوقت طويل وأنا سأحرص على هذا.
-انا..أنا لا اعرف ماأقول.
غمغم بارتباك لتبتسم وهي تمسح دموعها:

-اتركني اذهب.. اعطني حريتي وابقى مع ورد فانتما تستحقان السعادة التي وجدتها أنا أخيراً.
-لاطلاق.
قال بحزم جعلها تنظر له بقوة:
-انا اريد الطلاق ياذياب..أريد حريتي.. اريد أن اعيش فرصتي كمافعلت أنت.
قبض على مرفقها بقسوة وهمهم:
- أتفكرين بالزواج؟
ضحكت ملئ شدقيها ثم مسحت دموعاً وهمية فرت من عينيها وهمست مبعدة ذراعه:
-لاتجعل تفكيرك ضيق ذياب، انا قلت لك ماأريد. ولذا فسأرحل الان ولن أعود.. فقط أبلغ تحياتي لعمتي وورد، لن أقدر على لقاءهما ليس الان على اي حال.
قالتها واندفعت مغادرة تلاحقها عيناه

جلس خلف مكتبه وغرق بتفكير طويل....
....
راقبت فريدة تنصرف..
تفاجأت لرحيلها بتلك الطريقة.. دون وداع او حتى تحية، لماذا رحلت؟!
ارادت الذهاب لذياب وسؤاله ولكنها احترمت صمته وانغلاقه حول نفسه..
تحسست ذراعها اليسرى، لقد ازالت الجبيرة قبل ثلاثة أيام ولكنها لاتزال تشعر بثقل يراودها بين الحين والأخر.
تنهدت وعادت لمرسمها.. وغرقت فيه حتى بدأت الاضاءة تخفت معلنة ان وقت الظهيرة قد انصرم..
رأت ساعتها تشير للثالثة عصراً..
غسلت فراشيها ومسحت يديها بخرقة ملطخة بالألوان ثم صعدت لغرفتها، أخذت حماماً

سريعاً وغيرت ثيابها لثوب لطيف قصير وتركت شعرها منسدلاً.. كان من التغيرات الذي قام بها ذياب منذ فترة انه منع عماله من الرجال لدخول المنزل حتى تأخذ راحتها الكاملة والاستغناء عن حجابها.
حين نزلت اليه كانت ملتفة بالعطر وبشعرها الذي انساب طويلاً جداً كمايحب..
طرقت باب مكتبه ثم دخلت دون انتظار الاذن كمااعتادت. كان لايزال بقميصه الملطخ وسرواله القصير يقف امام النافذة يراقب الحديقة بعينين غائبتين.
اقتربت واحاطت وسطه بذراعيها مسندة رأسها على ظهره هامسة:
-لم لم تأتي الي؟!
ابتسم واغلق عينيه وهو يستند عليها للحظة قبل ان يستدير ويغرقها في عناق ناعم لطيف جعل معدتها ترفرف باستجابة للشوق في عينيه..
-أنا أحبك ورد..
همس بشجن لتلقي ذراعيها حول عنقه وتستجيب له بشوق وحب مماثل، قبلته هذه المرة كانت يائسة تقريباً وهي لم تتوقف عن الهمس له بحبها دون توقف ضمها اليه بقوة كادت تحطم ضلوعها وشعرت بوخز في مكان العملية القيصرية للتذكر انهما لايستطيعان.. ليس هكذا.. لم يحن الوقت بعد.
-ذيااااااااااااب.. لاا!.
تأوه باعتراض وهمس بشوق:
-الى متى؟؟!!
ضحكت بصوت مخنوق:
-ربما أسبوعين..أو ثلاث..
-اسبوع..اسبووع واحد فقط.
-ليس الأمر بيدي..

ضحكتها أتت عالية ليزفر باحباط ثم يقربها منه بحميمية:
-اعرف..أنا اسف ولكنني اشتقت اليكي فقط.
-أنا هنا.. معك ولن أتركك قط..
تكورت في حضنه ليقبل قمة رأسها بعمق ويتنشق رائحتها العطرة، ثم همس:
-أنت تدركين ان ثوبك تلطخ بالألوان الان.
-لايهمني.. انت فقط من يهم.
همست بحب تتشبث بقميصه وتكاد تزرع نفسها بين ضلوعه ليقول بحب:
-هل تهتمين حقاً؟ كما أهتم أنا؟! كما احبك؟
ابتعدت عنه..تحيط وجنته بكفها برقة وهمست:
-بالتأكيد أنا احبك..كيف لك ان تسأل؟
اغمض عينيه للحظة فاقتربت تقبل ذقنه المشوكة بابتسامة عريضة:
-انا احبك بطريقة لم اعرفها يوماً، حباً تجاوز كل المشاعر التي حلمت بها، أحبك لأنك زوجي..ورفيقي أحبك لأنك أخي ذياب.. وأبي وفي بعض الاحيان كصباح اليوم مثلاً.. ابني المشاغب.
تسللت ابتسامة الى شفتيه لتهمس مشجعة:
-أحب ابتسامتك..عبوسك..أعشق ضحكتك ذياب..تلك التي تضنها علي في كل حين..اعشق عاطفتك وحنانك.. رجولتك وشهامتك، اعشق طيبة قلبك العميقة.. كل شيء فيك يجعلني أدوخ.
اشتدت ذراعاه حولها وفتح عينيه لترى بريقاً خطف بصرها وهو يهمس بخشونة:
-كي لاتدوخي دون سبب..

وانقض على شفتيها بحزم.. وقوة جعلتها تأن قبل أن ترفع ذراعيها لتغرس أصابعها في خصلات شعره الناعمة وتعمق القبلة أكثر.. تريه مدى عشقها وحبها اللامحدود.. ابتعدا بشهقة للهواء قبل ان تتهالك على صدره دائخة بالفعل..

-أنت مجرم..

ضحك مختنقاً برغبته ثم همس:

-لدي شيء ما أقوله لكي.

رفعت عينين بريئتين متسائلة بقلق:

-بشأن فريدة؟!

تنهد موافقاً ثم قال:

-لقد رحلت..

اتسعت عينيها بذهول ليواصل بحيرة:

-انها تريد الطلاق.

-لماذا؟

همست ليرد مع هزة من كتفه:

-تقول أن السبب لأنها اكتشفت مقدار حبي لكي، وأنني لم أحبها ابداً بقدر مااهتممت بها فقط.

-ماذا تعني؟

تنهد مجدداً وقال بواقعية:

-انها تدرك مشاعري جيداً تعرف انها زوجتي ولن أظلمها ولكنها تلومني ولها كل الحق في مشاعري نحوك.

-أنت قلت لها انك تحبني؟!

اتسعت عينيها بدهشة.. ليبتسم بحنان ويهمس:

-لا لم افعل.. لقد رأته فقط في عيني،..

اعتقد انها قامت بالحسبة وحدها.

اتسعت ابتسامتها وشعرت بالفخر..لم تشعر بالذنب ابداً، نهائياً كانت فخورة بحبه ومشاعره التي تنضح من كل ملامحه وتصرفاته، شعرت بالقوة والحماية.. شعرته

ملكها وحدها فقط.
-ماذا؟؟
سأل بابتسامة لتبادله اياها بأكبر منها وترتمي بين ذراعيه بقوة.. ضحك عالياً وحملها بين ذراعيه بينما تصرخ هي:
-انا سعيدة .. سعيدة للغاية..
-لأن فريدة رحلت؟؟
-لاااااااااا
هتفت تقطع ضحكتها ولكزته على كتفه بقوة ليتأوه بمرح:
-بل لانني أعرف الان تماماً انك تحبني بصدق.
-ألم تصدقيني من قبل؟
سأل باستنكار لتهز رأسها وتؤكد:
-التصديق شيء.. والثقة والاطمئنان شيء أخر..
تنهد ثم قال بهدوء:
-أنا لن أطلقها ياورد.
-وانا لن أسمح لك ابداً بفعل هذا.. اتركها لبعض الوقت ذياب.. وبعدها سنرى مايمكن أن نفعل.
ابتسم بحنان وضمها اليه بقوة..
لن يسمح لها بالابتعاد عنه ابداً.. سيصبر من أجلها وسيصبر لأجل نفسه أيضاً..فمع كل مشاعره السابقة كان الحب الذي يشعره تجاهها قاتلاً.. غامراً.. وبلاحدود..
....
بعد ثلاث سنوات..
في عنبر الولادة
استلقت ورد مرهقة يكاد ظهرها يقتلها فيما تنتظر رؤية زوجها يتقدم عبر الباب مع طفليها..
سمعت الباب يفتح عندها وانتفاض عمتها لاستقباله بينما تعلقت عينيها هي بزوجها

الطويل يتقدم حاملاً في كل ذراع لفة صغيرة لاتكاد تظهر ملامحها ..
كانت عينا ذياب ممتلئتين بالدموع الحبيسة وهو يقف امامها بفخر هامساً بحنان:
-التقي بشريف وغالية..
شهقت باكية وهي تفتح ذراعيها ليناولها كتلة صغيرة محمرة ويحتفظ بالاخرى بين ذراعيه لتغرق أنفها في رائحة الصغير العذبة وهي تسأله بصوت مخنوق:
-من أكبر منهما؟
-شريف هو الاكبر بدقيقتين كاملتين.
هتف بفخر لتضحك هي بألم يعتصرها في بطنها جراء العملية التي أصرت الطبيبة عليها بعد اكتشاف حملها بتوأم.. تأملت العائلة الرائعة التي حظيت بها دون أن تخسر اي شيء..

حبيبها الفخور الذي حمل طفلته الغالية..
وبين ذراعيها ابنها الصغير..الذي حمل عيني والده وأنفه الروماني المستقيم..
حمدت الله بصوت خفيض ثم مدت ذراعها لزوجها ليقترب منها ويجلس لجوارها.. ويضم طفلتها الغالية اليها بينما يحيط هو عائلته الصغيرة اليه.. بحنان وحب.. الى الابد.

تمت بحمد الله
مع تحيات فريق العمل
روايات تصدر عن منتديات روايتي
قلوب أحلام زائرة
www.rewity.com